

عالم الأفول

رواية

عمران سمير

"كان عليك البقاء في المنزل"

الفصل الأول

- أنا آسف يا حسن ولكني لن أوافق على
زواج ابنتي من شاب فقير عاطل عن العمل
مثلك ...

قاطعته الشاب وعيناه محمرتان من هول
الصدمة التي تعرض لها للتو :

- أرجوك يا سيد خالد ، أتوسل إليك أنت لا
تعرف بعد مدى ...

رد السيد خالد وهو ينظر من حوله للناس
الجالسين في المقهى ليتأكد من أنهم لا
يتابعون نقاشهما الساخن ثم أسكته بهمس
غاضب قائلاً :

- احرص ولا تقل المزيد ، فقد تسببت في
مشاكل لا حصر لها لعائلتنا بسبب قصة
عشقك السرية هذه معها حتى أصبحت لا
أطيق النظر إليها ، ذلك بعد أن كنت أحبها
وأفضلها عن سائر بقية أبنائي حتى اكتشفت
في تلك الليلة اللعينة أنها تخون تربية سنوات

طويلة أفنيتها من عمري عبر الهاتف معك في
منتصف الليل....

سكت قليلا ثم أضاف :

- لقد ألحقتما بنا العار يا حسن خاصة وأنا
جيران ونعرف بعضنا البعض منذ سنوات
طويلة ولحسن الحظ أن القصة لم يسمع بها
الناس بعد و إلا كنت ذبحتك بيدي هاتين .
قال حسن بهدوء محاولا تغيير رأي الرجل
العجوز :

- رجاء يا سيدي أنت لم تقتنع بعد ، لقد
أحببت ابنتك من كل قلبي ولم يدم ذلك في
السر إلا لبضعة أشهر فقط وها أنا الآن آتي
إليك كخاطب ينوي الحلال فلماذا تمنعني و
تصر على تعذيبي بهذه الطريقة ؟

رد الرجل بهدوء مصطنع :

- حتى ولو قبلت ، فأين ستعيش ابنتي ؟ هل
ستعيش في ذلك المنزل العتيق الآيل للسقوط

الذي بناه جدك قبل ستين سنة من الآن ؟ هل سيكون بإمكانك إعالتها و أبناءها كل يوم وأنت حتى لا تستطيع حتى تدبير قوت يومك ؟ ضع نفسك مكاني ، أنت أب وتريد مصلحة ابنتك وأن تعيش عيشة هائلة كالتى عاشتها معك بكل تأكيد لن تزوجها من شاب عاطل يمضي أغلب أوقاته يتسكع في الأرجاء ولا يهتم بأي شيء عدا نفسه .

قال حسن في محاولة أخيرة يائسة لإقناعه :

- من يدري لعل الله قد يفرج علي ويرزقني بعمل من حيث لا أحتسب خاصة وأني قد أنهيت دراستي الجامعية منذ وقت قريب ولدي شهادة ومؤهلات كثيرة . أرجوك يا سيد خالد أن تتريث قليلا ولا تحكم علي بهكذا نظرة أرجوك أنا لست مثل الآخرين.

رد خالد وهو يصر بقبضته على الطاولة :

- مستحيل يا حسن ستتزوج هناع من ابن
عمها كا خططت منذ سنين ، وهذا هو قراري
النهائي وأرجو منك أن تحترم رغبتى هذه و
أن تبتعد عن ابنتى وعائلى نهائى ولا تدمر
ما بقى من روابط بيننا بتصرفاتك الحمقاء
المتهورة هذه ، أنا أحذرك للمرة الأخيرة فأنا
وإخوتها لن نتسامح معك هذه المرة وقد
يحدث مالا يحمد عقباه ولذلك ومن مصلحتنا
جميعا أن نغلق الموضوع نهائى ونعود لحياتنا
الطبيعية مرة أخرى كجيران عاديين ، وأتمنى
أنك فهمت الرسالة .

وقبل أن يتفوه حسن بكلمة كان الأب قد وقف
وغادر المقهى بصمت ، وبقي الشاب جالسا
ينظر هنا وهناك وغشاوة من دموع الخيبة
والأسى تملئ مقلتيه قبل أن يقف بدوره
ويسحب نفسه ببطئ عائدا إلى المنزل بعد أن
دفع حساب الشاي ...

أخذ يمشي ببطئ عبر الأزقة الضيقة وهو
يكابد لكي يمنع دموع القهر من الإفلات من
عينيه حتى لا تفضحه أمام المارة ، كان يشعر
وكأنه مغيب تماما عن الواقع وكأن شخصا
آخر تلبسه وبات يتحكم بجسده كان يمشي
على غير هدى متوجها إلى المجهول وغصة
حاددة تجثم على عنقه وتكاد تخنقه لم يصدق
بعد أنه خسر لتوه هناء بسبب ظروف ليست
له دخل فيها بعد كل الأوقات السعيدة
والذكريات الجميلة التي عاشها معها وكل
الأحلام الوردية التي رسماها حول حياتهما
المستقبلية ، هاهو كل شيء يتحول إلى سراب
ويذهب أدراج الرياح ، الغيظ والغضب
يجتاحانه ويزلزلانه يشعر بأنه مظلوم و بأن
الجميع يتآمرون عليه حتى يفسدوا فرحته ،
تبدأ حمم الحقد والكراهية تتفجر داخله
وتحرق كيانه و يزداد هذا الإحساس كلما تذكر
كلمات والدها القاسية التي فتتت كبريائه
وسحقته حتى أصبح رمادا " كيف يجرؤ

وينعتني بالفقير العاقل ؟ من يظن نفسه ؟ هل أصبح يحسب نفسه فوق الجميع وأفضل منهم فقط لأنني سمحت له بإذلالني ؟ أنسي من يكون وهو الذي كان يتسول في أزقة الحي في أحد الأيام ؟ " أخذ يهمس لنفسه بغيض وهو يمشي متذكرا كلمات العجوز خالد ، " هل يعتقد أن ابنته هذه قطعة من الجنة ؟ هل هي أفضل من حور العين ؟ لا بل إنها مجرد فتاة مدللة متعجرفة كوالدها تماما هناك المئات بل الآلاف من الفتيات غيرها ولكن " ، تذكر فجأة أنه لا يستطيع تخيل حياته من دونها إنها بمثابة الأكسجين الذي كان يتنفسه ويبقيه على قيد الحياة وهامم يحاولون خنقه وقتله بأخذها منه وإبعادها عنه . معركة حامية اندلعت للتو داخله بين طرفين أحدهما يشعر بالغل و الكراهية تجاه هناء وعائلتها بسبب ما حدث قبل قليل و الآخر لا يزال يحب هناء ويضعها فوق كل اعتبار حتى كرامته التي داسها والدها قبل

قليل ، كان كل طرف متسلح بعتاد من الحجج والبراهين حتى يبرر موقفه أمامه فالأول يرى بأنه يجب عليه أن ينسى أمرها تماما فبعدما حدث لم يعد هناك مجال للإستمرار في الرخص وراء حلم قد زال للتو وأنه يجب عليه الآن التركيز على المستقبل وما يحمله في طياته ثم أن هناء ليست الفتاة الوحيدة في هذا العالم وليست الأجمل ولا الأذكى وهناك بالتأكيد من هن أفضل منها ، فيما راح الطرف الآخر يذكره بالأوقات السعيدة التي عاشها رفقتها وطمأنه بأن الأقدار ستتغير و أن كلما عليه فعله هو التحلي بالصبر، ووسط كل هذا سمع حسن نداء من بعيد انتشله من زوبعة تفكيره فاستدار ليرى صديقه عصام قادما من بعيد .

كان عصام شخصا يندر مصادفة مثل له ، فقد كان شجاعا وجريئا لدرجة لا يمكن تصورها فطن ومقدام ذو بنية عضلية قوية فصيح اللسان جميل المحيا لا يصاحبه أحد إلا

ويحبه ويسقط تحت تأثيره حتى يكاد يصبح
عبدا لديه فلا يرفض له طلبا ولا يتردد في
تنفيذه حتى ولو طلب منه القفز في النار ،
كانت له روح مرحة ودعابة جعلته مبتسما
على الدوام ابتسامة ناصعة يرتاح لها الكبير
قبل الصغير وهو مثال نادر عن فتى الشوارع
الذي أمضى جل حياته في الأزقة دون أن
يدنسه غبارها القذر فلم يكن يسرق أو يكذب
وكان ملتزما بدينه ويساعد غيره بكل ما يملك
ويحب العمل الشريف ويشمئز من الحرام ،
وقد كان حسن محظوظا كونه كان صديقه منذ
الطفولة بحكم علاقة الجيرة التي كانت
تجمعهما وقد أخذ عنه الكثير من القيم
والأخلاق الفاضلة . كان عصام يمشي مشيته
المختالة الواثقة كالعادة وقد رفع رأسه
واصطفت أسنانه الناصعة البياض كالؤلؤ
مشكلة تلك الإبتسامة المريحة التي تجعل
الناظر إليها يبتسم حتى ولو كان في المرحلة
الأخيرة من الإكتئاب وسرح شعره الطويل

على طريقة عصرية أنيقة، وما إن رآه حسن
قادما نحوه حتى أدرك أن كل مابه من حزن
سيزول بمجرد محادثة بسيطة معه ، توقف
عصام أمامه ومد يده القوية إليه مصافحا
وهو يقول :

- لم أرك منذ يومين يا حسن ، وكأنك ملاحق
من قبل الموساد أين كنت ؟
أجابه مصطنعا الإبتسامة :

- كنت هنا في الجوار و لم أبرح الحي مطلقا

نظر عصام مطولا إلى عينيه وكأنه يحاول
التأكد من أنه لا يكذب ثم أطلق ضحكة مجلجلة
فجأة وقال :

- مالي أرى بقايا الدموع في عينيك يا صديقي
و كأنك امرأة اكتشفت خيانة زوجها لها للتو
?...؟

حسن :

- ماذا ؟ أنت تتخيل لاشيء في عيني .

عصام بسخرية :

- هيا يا حسن لا تخجل و أخبرني عن سبب
حزنك لعلي أساعدك و أعيد إلى وجهك
البشاشة التي يفتقدها ...

سكت فجأة وهو ينظر إليه بإبتسامة أكثر
اتساعا :

- قبل قليل رأيت العجوز خالد يغادر المقهى ثم
غادرت أنت بعده مباشرة ولا يحتاج المرء إلى
ذكاء خارق ليعرف أنك كنت تجلس معه
لتحدثه بخصوص أمر مهم ، هل كلامي
صحيح ؟

دفعه حسن بغضب وقال متلعثما :

- ماهذا الهراء يا عصام هل أوقفتني فقط لكي
تعكر مزاجي بمزاحك الثقيل هذا ؟

هنا انفجر عصام ضاحكا وراح حسن يحاول
اسكاته بحركات من يده ولكنه قال بصوت
مخنتق :

- اكتشفت للتو أنك كنت تحدثه بخصوص ابنته
التي نسيت اسمها ... ابتعد ... وأنه رفض
طلبك لخطبتها وهذا هو سبب بكائك - يضحك
- ... حقا يا حسن ؟ تبكي لأجل فتاة ؟ هذا
ليس من شيم الرجال .

لم يتحمل سخرياته فتوقف عن لكزه بيده و
قرر الرحيل وما إن استدار حتى قبض عصام
على كتفه وقال :

- انتظر لم ينتهي حديثنا بعد

أزاح يده عن كتفه وقال بأسى :

- أنا مشغول ربما ننهيه لاحقا

لكن عصام قال مواسيا :

- أنا أدرك حجم المعاناة التي تمر بها حالياً ،
و ما بيدي حيلة لمساعدتك في هكذا موقف
ولكن

حسن :

- ولكن ماذا ؟

عصام :

- سأقدم لك عرضاً لن تستطيع رفضه

شعر حسن بالإرتباك والحماس و قال :

- ماهو ؟

ابتسم عصام وقال :

- كما تعلم فإن الوضع المعيشي في هذا البلد

أخذ بالإنهيـار ، وكل صباح جديد أفتح فيه

عيني أجد أن السيء قد صار أسوأ

تنهد بحزن ثم أكمل :

- لا مال لا عائلة لا عمل كل شيء حرمنا منه
صرنا نعيش الغربة في بلادنا التي ولدنا
وترعرنا فيها منذ الطفولة حتى صرنا نخجل
من طلب حقوقنا ، عليهم اللعنة ... اسمع أنا
لن أسمح لهم بتخريب حياتي كما فعلوا مع
من كانوا قبلي لازلت في ريعان شبابي
ولازلت أمتلك بعض الوقت و أنت كذلك يا
حسن كلانا محظوظان روحان متشابهتان أنت
يائس وأنا كذلك أنت تشعر بالظلم وأنا أشعر
به أيضا ، نحن نتجرع المرارة من كأس واحد
يا صديقي ولكني لن أسمح لهذا الوضع بأن
يستمر و سأمد لك يد العون و أرجو منك أن
تفكر في هذا العرض مرتين قبل أن تقبل أو
ترفض .

شعر حسن بالتوتر والخوف فملاح عصام
الجديّة على غير العادة أثارت في نفسه
تساؤلات عديدة حول فحوى هذا العرض
خصوصا و أن عصام لم يسبق وأن عرض

عليه مساعدة من قبل ، أيقظه فجأة من
شروده عندما همس :

- سأهاجر إلى الشمال .

ما إن سمعه حتى بدأت نبضات قلبه تتسارع
وشعر بجفاف حلقه لقد كانت صدمة قوية
كادت تعادل الصدمة التي شعر بها عندما
رفضه السيد خالد من كان يتوقع أن عصام
قاهر الصعوبات قد استبد به اليأس حتى
أوصله إلى نقطة اللاعودة وهاهو الآن يريد
الهرب من هذا الواقع الأليم إلى واقع آخر
يحمل في طياته مفترق طرق فإما حياة أو
موت يا لها من مقامرة صعبة ، أيقظه صوت
عصام من تأملاته عندما أضاف :

- كنت أفكر في هذا منذ سنوات وكنت كغيري
أعيش على أمل أن يتحسن كل شيئاً في يوم
ما ولكن للأسف تعرضنا جميعاً للخداع ويبدو
أن ذلك اليوم لم ولن يأتي ولذلك عزمتم أمري
وقررت مغادرة هذا الجحيم المظلم إلى مكان

آخر يحترمني ويقدرني وينقذني وها أنا ذا
أريد سحبك معي و انقاذك من براثن الجنون
الذي يتربص بك هنا وتذكر أنني لن أجبرك
على فعل شيء لا تريده يا حسن فكر مرتين
قبل أن تقرر...

ابتلع حسن ريقه ولم يعرف ما يقول فمن جهة
كلام عصام صحيح تماما و قد عايشه بنفسه
وهو يعلم أن هذه الحقيقة المرة ومن جهة
أخرى صوت ضميره يصرخ داخله محذرا إياه
من مغبة هذه المغامرة الخطيرة والتي قد يدفع
ثمنا غاليا وفي خضم هذه العاصفة الهوجاء
التي اجتاحتها قال عصام بنبرة مشجعة :

- لو كنت مكانك يا حسن كنت سأقبل خصوصا
وأنت لن تفتقد من أحد فلا أهل لك ولا أصدقاء
- بإستثنائي أنا طبعاً. ولن يسأل عنك أحد
وليس هناك ما ستخسره و أوكد لك أنها رحلة
آمنة بنسبة مئة في المئة ولن تدفع مبلغا

كبيراً وعلاوة على ذلك فإننا لن نستغرق وقتاً طويلاً ، ثلاث ساعات وستطأ أقدامنا الجنة .

زاد كلام عصام المشجع من رغبته في الرحيل وازدادت هذه الرغبة أكثر عندما تردد في أذنيه صوت السيد خالد وهو يقلل من شأنه ويصفه بالفقير العاطل وبدأت هذه الكلمات كأنها خنجر حاد يوجه طعناته إلى قلب كبريائه فيدميه ، وراوده شعور بالحنق على هذه البلاد اللعينة وأهلها وتمنى لو أنه كان بإستطاعته أن يحرق كل من تسببوا في التفريق بينه وبين هناء ولو هلة اختفى صوت ضميره عندما راودته الصور الجميلة التي رسمها في مخيلته عن الضفة الأخرى ووجد نفسه يقول دون أن يشعر :

- سأغادر معك

عصام مستفسراً :

- ماذا ؟ لم أسمع ما قلته .

حسن بنبرة واثقة :

- سأغادرمعك أيها الأصم!

ابتسم عصام تلك الإبتسامة العريضة ومد يده إليه مصافحا ثم عانقه وقال :

- كنت أعرف أنك لن تخذلني يا أخي لقد
اخترت الطريق الحق و أعدك أن حياتك
ستتغير ما إن نصل بعون الله .

ابتسم حسن بدوره وهو يشعر أن حياته الآن
قد تغيرت بمئة وثمانين درجة، على الرغم من
أنه كان يشعر بشيء من الخوف والقلق على
تسارعه في هكذا قرار دون أن يفكر جيدا لكنه
كان يمني نفسه بأن كل مشاكله ستحل بمجرد
أن تلامس قدماه أرض الضفة الشمالية وبدأ
يتخيل الحياة الجديدة التي سيعيشها هناك قبل
أن يقاطعه عصام وهو يخرج هاتفه من جيب
سترته كان من الواضح أنه سيتصل بشخص

ما وعندما سأله عنه أجاب وهو يضع الهاتف
على أذنه :

- سأتصل بصديقي عزيز حتى أخبره عن
قرارك بالرحيل .

حسن :

- ومن يكون ؟

عصام :

- إنه صياد و صاحب المركب ومنظم رحلتنا ،
إنه محترف ويعرف البحر جيدا فلقد قضى جل
حياته فيه .

بعد أن أخبر عصام عزيز بأمر حسن وبعد أن
انتهى من المكالمة ، طلب منه أن يعود إلى
المنزل ويرتاح على أن يلتقيا في المساء في
نفس المقهى الذي التقى فيه بالسيد خالد حتى
يخبره بتفاصيل الرحلة كلها ثم ودعه وغادر
فيما عاد حسن إلى منزله المتهاك وهو لا
يزال غير قادر على استيعاب أنه تعرض

لصدمتين في غضون ساعتين صدمة رفضه
من قبل والد هناء ، وصدمة رحيله عن بلاده
إلى الأبد .

مر الوقت بلمح البصر وحان الموعد المتفق
عليه وهاهو حسن يغادر المنزل متوجها
ناحية المقهى وقليل من التوتر يساوره فحتى
الآن لا شيء واضح كان مجرد كلام وقد
يحدث أمر ما قد يجعله يتراجع عن قراره
فلربما كان سعر الرحلة غاليا أو ربما تلقي
القوات البحرية القبض عليه وتزجه في
السجن ، ولعل القارب يغرق أو ،
المخاوف تملئ عقله لكن ما أن يتذكر الإهانة
التي تعرض لها صباحا حتى يختفي الخوف
ويحل محله شعور الغيظ والرغبة في التفوق
على الجميع " بمجرد وصولي إلى هناك
سأحصل على عمل وسأعود محملا بالأموال
وسأشتري فيلا ضخمة وسيارة فارهة
وسيتوسلني العجوز لأتزوج ابنته .. " هذه

هي الخطة البسيطة التي رسمها في ذهنه
وكان يدرك بأنها غير واقعية وصعبة التحقيق
إن لم تكن مستحيلة لكنه سيسعى لتحقيق ولو
جزء بسيط منها حتى يثبت للجميع أنه ليس
ذلك الفاشل العاطل الذي يعيش على الأموال
التي تركها له والداه في البنك قبل وفاتهما
المفاجئة في ذلك الحادث قبل عشر سنوات،
ومن سوء حظه أنه استهلك تلك الأموال
الطائلة في مشاريع ورهانات خاسرة ولو أنه
استثمرها بشكل صحيح لكانت بوسعها جعله
غنيا ومترفا حتى النخاع . وصل أخيرا إلى
المقهى الذي صار يشكل له عقدة منذ أن أهين
بين جدرانها ولولا وعده لعصام لكان قد ولى
فرارا فلم يعد يتحمل الوجود فيه بعد كل ما
حدث ، كان المقهى شبه خالي بسبب حلول
موعد صلاة المغرب وكانت أشعة شمس
الغروب الحمراء تنعكس على الجدران، دخل
ووقف عند الباب يتأمل الطاولة الخالية قبل
أن يقع بصره على عصام وهو جالس في

زاوية مظلمة أقصى اليمين وهو منشغل
بالعبث بهاتفه ومن مساوئ الصدف أنه كان
يجلس في نفس الطاولة التي كان يجلس
عليها صباحا رفقة السيد خالد، تقدم بهدوء
نحوه ووقف قبالته ، أحس عصام بوجوده
فوضع الهاتف جانبا على الطاولة ثم صافحه
مرحبا ، جلس حسن ومباشرة حضر النادل
فطلب كلاهما كوبين من القهوة وبمجرد رحيل
النادل سأله عصام :

- اذا هل أنت متحمس للرحلة ؟

أجاب :

- بالطبع و آمل أن تنجح

عصام :

- سننجح بكل تأكيد ، تذكر أننا سغادر مع
محترف سبق له وأن أوصل المئات قبلنا وهو
خبير بكل ما يتعلق بالبحر ...

ساد بينهما صمت لفترة قصيرة قبل أن يتنهد
عصام ويقول :

- والآن أبقى مخاوفك جانبا ودعني أخبرك
عن تفاصيل الرحلة

سأل حسن مباشرة :

- كم سأدفع ؟

عاد النادل وهو يحمل صينية عليها كوبين من
القهوة ووضعها على الطاولة وأخذ كل منهما
كوبا

ضحك عصام وقال مطمئنا بعد أن غادر النادل
:

- لا تقلق لن تدفع الكثير فلقد تكلمت مع عزيز
بحكم صداقتنا المتينة ووافق على خصم
نصف المبلغ ، رأيت ؟ إنك محظوظ بوجودي
معك .

على الرغم من أنه لن يضطر سوى لدفع
النصف إلا أنه كان يشعر بأن المبلغ باهض
وسيجبر على انفاق آخر ما تبقى لديه وهي
الأموال التي ادخرها من أجل مصاريف زواجه
الذي لم يرى النور لكنه اتخذ قراره وفات
الأوان ، وجد نفسه يسأل :

- متى سننطلق ؟

عصام يرتشف من الكوب ويجيب :

- موعدنا هو الأحد المقبل أي بعد خمسة أيام
من الآن وسننطلق مع بداية الليل، لكن
سنغادر هذه المدينة مبكرا حتى نصل في
الموعد .

- متى سنغادر المدينة ؟

- في يوم الرحلة نفسها أي يوم الأحد ويجب
علي أيضا أن أخبر رضا وصالح

حسن متسائلا :

- من هما ؟

- شخصان من البلدة المجاورة وسيغادران
معنا .

أومئ حسن برأسه موافقا قبل أن يقول عصام
وهو ينهض :

- اذا موعدنا بعد خمسة أيام حضر نفسك جيدا
وسأتصل بك ليلة السبت لنحدد مكانا للقاء ولا
تنسى أن تحضر النقود معك لأننا سندفع
لعزيز حالما نصل .

وقف حسن بدوره وتجرع آخر جرعة تبقت
من القهوة في الكوب وقال :

- مفهوم

صافحه عصام بقوة وقال :

- حتى ذلك الوقت لن يعرف أحد بأمرنا ،
حسنا ؟

: حسن

- نعم بكل تأكيد ، لا تقلق بهذا الخصوص

عصام :

- ممتاز والآن علي الرحيل ، سأدفع أنا

الحساب اعتن بنفسك في أمان الله

تمتم حسن وهو يغادر :

- إلى اللقاء .

غربت شمس ذلك اليوم وغرب معها آخر أمل

ببقاء حسن ، لاشيء سيمنعه من المغادرة

الآن

_____ .

الفصل الثاني

مرت الأيام الخمسة كلمح البصر وأشرقت
شمس اليوم الأخير معلنة بداية المغامرة
المجنونة وهاهو حسن يغادر المنزل ويغلق
الباب خلفه جيدا ثم يبتعد عنه بمسافة ويبدأ
في التحديق إليه بحزن وهو يتمنى لو كانت له
القدرة لحمله معه فهو لا زال متعلقا بهذا
البيت المتهاك فقد قضى فيه سنوات عمره
الثمانية والعشرين وشهد على أهم محطات
حياته كنيته لشهادة البكالوريا والتحاقه
بالجامعة ووفاة والديه قبل عشر سنوات
ومكوته بعد ذلك رفقة أخيه الأكبر و الوحيد
حسين والذي وافته المنية هو الآخر قبل
خمس سنوات بسبب ورم سرطاني خبيث .
وهاهو يشهد اليوم على رحيل فرد آخر من
العائلة ، رفع يده و أخذ يحركها يمنا ويسرة
وهو يقول :

- الوداع

نظر إلى الساعة على شاشة هاتفه فوجد أنه يكاد يتأخر فأسرع الخطى عبر الشارع الفارغ وهو يحمل حقيبة تكدست بها ملابسه و أغراضه و أخذ يتحسس جيب سترته ليتأكد من وجود المال والذي سيكون محركه إلى جنة الدنيا في الضفة الشمالية ، كان مكان اللقاء قرب محطة النقل الموجودة في مخرج المدينة وقد استغرق وقتا ليصل بسبب ثقل وزن الحقيبة والتي أبطأت من سرعته ، وأخيرا أبصر عصام واقفا قرب سيارة رفقة شخصين آخرين عرف على الفور أنهما رضا وصالح ، كان عصام يحرك قدمه بعصبية وقد اتكأ بجذعه على الجهة الخلفية للسيارة وما أن رآه قادمًا حتى قال معاتبا :

- لقد تأخرت يا حسن حتى ظننت أنك لن تأتي

رد حسن :

- أنا آسف ولكن حقيقتي ثقيلة

عصام مستنكرا :

- يالها من حقيبة كبيرة ، هل تظن أننا سنركب
يختا بخمس نجوم ؟ أم تظن أنك ستجد فندقا
فاخرا بانتظارك هناك ؟

رد حسن :

- إنها تحمل ملابسي وبعض المقتنيات الثمينة
التي لم أستطع التخلي عنها وتركها في
المنزل و لا أظن أنني سأعود كل هذه المسافة
من أجل أن أعيد قميصا وسروالا .

ابتسم عصام وقال :

- حسنا أيها العاطفي ، احتفظ بها .

بعدها مباشرة صافح حسن رضا وصالح
وتبادل معهما بضع كلمات مقتضبة حول
الأحوال والصحة ، لم يسبق له أن التقى بهما
ولم يكن يعرفهما من قبل ، كان رضا أكبرهم
و أكثرهم تحمسا للرحلة فيما بدا التوتر على
محيا صالح والذي كان صامتا طوال الوقت. لم

يبد كلاهما أي اهتمام كبير بمجيئه و استعجل
رضا المغادرة قبل أن يستيقظ الناس وتمتلئ
الشوارع بهم ، وبعد أن اطمأن عصام من
وجود كل أغراضه معه بما فيها المال وحذا
حذوه البقية وبعد تأكدهم من أن كل شيء
على ما يرام وضعوا حقائبهم في الصندوق ثم
صعدوا إلى السيارة وكان صالح هو من يقود
وجلس حسن في الخلف رفقة رضا فيما احتل
عصام المقعد الأمامي بجانب السائق ، انطلقت
السيارة مغادرة وهاهو يلقي النظرة الأخيرة
على مدينته وهي تتسحب ببطئ من أمام
عينيه وتترك مجالا لحقول خضراء واسعة
ممتدة على طول الطريق الخالية من أي حركة
في مثل هذا الوقت الباكر من الصباح وهاهو
يلوذ بالصمت مسترجعا ذكريات طفولته بين
تلك الأزقة الضيقة ذات المباني المهترئة وبدا
أن ضميره قد صحا من سباته العميق فهاهو
يبدأ تأنيبه ولومه المزعج ويرجوه أن يعود
لكنه يسكته بالقول بأن أوان التراجع قد فات

وليس بوسعه الآن سوى اكمال المسيرة لكنه بدأ يشعر بالتوتر والقلق من أن مكروها ما قد يصيبه ، إنه ذلك الشعور المخيف الذي ينتاب الإنسان كلما هم بالإقدام على مغامرة خطيرة غير محسوبة و يحذره من الأسوأ الذي قد يأتي في أي لحظة ولسوء الحظ فدائما ما يكون هذا الشعور على حق في توقعه ، لاذ الجميع بالصمت طوال الساعة الأولى من الرحلة لكن عصام كان أول من خرق هذا الصمت فبدأ يتبادل بضع كلمات مع رضا، سرعان ما تحولت إلى حوار ممتع و امتد إلى حسن وصالح و زالت تلك الحساسية التي دائما ما تظهر عندما يلتقي الغرباء ببعضهم لأول مرة ، واستطاع حسن أن يعرف الكثير عن مرافقيه فرضا كان يشتغل حدادا في ورشته في البلدة المجاورة قبل أن يضطر لتترك عمله بسبب قلة الربح ، ويعيش هو و اخوانه الستة على راتب والدهم المتقاعد ، أما صالح فكان يشتغل كسائق شاحنة عبر

أنحاء البلاد قبل أن يضطر هو الآخر لترك عمله بسبب حادث تعرض له ونجا منه بأعجوبة ولكنه أدى إلى احتراق شاحنته تماما ، وهكذا أمضى الشباب بقية الساعات الثلاثة عبر الطريق في الحديث في أمور متفرقة قبل أن يلوح البحر في الأفق وأمامه ظهرت أبنية المدينة البيضاء تحت السماء الشاحبة الملبدة بالغيوم الثقيلة ، كانت الساعة تشير إلى العاشرة والنصف صباحا وكان موعدهم مع عزيز في الساعة التاسعة ليلا ولذلك قضوا الساعات المتبقية لهم في التجول في أزقة المدينة وتنشق آخر نفس من عبقاتها ، مر الوقت و أفلت شمس آخر يوم لحسن ورفاقه في بلادهم وهاهي اللحظات الأخيرة تأتي محملة بعبق الحنين والإشتياق للحياة التي اعتادوا عليها منذ أن فتحو أعينهم على الدنيا والتي على الرغم من قسوتها إلا أنها تركت فيهم حبا فطريا لا يمكن أن يختفي ، غربت الشمس وحل الظلام و اشتد البرد أعاد

صالح السيارة لصديق له حتى يعيدها معه إلى
المدينة حتى يسترزق منها اخوته ثم سار بهم
عصام عبر رصيف مقابل للبحر و أخذ حسن
ينظر الى انعكاس ضوء القمر على صفحته
الزرقاء الالامعة وهو يفكر في تلك المسافة
الطويلة التي تنتظره ، ساروا عبر الرصيف
حتى وصلوا إلى منطقة اختفت فيها الأبنية
الكبيرة البيضاء وحلت محلها بيوت صغيرة
قصديرية تصف حال قاطنيها من فقر وعوز
وكانت أزقتها لا تزال تشهد حركة قليلة على
الرغم من الليل والبرد ، وصلوا إلى نهاية
الرصيف والتي كانت عبارة عن درج حجري
متآكل يفضي إلى الشاطئ سلكه عصام وتبعه
الآخرون وما أن وقف حسن على رمال
الشاطئ حتى خالجه شعور غريب كأنه يطأها
بقدميه لأول مرة وتجاهل ذلك الإحساس
الغريب وانصب جل اهتمامه على ذلك الشاب
الذي اقترب منهم وتبادل معهم التحية قبل أن
يطلب منهم اللحاق به حيث صاحبهم عبر

الشاطئ مرة أخرى وعبر الصخور الوعرة
حتى وصلوا إلى مكان مظلم منعزل وهناك
طلب منهم انتظار عزيز ثم غادر . وقف
الأربعة ينتظرون وكانت الساعة قد تجاوزت
التاسعة بربع ساعة وقد بدأ صبرهم ينفذ و
جلس حسن على احدى الصخور وراح يحدق
بعيدا في الأفق شارد الذهن ، واستمر هكذا
حتى أبصر فجأة نقطة بيضاء صغيرة تظهر ثم
أخذ حجمها يزداد أكثر فأكثر حتى أصبحت
أكثر وضوحا
- إنه قارب .

صرخ لرفاقه الذين أسرعوا نحوه ليتأكدوا من
كلامه ، كان القارب متوسط الحجم ذو لون
أبيض يشبه اليخت وكان سريعا ويصدر صوتا
عاليا قليلا وما أن أصبح قريبا منهم حتى
خفف السائق من سرعته وتوقف بهدوء أمام
الصخور وقضى بعض الوقت يرتب عدة

أغراض قبل أن ينزل و يندفع نحو عصام
وهو يقول :

- مرحبا بأخي العزيز ، أنا آسف لأنني تأخرت
فقد كنت أوصل مجموعة من الشباب .

عانقه عصام وقال :

- كيف حالك يا عزيز ، لقد اشتقت لك

كان عزيز رجلا طويل القامة ذو بنية بدينة
وشعر أسود طويل حتى منتصف رقبته ذو
بشرة قمحية نتيجة التعرض المتواصل لأشعة
الشمس ويرتدي ملابس بحارة زرقاء ، وبعد
حوار قصير تخلله بعض المزاح انفصلا عن
بعضهما البعض واتجه عزيز وصافح حسن
وهشام وصالح ورحب بهم بلهجة ودية
والتي سرعان ما تحولت إلى الجدية عندما بدأ
يشرح لهم أساسيات الرحلة حيث قال :

- الدفء قبل الإنطلاق وسنسلك طريقا أطول من
المعتاد فقد أخبرني رفاقي بأن الدوريات

تجوب الطريق المختصر الذي اعتدنا على
التحرك عبره ، سأنزلكم عند شواطئ أول
مدينة نصل إليها وبعدها ستتدبرون أمركم
بأنفسكم وهذه بكل بساطة تفاصيل رحلتنا ،
أية أسئلة ؟

قال صالح :

- معذرة ولكن كم ستستغرق الرحلة ؟

تدخل عصام :

- لن تستمر طويلا ... ساعتين على الأقل إن
سرنا بسرعة ثمانين كيلومترا في الساعة

طمأنه عزيز :

- لا تخف لن تطول رحلتنا وتذكر أنك برفقة
رجل قضى خمسا وعشرين سنة من عمره
يجوب البحر أنا عالم بكل خباياه وأسراره فلا
داعي للقلق وقد أوصلت لتوي جماعة قبلكم
ولم نواجه أي مشكلة كل ما عليكم فعله هو
الوثوق بي .

هز الجميع رؤسهم موافقين قبل أن يقول
عزيز وهو يبتسم :

- أعتقد أنني أخبرتكم أن الدفع يكون مقدما
أليس كذلك ؟

رد عصام متهكما :

- دعنا من هذه السخافات يا عزيز وانتظر
حتى نصل ، وهؤلاء رفاقي وأنا أعرفهم جيدا
وليسوا كأولئك المتشردين الذين يهربون منك
بمجرد أن يروا اليابسة
لكن عزيز قال :

- لا تكن مستعجلا يا عصام لن آخذ وقتا طويلا
أعدك فأنا أملك قدرة عد الأموال كآلة ...

وقبل أن يعترض عصام مد رضا كيسا أسودا
أخرجه من جيب سترته وقال لعزيز بتوتر :

- هيا أسرع أرجوك ، لم أعد أطيق الإنتظار

تلقت أيدي المهرب الكيس و أخذ ينظر إليه
بنظرة غريبة حتى كاد لعبه أن يسيل، قبل أن
يخرج رزم المال المربوطة ببعضها البعض
بخيطة مطاطي ويبدأ بعدها بسرعة عجيبة
أذهلتهم وماهي إلا ثوان قليلة حتى كان قد
انتهى من العد وأشار لرضا بالركوب في
القارب ، أعقبه مباشرة صالح وقد مد إليه
كيسا آخر بدوره فعدّها وأشار له بالصعود ،
وبعد صالح جاء الدور على حسن والذي
أخرج الرزم من جيبه بأيدي مرتجفة فانتقض
المهرب عليها وانتزعها منه وبدأ بعدها وفمه
نصف مفتوح كاشف عن أسنان صفراء
متهاكة . انتهى العد أخيرا وانتظر حسن تلك
الإشارة التي ستأخذه إلى عالم الخلاص بفارغ
الصبر لكن ذلك لم يحدث إذ أعاد عزيز العد
مرة أخرى وانتظر حسن على أحر من الجمر
لكن الإشارة لم تأتي وبدلا من ذلك أعاد العد
لمرة ثالثة، قبل أن تختفي تلك النظرة الغريبة
عن عينيه وتحل محلها نظرة جدية فهم منها

حسن أن هناك خطبا ما فنظر إلى عصام
والذي كان يحدق بدوره إلى عزيز بمزيج من
القلق والترقب وهو يعيد العد للمرة الرابعة
قبل أن يقول وهو يعيد الرزم لحسن :

- أنا آسف ولكن المبلغ ناقص ...

صرخ حسن وعصام في آن واحد :

- ماذا ؟

ليضيف عزيز :

- تنقصك عشر ورقات من فئة الألف .

شعر حسن بالأرض تميد به وبحرارة مفاجئة
تسري في جسده وبجفاف في فمه، فنظر إلى
عصام يرجوه أن يقول أو يفعل شيئا وفهم
عصام ماكان يقصده فقال معترضاً :

- أعد العد مرة أخرى يا عزيز فلعلك تكون
مخطئاً .

لكن عزيز رد بحنق :

- لقد عددت أمامكما لأربع مرات وفي كل مرة
كان المبلغ ناقصا ، عليه أن يدفع المبلغ كاملا
غير منقوص و إلا فإنه لن يركب على متن
قاربي

ترجاه عصام :

- ماهذا البخل يا عزيز إنها مجرد عشر
ورقات لن تشكل فارقا ، هيا أرجوك لقد قطع
مسافة طويلة للوصول إلى هنا ، أرجوك من
أجلي و من أجل صداقتنا

لكن المهرب قال :

- أنا آسف يا عصام ولكني ساعدتكما كثيرا
وخفضت المبلغ إلى النصف ولا يمكنني فعل
أكثر من هذا ، إما أن يدفع الباقي أو سنغادر
بدونه هذه هي طريقتي في التعامل مع
المستهترين وورائي مصاريف طائلة وديون
أحتاج إلى المال لتسديدها

شعر حسن بالخيبة لأن ما بحوزته لا يكفي
وود لو يلکم هذا المتعجرف السمين على
وجهه بقوة وشعر بتهاوي قصور الأحلام التي
بناها على هذه الرحلة وكضم غيضة بصعوبة
وهو يتذكر العجلة التي عد بها ما بحوزته من
مال قبل أن يغادر المدينة ... ووسط كل هذه
الأفكار أيقظه صوت المهرب وهو يقول
لعصام :

- يمكنه الإنتظار حتى موعد الرحلة المقبلة
الشهر القادم .

هل سينتظر شهرا آخر ؟ - تسائل في قرارة
نفسه - هل سيعود إلى المنزل في تلك البقعة
بعد كل ما حدث له وبعد كل الإهانات التي
سمعها ؟ لا يمكنه ذلك وحتى لو وصل إلى
الضفة الأخرى في المرة المقبلة فلن يستطيع
التصرف بمفرده بدون عصام والذي وقف
عاجزا أمام تعنت هذا المهرب النصف أمي
الذي لاهم له سوى جمع الأموال الطائلة ،

نظر باتجاه القارب حيث جلس رضا وصالح
وهما ينظران إليه ببرود وكأنهما يشمتان به ،
لكن صالح هب واقفا فجأة وتقدم نحو المهرب
وقال له وهو يخرج عشر ورقات من جيبه :

- سأدفع نيابة عنه فقط دعنا نغادر بسرعة

هدأت زوبعة الخوف التي ثارت داخله فجأة
ونظر إلى صالح نظرة شكر وامتنان قبل أن
يشكره بحرارة وشعر أن حظه العاثر أشفق
عليه هذه المرة و أنقذه، بالرغم من أنه كان
يشعر ببعض من الإحراج لإضطراره إلى قبول
الصدقة ، وهكذا وبعد أن عد المهرب البخيل
المال مرة أخرى أشار له بالصعود إلى القارب
فاندفع وصعد وكان الوحوش تلاحقه ، جلس
بالقرب من صالح وشكره مرة أخرى على
صنيعه معه ، وهبت رياح باردة جعلت القارب
يتحرك قليلا وأحس حسن بالرهبة وهو ينظر
لهذا البحر المظلم الواسع تحت ستار الليل
وإلى تلك السماء المزينة بالنجوم اللامعة

والقمر المضيء الباهر ، انتهى عزيز من عد
نقود عصام ثم أشار له بالصعود ففعل و تبعه
بعد أن أخفى أموالهم في كيس أسود كبير
خبأه بإحكام تحت احدى الصخور ثم اتصل
بأحد وطلب منه القدوم لأخذها قبل أن يصعد
للقارب والذي ترنح تحت وزنه الثقيل وتفقد
المحرك والهيكل ثم سحب الخيط بقوة مشغلا
المحرك الذي أطلق صوتا قويا ومعه بدأ
القارب بالتحرك بسرعة كبيرة جعلت حسن
يتشبث بالحافة كي لا يقع ، وبدأت اليايسة
تختفي شيئا فشيئا عن مدى بصره ، ونظر
أمامه ليجد البحر الواسع الهادئ وحوله
الظلام الدامس ما جعله يشعر بقليل من
الخوف والتوتر اذ لم يسبق له أن سافر عبر
قارب صيد في وسط البحر ليلا ، كان البقية
صامتين كالموتى وكل واحد منهم قد غرق في
خيالاته وتأملاته الخاصة فيما انزوى عزيز
في الركن بعيدا عنهم وهو يوجه القارب
بصمت ، كانت قطرات المياه تتطاير من جراء

اندفاع القارب السريع وقد بدأ بعضهم يشعر
بالدوار وعندما لاحظ المهرب ذلك قال :

- اذا شعر أحدكم بدوار البحر وأراد أن
يستفرغ فليفعل ذلك في البحر لا أريد أن
يتلوث قاربي .

وماهي إلا دقائق حتى أخرج صالح كيسا
كرتونيا وأخذ يتقيأ فيه ولم يهتم لأمره أحد
باستثناء حسن والذي أسرع نحوه وربت على
كتفه وهو يشعر بأنه جميله يجب أن يرد ،
وقال مطمئنا ومشجعا :

- لا تقلق يا صالح انه مجرد دوار خفيف
وستكون بخير .

مضت الدقائق وهم ينتظرون الوصول بفارغ
الصبر وساد الهدوء والصمت وسط البحر
الواسع إلا من صوت محرك القارب الصاخب
والذي لم يتوقف عن الهذر ، مرت ساعة على
انطلاقهم وقد بدأ النعاس يتغلب عليهم واحدا

تلو الآخر حتى ناموا جميعا ولم يبق سوى
عصام وعزيز وهما يتجادبان أطراف الحديث
، ثم فجأة صدر صوت غريب من محرك
القارب وبدأ الدخان يتصاعد منه فانتفض
المهرب مبتعدا واستمر الصوت الصاخب
لدرجة أنه أيقض حسن والبقية والذين راحوا
ينظرون بهلع إلى المحرك الذي توقف عن
اصدار الصوت ، لبثوا لبرهة يحدقون ببعضهم
البعض قبل أن يتقدم عزيز ببطئ وحذر من
المحرك وأخذ يفحصه قبل أن يسحب الخيط
بقوة حتى يشغله لكن من دون جدوى ، أعاد
الكرة مرة ثانية ثم الثالثة ورابعة ... لكن شيئا
لم يحدث وهنا استدار مواجهها لهم وقال
بصوت واهن من القلق :

- يبدو أن المحرك قد تعطل

أحس الأربعة بصدمة عنيفة وأحاط صالح
وجهه بيده وأخذ يصرخ :

- لا أرجوك إلا هذا إلا هذا

طلب منه عصام أن يهدئ ثم سأل المهرب
بصوت مرتعد :

- ماذا تعني بأن المحرك معطل ؟ هل يمكنك
اصلاحه ؟

أجاب الرجل وهو يفحص الخيط :

- لا يمكن اصلاحه إلا بواسطة معدات تركتها
على الشاطئ

عصام :

- ولماذا لم تجلب المعدات معك على سبيل
الإحتياط ؟

المهرب :

- وزنها الثقيل سيمنعني من اضافة ركاب
اضافيين

وقبل أن يتم كلامه انقض عليه رضا وأمسكه
من خناقه وصرخ :

- يالك من بخيل وغد ... انظر إلى أين أوصلنا
جشعك أخبرني كيف سننجو الآن ونحن وسط
البحر في عتمة الليل ؟ كيف؟

تدخل وعصام وحسن محاولين الفصل بينهما
ونجحا بصعوبة في تخليصه من قبضة رضا
القوية وراح المهرب يدافع عن نفسه قائلا :

- لقد أخبرتكم أنها رحلة خطيرة وقد نواجه
مشكلة لكنكم وافقتم على المجيء ولهذا فهو
خطأكم أيضا وليس خطئي وحدي

رمقه حسن بنظرة حادة وقال :

- لم تقل أي شيء عن خطر الرحلة ولم
تحذرنا من الأساس أيها الكاذب ، أنت وحدك
تتحمل المسؤولية فيما حدث

تدخل عصام وقال بحكمة :

- الشجار والجدال لن يفيدانا بشيء الآن فما
حدث قد حدث ولن نستطيع فعل شيء وعلينا

الآن إيجاد طريقة للعودة إلى اليابسة ... كم
تبعد عنا اليابسة يا عزيز ؟

نظر هذا الأخير إلى بوصلته وقال :

- تبعد بحوالي مئة كيلومتر غربا ولا أظن أننا
نستطيع الوصول إليها بهذه الحالة وأملنا
الوحيد هو انتظار عبور سفن أو دوريات
للقوات البحرية .

عصام :

- إذا سوف ننتظر ، كم لدينا من طعام وماء ؟

فتش الجميع في حقائبهم ولم يكن معهم سوى
بعض علب التونة والبسكويت وقليل من الخبز
وبضع قارورات مياه ، عدها عصام بسرعة
ثم قال :

- قد تكفينا هذه المؤونة لثلاثة أيام على الأكثر
ولذلك علينا أن نقتصد في استهلاكها وسأكون
أنا المشرف على ذلك

ثم جمع كل شيء في كيس وألقاه في زاوية
تحت القارب وجلس بصمت يتأمل البحر
الواسع وكذلك فعل البقية وكان صالح يهذي
بإستمرار بأنه يريد العودة إلى المنزل ، لكن
أنى له ذلك وقد علقوا في منتصف البحر في
عتمة الليل بدون أي وسيلة نجاة بإستثناء
الطعام القليل الذي جلبوه معهم ، انهمك عزيز
في محاولات لإصلاح المحرك التالف وراح
حسن يدعو الله في قلبه لعل باب النجاة يفتح
وقد أدرك للتو أن صرح أحلامه مهدد
بالإنهيار مرة أخرى وهاهي المصائب تتوالى
عليه وتضربه بلا هوادة ، وذنبه الوحيد أنه
أراد حياة أفضل بدلا من سراب المستقبل
المشرق في بلاده ، مرت ثلاث ساعات والليل
لا يزال في بدايته والعتمة في أوج قوتها
والقمر اختفى نوره تحت كتلة من السحب
العابرة ولم يعد هناك من ضوء بإستثناء
مصباح الهاتف الواهن المسلط على عزيز
وهو منهمك بتفكيك أجزاء المحرك ويدها

اصطبغنا بلون أسود شبيهه بالمصير الذي
ينتظرهم الآن . فجأة دوى صوت رعد قوي
أيقظ الجميع من سباتهم وشرودهم وجعل
صالح ينتفض بقوة ويركض محاولا رمي
نفسه في البحر لولا تدخل رضا الذي أمسكه
في الوقت المناسب وثبته في الأرض وقف
عصام وصرخ :

- اهدأوا انه مجرد رعد

رد حسن متهكما :

- هذا ماكان ينقصنا، مطر و رعد وظلمة
ونحن على قارب معطل وسط البحر ياله من
سيناريو مشوق

رضا مخاطبا عصام :

- كل هذا بسببك أنت وهذا المخادع ، لقد كذبت
علي وقلت أننا سنكون بأمان والآن سنموت
جميعا ولن يسمع بنا أحد ولن ندفن حتى في
قبور كباقي الناس .

ابتسم عصام مستفزا، واستفزه أكثر عندما
قال :

- ليكن في علمك أنني لم أطلب منك ولم
أجبرك على القدوم معي ، أنا عرضت عليك
الفكرة وأنت وافقت وكما يقول المثل " يداك
أوكتا وفوك نفخ "

احمر وجه رضا من الغضب واندفع نحو
عصام وراحا يتبادلان الضربات والقارب يهتز
بعنف من جراء ذلك ، تدخل حسن والمهرب
وفصلوا بينهما لكنهما ظلا يتبادلان الشتائم
اللاذعة ولم يتوقفا عن ذلك حتى قصف الرعد
مرة أخرى وتبعه ضوء من البرق أنار المكان
حولهم لبرهة قبل أن يختفي ويعود الظلام من
جديد ، أمسك حسن بعصام وأجلسه بهدوء
على الأرضية ولأول مرة يرى صديق طفولته
في تلك الحالة المزرية حيث كان يتصبب عرقا
وخيط رفيع من الدماء يسيل من فتحة أنفه
اليمنى وشعره الطويل الناعم الذي لطالما كان

يفخر به وبجماله منكوش ومنتاثر على جبينه
وكان يرتجف من شدة التوتر وهو يردد
لحسن :

- حسن... أنا آسف يا صديقي كل هذا بسببي
لقد كنت أحمق عندما صدقت تلك القصص
الخيالية عن الضفة الأخرى ، كان يجب علينا
البقاء كان يجب علينا ذلك ...

ابتسم حسن مشجعا وقال :

- لا عليك يا صديقي سننجو وسنكرر المغامرة
مرة أخرى

ابتسم عصام بدوره ، وكان حسن يدرك جيدا
أنه إذا كتب له عمر جديد فسيظل طول حياته
في مدينته ولن يغادرها أبدا وسيعاني من
رهاب البحر لبقية حياته ، لم يكن البقية بحال
أفضل حيث تكور صالح في الزاوية على
نفسه وكان يخرج رأسه بين الفينة والأخرى
ليتقياً في البحر فيما انهمك رضا وعزيز في

محاولة لإصلاح المحرك الذي تناثر أجزائه
المفككة على سطح المركب وهاهو الرعد
يقصف مرة أخرى لكن بشكل أكثر قوة من
المرات السابقة وهذه المرة كان متبوعا برياح
قوية و بصواعق أخذت تنهمر على سطح
البحر مضيئة المكان من حولهم في مشهد
غريب لم يعهده أحد منهم من قبل ، صرخ
صالح بهلع :

- لا سنموت .

وحاول القفز مرة أخرى في الماء لكن يدي
رضا كانت أسرع منه وأمسكه بقوة وهو
يقول :

- ستموت أيضا إن قفزت في الماء أيها
الأحمق .

وقف الباكون يحدقون برعب إلى الصواعق
المنهمرة من السماء وكأنها قنابل مضيئة
تضرب سطح البحر حولهم لكن من دون أن

تصيبهم ، وكان حسن يشعر بدوار شديد
بسبب اهتزاز القارب وشعر بإضطراب في
معدته و بسائل مر يندفع عبر جسده باتجاه
فمه وفي غضون ثوان كان قد أفرغ كل ما
بمعدته على سطح القارب ، إلا أن أحدا لم
يكثرث لذلك فقد كان الجميع مشغولين بحماية
أنفسهم وذلك بالإستلقاء على بطونهم وأيديهم
فوق رؤوسهم لكي يشعروا ولو بشيء يسير
من الحماية ، انحنى حسن بدوره وشعر
بالدموع الغزيرة تنهمر بلا توقف من عينيه
وبدأت ذكريات عديدة تمر عليه وكأنها النهاية
وهذا ما اعتقده فعلا . ظل الرعد يقصف
والصواعق تنهمر والرياح تعصف والقارب
يهتز وهم متسمرون على بطونهم لا يجرؤ
أحد منهم على فتح عينيه خشية أن يذهب
البرق بنورهما ولم يلاحظ أحد أن المطر لم
يهطل كالعادة عندما يكون الرعد والبرق . بعد
دقائق عديدة مرت كأنها دهر ثقيل توقف كل
شيء فجأة هدأت الريح وتوقف الرعد والبرق

وساد الظلام مرة أخرى ولكن لم يتحرك أحد
مر وقت طويل قبل أن يتشجع حسن و يفتح
عينيه ليجد الظلام من حوله وظن أنه ميت
لكنه كان يشعر بالبرد من حوله ويسمع صوت
البحر الهادئ ، حرك يده فتحركت وشعر
بمذاق مر في فمه إذا إنه لا يزال على قيد
الحياة لكن ماذا عن البقية ؟ ، تجرأ واستوى
جالسا بصعوبة وأخذ ينظر من حوله وكان
رفاقه لا يزالون في نفس الوضعية على
بطونهم شعر بالريبة فقال:

- هيا يا شباب لقد توقفت العاصفة

لم يجبه أحد كانوا صامتين كصمت القبور
أعاد كلامه مرة أخرى لكنه لم يسمع أي
جواب وهذا ماجعل خوفه وقلقه يتضاعفان ،
زحف باتجاه عصام والذي كان مستلقيا بلا
حراك وأخذ يهزه بقوة وهو يقول :

- عصام ، عصام انهض لقد انتهت العاصفة
هيا لا تخفني هكذا ...

لكن لا جواب زحف نحو صالح الذي كان
متكورا على نفسه وأخذ يهزه والدموع تنساب
من عينيه :

- صالح، صالح أرجوك أفق ...

لم يتحرك صالح فانتقل إلى رضا ولكن من
دون جدوى هو الآخر فتحرك نحو عزيز
والذي كان هامدا وعيناه جاحظتان تنتظران
برعب إلى السماء ، هنا أدرك حسن ما حدث
فانتفض من الرعب وأخذ يذرع المركب جيئة
وذهابا وهو يردد بجنون :

- هيا يا شباب أرجوكم، أخبروني أنكم
تمزحون أرجوكم ، لماذا تقومون بترويعي
هكذا أرجوكم ...

لم يرد أحد وساد صمت رهيب إلا من صوت
هذيانه وهو يكاد يموت من فرط الرعب ، عاد
مرة أخرى نحو جثة عصام وأخذ يهزه بعنف
وهو يصرخ :

- هيا انهض وكف عن التمثيل هيا

- هو لن ينهض إنه ميت

صوت جهوري يسمع فجأة فيستدير حسن
نحو مصدره ظنا منه أنه أحد رفاقه لكن لا ،
في زاوية القارب حيث مكان المحرك الفارغ
جلس رجل أو شيء طويل متربعا وهو ينظر
له بعينين كبيرتين ينبعث منهما ضوء أخضر
غريب وسط وجهه ذو اللون الأبيض وقد لف
نفسه بعباءة سوداء غطت كل جسده بإستثناء
رأسه والذي انساب منه شعر طويل يلمع لون
أصفر أضاء المكان حوله ، شهق حسن بقوة
وهو يتراجع للخلف غير مصدق لنفسه ظن
أن عقله يخدعه أو أنه قد جن ، لكن كل شيء
بدا واقعا من حوله لم يعرف ماذا يفعل وفكر
لوهلة بالقفز في الماء كصالح لكنه سرعان ما
خانتة شجاعته وتراجع عن ذلك ، ظل الغريب
يحدق إليه لبرهة قبل أن يقول محذرا :

- أنا أذكرك أيها الإنسي لا تقم بأي عمل
أحمق حتى لا أقتلك كما قتلت رفاقك ، سابقني
على حياتك فأنا أحتاجها .

جحظت عينا حسن وهو يسمع هذا الكلام
العجيب الذي لم يسمعه من قبل ، أيعقل أن
هذا الغريب قد قتل رفاقه ؟ ، ثم لماذا يحتاجه؟
ولماذا لم يقتله ؟ شعر برأسه يؤلمه من كثرة
التفكير والإنفعالات وبدأت أنفاسه تضطرب
وشعر بخدر في ساقيه ثم فجأة أصبحت
الأجواء ضبابية من حوله قبل أن يشعر بنفسه
وهو يتهاوى على الأرض

فتح عينه شاعرا أنه داخل حلم ، شعر بأنه
في مكان مرتفع فنظر من حوله ليجد نفسه
يرتفع فوق الماء والقارب بجانبه و الغريب
يرفع يدا تشع بلون أبيض نحوه ، رفع رأسه

ليرى فجوة بيضاء كبيرة في الجو راح يتقدم
نحوها شيئاً فشيئاً حاول التملص فلم يستطع ،
حاول الكلام فخرج صوت واهن من حنجرته
قائلاً :

- لا -

لكنه لم يتوقف عن التقدم نحو الفجوة حتى
دخل إليها وصار كل شيء حوله أبيضاً و هنا
عاد للغيوبة مرة أخرى .

الفصل الثالث

أصوات متداخلة يسمعها هنا وهناك ، يجد
نفسه فوق القارب ورفاقه يحيطون به
ينظرون إليه نظرات فارغة ، يحاول أن يتكلم
فلا يستطيع وكأن هناك من كمن فمه يشعر
بثقل في أطرافه وهو يحاول أن يرفع يده نحو
عصام المتجمد مكانه كالصنم وخلفه ترائي
البحر بزرقته اللامعة ، لا أحد منهم يتحرك كل
ما يفعلونه هو التحديق إليه وهو يحاول بكل
ما أوتي من قوة أن يتكلم حتى يحذرهم من
خطر الساعة التي سترديهم جميعا بعد قليل
لكن دون جدوى كان يظن أنه لا يزال على متن
القارب في طريقه للضفة الأخرى ، ثم فجأة
بدأ كل شيء يختفي من حوله وشعر بثقل وألم
في رأسه ، اختفى رفاقه والقارب الذي كان
يقف عليه والبحر من حوله وحل مكانه سواد
معتم لبرهة ظن أنه ميت وأن الذي رآه قبل
قليل كان ملك الموت وهو يقبض روحه
ويرسلها عبر تلك البوابة البيضاء الشبيهة
بالفجوة، حتى أحس بنسمات هواء باردة

وسمع حفيف أشجار هادئ ينساب عبر أذنيه
ورائحة عشب زكية تخترق منخريها وهو
مستلقي على شيء ناعم بارد " لا أزال حيا
" قال في نفسه وهو يهم بفتح عينيه ببطئ و
بفضول على المكان الذي يحيط به ، أرض
مسطحة واسعة مكسوة بعشب أخضر ممتدة
على طول بصره أدار وجهه ناحية اليمين
ليجد شجرة ذات جذع أسود وأوراق كثيفة
تتحرك بهدوء بفعل نسيمات الهواء مصدرة
ذلك الصوت الشجي الذي يبعث الراحة
والطمأنينة في النفس أداره ناحية اليسار
ليشاهد المنظر نفسه الذي شاهده قبل قليل
عند استيقاظه، أرض واسعة منبسطة مكسوة
بالعشب الأخضر الفاتح ولا شيء آخر غيره
سوى هذه الشجرة الكبيرة بجانبه رفع بصره
للسماء الباهتة ليحدها ملبدة بدخان رمادي
شبيه بالغيوم كان يتحرك بسرعة في اتجاه
واحد ويبدو أن الشمس اختفت فوقه إذ كان
المكان ضعيف الإنارة ويكتسي بذلك اللون

الرمادي الكئيب ، بدأت الأفكار تراوده عن
ماهية هذا المكان فقد كان لتوه على القارب
عالقا في وسط البحر قبل أن ... شعر
بالمرارة وهو يتذكر ما حدث له و لرفاقه ،
وتذكر فجأة ذلك الغريب ذو العينين المشعتين
من يكون يا ترى وهل كانت له يد فيما حدث ؟
وهل له علاقة بهذا المكان ؟ وهل كل ما
يجري من حوله حقيقي ؟ أسئلة كثيرة معلقة
من دون اجابات واضحة ، ولا يزال يظن أنه
في حلم لكن لاشيء من حوله يبدو كذلك
وهل يدرك الحالم بأنه يحلم ؟ طبعا لا ، بدأ
يشعر بالخوف والقلق مما يحدث فلربما
يتربص به أحد ما لكي يؤذيه وهاهي غريزة
البقاء و الخطر تتبعث داخله فيقف على قدميه
الواهنتين اللتان تكادان لا تحملانه ويزيل
العشب العالق بجسده الذي كان عاريا إلا من
ملابسه الداخلية ، أخذ ينظر من حوله قبل أن
يتقدم ببطئ نحو الشجرة ويقف أمامها ، كان
يشعر بجوع خفيف وراح يتطلع إليها لعلها

تحتوي على ثمار صالحة للأكل لكنها لم تكن
كذلك ، كان محتارا تائها لا يعرف ما يفعل في
هذا المكان الغريب نفذ صبره وشعر بالغضب
الشديد قبل أن يسأل نفسه بصوت عالي
غاضب وهو يركل جذع الشجرة :

- يا الله أين أنا ؟

- أنت في عالم الأفول

أجابه صوت جهوري عميق جعله ينتفض
ويستدير نحو مصدره ليجد أمامه ذلك
الشخص الغريب ذو العباءة السوداء والشعر
الأصفر الساطع كأشعة الشمس والعينين
الكبيرتين الخضراوتان الشبيهتان بماسنتين
عملاقتين ، كان الغريب أطول منه بكثير
بالرغم من أنه كان يبدو أقصر وهو جالس
على القارب ، لبث حسن ينظر إليه بمزيج من
الحيرة والخوف قبل أن يسأله بتردد:

- وما هو عالم الأفول هذا ؟

ضحك الغريب بسخرية وقال بلغة مفهومة :

- دائما أنتم هكذا أيها البشر تطرحون أسئلة كثيرة لإشباع فضولكم اللامتناهي ثم تجلسون بحيرة عندما لا تجدون أجوبة عنها .

ابتلع حسن ريقه بصعوبة وهو يسمع هذا الكلام الغريب ترى لماذا يخاطبه بهذه الصيغة الغريبة ؟ ، رآه الغريب يحدق إليه بعجز واضح وكأنه لا يعي شيئا مما يقول فقال بغضب - وعيناه الخضراوتان اللتان كانتا من دون بؤبؤ- تلمعان :

- اسمعني جيدا أيها البشري ولكي أسهل عليك وعلى عقلك الضعيف القاصر كحال معظم البشر استيعاب كل ما يحدث فسأشرح لك كل شيء بالتفصيل لذلك لا تقاطعني بالأسئلة الغبية... عالم الأفول عالم كبير مكون من ثلاث قبائل رئيسية تعرف معا بشعب النوربا و كل قبيلة لها أراضي خاضعة لها و لها كذلك ملك يحكمها بالإضافة إلى شيخ يساعد الملك

وهو بمثابة مستشاره نميز بين بعضنا البعض
عن طريق لون العينين حيث تعرف قبيلتنا
باسم الأفاشت وتعني ذوي العيون الخضراء
ولا شأن لك بأسماء بقية القبائل ، أنتم
تشبهوننا في الشكل الخارجي لكننا نختلف
اختلافا جذريا من ناحية تكوين الجسد فأنتم
عبارة عن جلد و لحم وعظام وأعضاء تعمل
طوال مدة حياتكم القصيرة ولديكم عقول
تجعلكم تدركون الواقع حولكم وتفكرون
وتميزون النافع من الضار وأنتم كذلك تأكلون
وتشربون وتنامون وتحبون وتكرهون
وتتنفسون وتبكون وتضحكون ، أما نحن
فعكس ذلك كله ... نحن أكثر رقي وحضارة
فأجسادنا من الداخل عبارة عن تلك الأشياء
التي تطلقون عليها اسم الطاقة
الكهرومغناطيسية بالإضافة إلى الشيء
الهوائي المسمى عندكم بالدخان وعناصر
أخرى لن يكون عقلك الضعيف قادرا على
استيعابها وهذه العناصر هي التي تعطينا

مظهرنا المميز هذا من ألوان عيون وشعر
وقوة هائلة يمكننا بها أن نحتل عالمكم في
بضع أيام، نحن لا نأكل ولا نشرب ولا نتعب
ولاننام ولا نحب وكل الأحاسيس الضعيفة
الموجودة لديكم لا تتوافر عندنا بإستثناء
أربعة منها هي الكبرياء والغضب والولاء
والكره، وهذا ماجعلنا دائما منقسمين ونطمح
لحكم بعضنا بالقوة ونكون ثلاثة قبائل في
حالة حرب ونفور مع بعضها البعض منذ وفاة
أول زعيم لنا وأكثرنا قوة وبأس النوربا الأكبر
أفيل والذي كنا شعبا واحدا تحت سلطانه
ونستعد لغزو العوالم المجاورة قبل أن يرحل
فجأة ويتركنا منقسمين ضعفاء لكننا واثقون
من أن نوربا آخر سيظهر من جديد وسيوحدنا
مرة أخرى لكن ليس قبل أن يوحد قبائلنا
المنقسمة وأتمنى أن يكون منا وهذه المرة
لن يوقفنا أحد وسنستعبدكم جميعا أيها البشر
أنتم و كل العوالم التي نستطيع الوصول إليها

سكت قليلا قبل أن يكمل :

- هذا يقودني إلى النقطة التالية وهي متعلقة بكم أنتم أيها البشر فمنذ عهد النوربا الأكبر أفيل وجد شيوخنا طريقة للعبور من عالمنا إلى باقي العوالم التي كنا نعرفها من قبل من أجل دراستها ومعرفة نقاط ضعفها وحتى جلب بعض من سكانها ومخلوقاتهما لإجراء التجارب عليها ولكن هذه الطريقة كان بها عيب كبير وهي أنها لا تسمح سوى بعبور من يمتلكون مواصفات معينة لن أضيع الوقت بشرحها لك ، المهم أن قلة قليلة منا نجحت في العبور إلى عالمكم وأغارت على مجموعات منكم وقتلت بعضكم وجلبت البعض الآخر معها إلى عالمنا بناء على أوامر النوربا الأكبر وذلك من أجل إجراء بعض التجارب عليكم ودراستكم وكان أول ملاحظته شيوخنا هو أنكم عبارة عن نوعين كل نوع يختلف عن الآخر اختلافا عميقا ولكن كل نوع يحتاج إلى النوع الآخر

من أجل البقاء والتكاثر الملاحظة الثانية هي
أنكم تحتاجون إلى ملئ بطونكم بالمغذيات
وسائل يدعى الماء وهذا من أجل البقاء
والنمو وسرعان ما تكيفت العينات مع بعض
المغذيات من أراضينا والسوائل الناتجة عن
دخان سماء عالما الذي يسقط بين الفينة
والأخرى وكان هواء عالما الشبيه بهواء
عالمكم قادرا على إبقائكم أحياء، الملاحظة
الثالثة وهي الأهم هي أنكم تشبهوننا شيئا
قليلا و كنتم المخلوقات الوحيدة التي تكيفت
وبقت على قيد الحياة في عالما الشبيه كثيرا
بعالمكم عكس مخلوقات العوالم الأخرى التي
ماتت لأسباب كثيرة ، الملاحظة الرابعة هي
أنكم قادرون على القيام ببعض الأعمال مثل
الحفر وحمل الأشياء وتنظيف الأراضي
والسهول من كائنات زوس المقرزة وتزيين
أماكن عيشنا والأهم من ذلك أنكم مخلوقات
مناسبة للعمل في أسطوانات الدخان وهكذا
انتهى شيوخنا من تجاربهم عليكم وأدركوا

أنكم كنز عظيم لا يجب التفريط فيه أبدا عندها
أمر النوربا الأكبر بجلب المزيد وراح أفراد
النخبة من حراس الملك يعبرون عبر البوابة
بين الحين والآخر ويحضرون أشكالا متنوعة
فمرة يحضرون الأسود ومرة يحضرون
الأحمر ومرة الأبيض وهكذا حتى امتلئت
أرضنا بكم وبدأتم العمل عندنا وكنتم مطيعين
في المرة الأولى لكنكم سرعان ما بدأت
العصيان بعد زمن قصير ورفضتم تأدية
الأعمال المطلوبة وهذا ماجعلنا نستخدم القوة
المفرطة ضدكم كونها أول مرة نواجه
مخلوقات غريبة عنا وأعترف أننا قتلنا الكثير
منكم وكنتم ضعفاء للغاية ولم تتجحوا في
شيء عدا الهرب والصراخ ، ولكن أعدادكم
انخفضت بشكل ملحوظ كما وأن البوابة حدث
بها خلل جعلها لا تفتح إلا في يوم محدد من
الذي يسمى عندكم بالأسبوع وهذا ما جعلنا
نسمح لكم بالتكاثر والتناسل ولكنكم لا
تعمرن طويلا مثلنا ، وكانت بيوتكم الصغيرة

بجاور بيوتنا ولكن ما أن أتى صغاركم الأشبه
بمخلوقات زوس حتى طردناكم إلى الأماكن
المهجورة في الأراضي الواسعة لأننا لم
نحتمل أصوات صراخاتهم ولا أزال أعرف
بعضاً من الرفاق الذين قتلوا بعضاً من
صغاركم فقط بسبب تلك الأصوات المزعجة
... وهكذا فأنتم خدم لدينا إلى الأبد ومن حسن
حظي أن الشيخ اختارني أنا اليوم حتى أسافر
لعالمكم وأجلبك معي فأنا أحتاج لخادم جديد
يعمل في مولد الدخان في مكان ذلك البشري
الذي كبر في السن ولم يعد قادراً على ذلك ،
و إذا أردت أن تحافظ على حياتك فعليك أن
تنفذ أوامري ولا تعصيتها أبداً وإلا سيكون
مصيرك كمصير الذين كانوا معك على ذلك
الشيء الذي يطفوا في الماء و كنت سأحضر
المزيد لولا أن الشيخ أمرني بجلب واحد فقط
.... هل أنت تسمعي ؟

كان الغريب قد تكلم طويلا لدرجة أنه لم يلاحظ أن حسن تجاهله وانطلق جريا عبر السهل ، فغضب ورفع يده في الهواء لتهوي مباشرة صعقة من السماء كادت تصيب حسن الذي توقف مفزوعا وقطرات من العرق تسيل عبر وجهه وكاد يهرب مرة أخرى لكنه تذكر أنه سيكون ميتا لا محالة هذه المرة فوقف صامتا وهو ينظر للغريب الذي ظهر أمامه فجأة و قال محذرا :

- هذه أول وآخر مرة تحاول فيها الهرب من سيدك برياح أفهمت ؟

استغرب حسن من هذا الإسم الذي لم يسمع به من قبل ولم يرد أن يرد لكنه رأى الغريب وعيناه تتفجران غضبا فقال :

- حسنا

ليرد هو يستدير :

- جيد والآن اتبعني

بدأ التوتر يسري في جسده فقال متسائلا :

- إلى أين ؟

رد :

- يبدو أنك لم تسمع الجزء الأخير من كلامي
عندما كنت تقوم بما اعتاد البشر القيام به
عندما يحين موعد عملهم ؟ .

رد حسن :

- لا لم أسمع

رد بريخ والملامح الغاضبة تتشكل على معالم
وجهه مرة أخرى :

- أنت خادم عندي وأنا سيدك من الآن لقد
جلبتك من عالم البشر حتى تخدمني وإذا
حاولت لعب دور المعارض الشجاع كما حاول
الكثير من بني جنسك من قبل فتأكد من أنني
سأحرقك حيا وألقي برمادك في أقرب حفرة
والآن اتبعني .

كان يبدو في كلامه الجدية ولم يشأ حسن أن يعارضه فقد تأكد من أنه ليس في حلم وتأكد أيضا أن الغريب قوي بما يكفي لفعل ما يقوله وقد كان هو نفسه من قتل عصام والبقية لذلك ليست له مصلحة في تحديه مطلقا وما أدهشه فعلا هو أنه لم يصب بعد بالجنون بعد كل الذي حدث وكان يشعر أنه طبيعي تماما على الرغم من أنه في عالم آخر غريب وحيد وليس بيده من حيلة سوى أن يتكيف مع الواقع الجديد حتى يجد حلا لكي يعود إلى بيته أو عالمه بشكل أكثر دقة ، ارتفع الغريب قليلا عن سطح الأرض وتحرك في الهواء وطلب منه أن يتبعه فأخذ يمشي وهو ينظر بذهول إلى قدرته العجيبة على الطفو هكذا وفي نفس الوقت يحاول تذكر اسم سيده " رخيخ بل رياخ ... " كان يتقدم للأمام وفي نفس الوقت ينظر هنا وهناك لعله يجد منفذا لكي يهرب من كل هذا الجنون لكن أنى له ذلك وهذا الشيء يراقبه وبإمكانه سلب حياته عند أدنى

حركة وهو يشعر بالمرارة بسبب طموحاته
الغبية التي أوصلته إلى الحضيض بشكل لم
يره حتى في أسوأ كوابيسه مستعبدا في عالم
آخر من قبل مخلوق يقذف صواعق من
السماء ياله من سخريّة ، مشى لوقت
طويل جدا حتى بدأ يشعر بألم في ساقيه وكان
كل ما يراه في الطريق هو الأراضي الواسعة
الممتدة المكسوة بالعشب الأخضر الطويل ولم
يشأ أن يثير المزيد من المشاكل مع سيده
المزعوم لذلك كان عليه أن يتحمل مزيدا من
التعب، حتى لاحت له من بعيد قرب أحد التلال
ما بدا أنها قرية أو مدينة صغيرة حيث كانت
الأبنية السوداء الشبيهة بالعلب بادية للغان
وكلما اقتربا منها ظهر جدار حجري عالي
يطوقها ، قال برياخ وهو يشير إليها :
- هنا تقيمون أيها البشر في هذه التجمعات
التي تليق بكم وبصغاركم المزعجين .

مرا بجوار الجدار وبدت القرية خالية من أي
حياة عدا بعض أصوات بكاء الرضع التي
كانت تسمع بين الفينة والأخرى وراودته
العديد من الأسئلة حولها وحول الناس
المقيمين فيها "على الأقل لست بمفردى" فكر
هكذا قبل أن يسأل :

- ولكن أين هم سكانها ؟ .

توقف برياخ مكانه واستدار متفرسا وجهه
قبل أن يقول :

- ممنوع عليكم أن تطرحوا أسئلة أو تناقشوا
سادتكم في أي مسألة أيها البشر ، ولكن بما
أنك جديد هنا فسأجيبك ولا تسألني عن شيء
بعد هذا.

أومئ حسن موافقا وهو يحاول أن يكتم غيظه
ليرد برياخ بغرور :

- رفاقك العبيد يعملون الآن في المدينة
المجاورة وهي عاصمة قبيلتنا ولن يعودوا
حتى يحين موعد الغسق .

أكمل طريقه عبر السهل وهو غارق في
التفكير في كل ما شاهده للتو آملا أن يكون
كل هذا مجرد كابوس سيستيقظ منه عما
قريب ليجد نفسه في غرفته الصغيرة ، بعد
مسيرة طويلة وصلا إلى العاصمة وكانت من
أعجب ما رآه حسن حيث كانت بناءاتها عبارة
عن مكعبات سوداء ضخمة تنبعث منها أعمدة
دخان عملاقة بلون رمادي يصعد إلى السماء
المكفهرة وكانت هي الأخرى محاطة بسور
طويل وقف عليه بلا حراك حراس طوال
القامة يشبهون برياخ في لون العينين لكنهم
يختلفون عنه في الملامح ولون الشعر فمنهم
الأسود والأبيض . تقدم الإثنان نحو باب كبير
مغلق في وسط السور كان هذا هو المدخل
إلى المدينة ، توقف برياخ وحسن أمامه

ومباشرة نزل أحد الحراس من الأعلى وكان
طويلا جدا أطول من برياخ نفسه وكان لون
بشرته شديد السواد وعيناه الخضراوتان
تلمعان ، نظر إلى حسن ثم إلى برياخ قبل أن
يبدأ بينهما حوار بلغة غير مفهومة وكانا
يشيران إلى حسن بين الفينة والأخرى فأدرك
أنهما يتحدثان عنه ، انتهى الحديث و دفع
الحارس الباب فانفتح محدثا ضجة هائلة
ودخل برياخ أولا ثم تبعه حسن وهو يرفع
رأسه برعب ناظرا إلى الحارس الذي يبدو أن
قوته تفوق قوة برياخ بأضعاف ، وجد عالم
آخر في الداخل مختلف تماما عن الخارج
مكعبات سوداء ضخمة لها أبواب واسعة
يدخل ويخرج منها عدد من أشباه برياخ
وكذلك مجموعة من الأقزام يحملون أحجار
وأغراضا أخرى ... نظر جيدا ليدرك أنهم
ليسوا أقزاما إنما بشر من مختلف الأعراق
كانوا يتحركون هنا وهناك بسرعة عبر
الشوارع وآثار العبودية والضياع بادية على

ملاحمهم وقد ارتدوا ملابس واسعة صفراء
موحدة تشبه العباءة وصنادل تكشف عن
أقدامهم المغبرة المتسخة والواضح أنها
صممت خصيصا من أجل طبيعة وظروف
الأعمال الملقاة على عواتقهم كان بعضهم
يتحركون ببطء من شدة الإرهاق وقد حملوا
حجارة سوداء كبيرة على ظهورهم أو في
حمالات واسعة يمسك بها اثنين من الأطراف
أو في عربات يدفعونها أمامهم وقد اتجه
بعضهم إلى داخل المكعبات الكبيرة فيما كان
النوربا الخضر يطرون فوقهم وقد انشغل
عدد منهم بمراقبتهم فيما كان آخرون منهم
يتبادلون أطراف الحديث عند مدخل أحد
المكعبات ومن أسفلهم تحرك العبيد البشر
وكان أغلبهم من الذكور في صف طويل وهم
يحملون تلك الحجارة ، كان أحد هؤلاء العبيد
رجلا نحيفا بدا الضعف عليه وكان يحمل رفقة
شاب حمالة تكدست عليها كمية من الحجارة
أخذ حسن ينظر إليه وهو يشعر بالشفقة لحاله

ثم فجأة تهاوى الرجل على الأرض وسقطت
الحمالة ومعها الحجارة ، والغريب أنه لم
يكثرث لأمره أحد من الواقفين في الصف
وواصلوا طريقهم كأن شيئاً لم يكن حتى
الشاب نفسه الذي كان معه اندفع نحو كومة
الحجارة الساقطة على الأرض وأخذ يحاول أن
يجمع ما استطاع منها ، تابع حسن المشهد
بألم وخوف وهو يدرك أن مصيره سيكون
كهؤلاء لا محالة ضعيفا عديم الرحمة ميتا من
الداخل ، تقدم أحد النوربا من من كانوا
واقفين عند المدخل وأخذ يحرك الرجل الملقى
على الأرض بقدمه قبل أن يصرخ بصوت
جهوري :

- هيا انهض ...

حاول النهوض لكنه لم يتمكن من ذلك ،
عندها رفع النوربا يده عاليا وقد بدأ تضيء
بضوء أبيض ثم مباشرة وجهها نحوه لينطلق
منها برق وفي لمح البصر أصابه محدثا

صوت انفجار عاليا ومحولا إياه إلى أشلاء
تطايرت هنا وهناك وأصابت بعض من كانوا
في الطابور لكنهم لم فعلوا شيئا واستمروا في
التقدم وعلى وجوههم نظرات العجز والخنوع
وقد نظر بعضهم إلى حسن وبدا وكأنهم
يحدرونه بإيماءات من أعينهم ، رآه أحد النوربا
الذين كانوا عند المدخل فصرخ عليه بلغة غير
مفهومة ولكن استطاع حسن أن يفهم أن عليه
المشي بسرعة واللحاق ببرياخ والذي كان
مشغولا بالحديث مع نوربا آخر ، أكمل
المسيرة وفي الطريق مروا على المزيد من
المكعبات الكبيرة وقوافل العبيد وقد لاحظ
حسن أنهم كان يحدجونه بنظرات غريبة لربما
بسبب عدم ارتدائه ملابس مثلهم وبقائه شبه
عار ، وصلا أخيرا إلى مكعب كان أكبر من
باقي المكعبات الأخرى ولكنه خالي من النوافذ
كالبقية وكان محاطا بمجموعة غريبة من
النباتات المتعرجة الملتصقة بسور أحاط به ،
وانشغلت مجموعة من العبيد البشر وكان

أغلبهن من الإناث بتقطيعها وتقليمها وهم
يصعدون على سلالم خشبية وكانت بعض هذه
النسوة يحملن أطفالهن الصغار في أكياس
على شكل حقائب معلقة على ظهورهن، دخلا
عبر بوابة السور وقابلتهما ساحة واسعة من
العشب الأخضر و بها أشجار ضخمة ذات
أوراق بنفسجية وكان عدد من النوربا
يطوفون بالساحة ويراقبون العبيد واستنتج
حسن أن هؤلاء هم حراس المكان فقد كانوا
يشبهون الحراس الذين رأهم عند البوابة قبل
قليل ، مشيا عبر طريق مرصوف في منتصف
الساحة وقبل أن يصلا إلى الدرج المفضي
إلى باب المكعب سمعا صوتا يشبه الزئير
تبعته صرخات مرتعدة ، استدار حسن ليرى
نباتا ضخما يشبه الزهرة ينقض على أحد
العبيد ويطوقه بمجساته قبل أن يرفعه إليه
عاليا ويلتهمه مباشرة فيما هرب الآخرون
برعب ووقف الحراس يتابعون المشهد
بلامبالاة لبرهة قبل أن يطلق أحدهم البرق من

يده على النبات الذي انفجر كقنبلة مخلفا
سائلا أخضر لزجا تتناثر في المكان ثم أمر
البشر المذعورين بالعودة للعمل فعادوا
مسرعين وكأن شيئا لم يحدث ، قال برياخ
وهو يراقب المشهد :

- يحدث هذا أحيانا ، معظمهم تنقصهم الخبرة
في التعامل مع هذه الوحوش المفترسة لا بد
أن أحدهم قطع رأس الزهرة بالخطأ .

ثم أكمل طريقه نحو الباب الذي وقف إلى
جانبيه حارسان ، كاد حسن يقع مغشيا عليه
من هول ما رأى لكنه تماسك بصعوبة وتبع
برياخ الذي دخل عبر الباب إلى قاعة واسعة
مضاءة بكرات أخذت تطفوا في الأعلى
وصابيح كبيرة معلقة في أعلى السقف وعلى
جانبيه توزع عدد من الحراس وخلفهم تماثيل
ضخمة تجسد مجموعة من النوربا وعيونهم
الخضراء تلمع وفي ذراع كل منهم كرة

خضراء تلمع شبيهة بالجوهرة ، توقف برياح
ونظر إلى حسن المنهك وقال :

- ستقابل الملك والشيخ حتى يفحصانك وما إن
نصل إليهم ستتحني ، أفهمت ؟

رد حسن وهو يتذكر مشهد النبات برعب :
- نعم ... لقد فهمت .

كان البهو واسعا وعلى جانبيه عدد من
الحراس السود يقفون بصمت ، وكان مفروشا
ببساط طويل يمتد حتى عرش الملك والذي
كان عبارة عن قاعدة حجرية ارتفع فوقها
الملك وهو يطفو في الجو وإلى جانبه طفا
الشيخ وكان طوله مقاربا لطول برياح وقد
ارتدى عباءة شديدة البياض بمثل لون شعره
ولحيته الطويلة على الرغم من خلو وجهه
من التجاعيد، وكان حجم عينيه صغيرا لكنها
بلون أخضر مثل البقية وفي زوايا القصر على
مقربة منهما كان بعض العبيد يقومون بتقليم

احدى النباتات الملتصقة بالجدار ، تقدم
برياخ يتبعه حسن حتى وصلا إلى العرش
وانحنى برياخ انحناءة طويلة وقلده حسن
بطريقة مضحكة قبل أن يقول برياخ بلغة
غريبة عن حسن :

- أحي ملك شعب الأفاشت العظيم وشيخه
العظيم الجليل وها أنا أعود مع هذا العبد بعد
رحلة قصيرة إلى عالم البشر ...

نظر الملك لحسن الذي شعر ببعض التوتر
وحاول أن يظهر أكبر قدر من الإحترام وقد
لاحظ أن وجه الملك أكثر ابيضاضا وشعره
طويل يلمع بشكل ملفت و على معصمه
جوهرة خضراء كبيرة تلمع شبيهة بما رآه
على تلك التماثيل قبل قليل ، نظر الشيخ
بدوره إليه وقال لبرياخ وهو يرتفع قليلا
للأعلى :

- حسنا سأقوم الآن باختباره وفحصه

تحرك نحوه رافعا يده التي أخذت تلمع وشعر
حسن بالدعر وقفزت إلى ذاكرته المشاهد
المؤلمة التي تبعت هذا اللمعان من قبل
وانطلق يعدو هاربا، وحاول برياخ إيقافه قائلا
:

- اثبت مكانك أيها الأحمق ، الشيخ لا ينوي
إيدائك .

لكن حسن لم يستمع إليه وركض بعيدا عندها
صرخ أحد الحراس على بعض من أولئك
البشر فأسرعوا وأمسكوا به وثبتوه أرضا قبل
أن يطلق الشيخ شعاعا من يده أحاط بجسده
مشكلا فقاعة عملاقة منعتة من الحركة ، شعر
وكأنه داخل حوض من المياه الباردة وبدأت
الفقاعة تهتز بقوة وتصدر أصواتا غريبة قبل
أن تتوقف فجأة وتختفي تاركة إياه يسقط على
الأرض متألما وسمع الشيخ يقول :

- حسنا يا برياخ إنه سليم وقد علمته للتو
لغتنا حتى يتمكن من فهمنا و فهم باقي العبيد

لكن به نزعة غريبة يتوجب عليك الحذر
منها...

شعر بالذهول وهو ينصت للكلمات بتلك اللغة
ويجد نفسه قادرا على استيعابها هكذا ببساطة
كأنها لغته الأم ، شكر برياخ الشيخ ووعده
بالحذر وقدم هو وحسن انحناءة طويلة أمام
الملك الشاب الذي سأل قبل مغادرتهما :

- كيف عالم البشر يا برياخ ؟

برياخ :

- لم يتغير كثيرا يا ملكي لقد تطورا قليلا
لكنهم لا يزالون بعيدين جدا عن الوصول
للحضارة الحقيقية فهم لا يزالون يستعبدون
بعضهم البعض كما نفعل بهم ولا يزال الغرور
يميزهم عن باقي كائنات ذلك العالم

أومئ الملك ثم أشار لهما بالمغادرة فخرجا
من القصر الكبير ، ليشير برياخ مباشرة إلى

مكعب آخر أصغر حجماً يقع على مقربة من
قصر الملك ويقول :

- لغتنا لا تحتوي على بعض الكلمات التي
تعبر عن أحاسيسكم السخيفة ولذلك حاول أن
تتعلم بعضاً منها ما إن تلتقي بأمثالك .
ثم أضاف :

- سأخذك الآن إلى مقر الساعي البشري حتى
يتعرف عليك ويعرفك ببعض القواعد التي
ستلتزم بها أثناء العمل.

بالرغم من فضوله الشديد لطرح سؤال حول
هذا الساعي إلا أن حسن التزم الصمت خشية
أن يتحول إلى أشلاء إذا تجرأ وسأله وحاول
أيضاً أن يتأكد من صحة كلامه حول خلو
لغتهم من الكلمات التي تعبر عن الأحاسيس
وذلك عن طريق قول كلمة " حزين " غير أنه
لم ينجح في قوله شاعراً بفراغ في عقله ،
وهكذا وجد نفسه يعبر إلى داخل المبنى

الحجري المكعب والذي كان حراسه على غير
العادة من البشر حاملي الصولجانات مرتدين
ثيابا خضراء شبيهة بملابس العبيد الصفراء
وكانوا جميعهم ينحنون إذا ما مر بهم برياح
وكانوا يغمزون لحسن بسخرية وهم يتبادلون
الإبتسامات وأحيانا الضحكات الخفيفة وهم
ينظرون لعريه الذي يدل على أنه جديد وقادم
من عالم البشر. وصلا إلى غرفة الساعي
وكانت تقع في أعلى المبنى وأمام بابها وقف
حارس من البشر وإلى الجانب اصطفت
مجموعة من البشر رجالا ونساء ومن أعراق
مختلفة وكان على بعضهم آثار التعنيف
ينتظرون دورهم في الدخول، وسرعان ما
انحنوا ما إن رأوا برياح والذي تجاهلهم
ومضى إلى الداخل وقد اضطر إلى الإنحناء
وهو يدخل الغرفة الصغيرة ، وهناك كان
يجلس الساعي الذي بدا في أواخر الأربعينيات
من العمر ذو قامة قصيرة وشعر أسود
اختلطت به شعيرات بيضاء مع لحية بيضاء

تماما وكان يرتدي عباءة زرقاء ذات تصميم
فاخر تشي بعلو مقامه عن البشر الآخرين
وجلس على كرسي وطاولة حجرية رمادية
تشبه المكتب لكنها أصغر حجما وكان المكان
ملئنا بعدد من الكتاب ذوي العباءات الحمراء
الذين انشغلوا بالكتابة على أوراق بيضاء
بأقلام طويلة وكان هناك رجل رفقة زوجته
جالسين على الكراسي أمامه وكانت المرأة
تقول شيئا قبل أن تصمت وتنهض هي و
زوجها والساعي وجميع من كان في الغرفة
وينحنون بإحترام لبرياخ الذي تقدم نحو
الساعي وهو يقول بلهجة متعالية مغرورة :

- لقد عدت من عالمكم السافل أيها البشر
الضعفاء وقد جلبت معي عبدا جديدا سينظم
إليكم حتى يخدم قبيلتنا وملكننا .

وقف الرجل وانحنى مرة أخرى بإحترام شديد
ثم قال بلهجة متملقة وهو يرمق حسن :

- بالطبع يا سيدي بالطبع سيكون خادما
مخلصا لكم .

لينهره برياخ قائلا :

- كف عن الكلام وقم بعملك فأنا في عجلة من
أمري !

هز الساعي رأسه بسرعة وهو ينكب على
مجموعة من الأوراق بيد مرتجفة ، وأخرج
ورقة صفراء صغيرة وأمسك بالقلم الطويل
وقبل أن يبدأ بالكتابة نظر إلى الرجل وزوجته
الليذان كانا ما يزالان واقفين على جانب
الطاولة وقال وهو يشير إلى الباب :

- فيما بعد ، فيما بعد ألا تريان أن سيدكما في
عجلة من أمره .

ليسرعا بالخروج فيما جلس حسن على
الكرسي الحجري بناءا على طلب الساعي
والذي سأله أسئلة كثيرة عن اسمه الكامل
والبلاد التي جاء منها وعن عائلته وأصدقائه

وحياته ... وكان يدون كل إجاباته على تلك
الورقة الصفراء وقد شعر حسن بأنه غير
قادر على تذكر بعض التفاصيل الصغيرة التي
كان يحفظها عن ظهر قلب من قبل ، بعدها
تقدم منه رجلان من المتواجدين في الغرفة
واصطحباه إلى غرفة أخرى خالية تقع خلف
مكتب الساعي وهناك قاما بقياس طول
ووزنه وفحصا شعره وأسنانه وسائر جسده
تقريبا باستعمال أدوات لم يرى مثلها مطلقا ،
بعد ذلك أخرجاه من الغرفة وأعاداه إلى
الساعي وسمع أحدهم يقول بأنه سليم تماما ،
ليدون ذلك على الورقة الصفراء قبل أن يشير
إليهما مرة أخرى ليعودا ويأخذانه خارج
الغرفة إلى الأسفل حيث أدخلاه إلى سرداب
عميق مظلم اصطفت على جانبيه عدد من
الأبواب الحديدية المقفلة وفتح الرجل أحد هذه
الأبواب وأدخل حسن إليها ، كانت غرفة
صغيرة بها حوض صغير مملوء بالماء
الساخن بالإضافة إلى مرآة مثبتة على الجدار

وأمامها كرسي حجري صغير، طلب منه
الرجل أن يدخل ويستحم بالماء بسرعة فيما
أحضر الرجل الآخر ملابس العبيد الصفراء
مطوية بعناية وفوقها صندل بني اللون وكيس
صغير به مسحوق أبيض اللون وطلب منه أن
يضعه على وجهه وجسده بعد أن يببله بالماء
ويحلق به لحيته وسائر شعر جسده باستثناء
رأسه بإستعمال الشفرة الموجودة أسفل
الكرسي كي لا ينبت من جديد محذرا إياه من
مغبة وضعه على رأسه كي لا يصاب بالصلع
، ولم يرد حسن في بادئ الأمر حلق لحيته
بالكامل خاصة وأنها لن تنبت من جديد إلا
أنهما حذراه من العصيان كي لا يقتل . وهكذا
اضطر للدخول مكرها واغتسل جيدا بالماء في
الحوض شاعرا براحة غريبة وكأنه يولد من
جديد وكأن التعب الذي لازمه منذ مجيئه قبل
قليل قد اختفى فجأة، وضع المسحوق الذي
تحول إلى مايشبه الرغوة بمجرد تفاعله مع
الماء على وجهه ثم أطرافه مراعيًا قدر

الإمكان ألا يلمس ولو شعرة من رأسه وبدأ
يزيل الشعر بأسى شديد بإستعمال الشفرة
الحادة التي أدمته مرات كثيرة وهو يفكر في
حجم المصيبة التي أوقع نفسه بها بتهوره
وتمنى لو أنه مات مع رفاقه في البحر على
أن يعيش هذه الحياة الذليلة البائسة ، أمضى
وقتا طويلا لدرجة أنه سمع قرعا مرتفعا على
الباب وصوت أحد الرجلين يأمره بالإسرع ،
بعد أن انتهى ارتدى الصندل و الملابس
الصفراء والتي كانت بحجمه تماما بدقة
شديدة ونظر إلى نفسه في المرآة ليصاب
بالصدمة من التغيير الذي طرأ عليه إذ صارت
بشرته أكثر ابيضاضا ونضارة وزادته
الملابس جمالا ووسامة وأخذ يتأمل شكله
الجديد لبرهة قبل أن يرتفع القرع مرة أخرى
. بعد أن خرج اصطحبه رجل منهما إلى غرفة
الساعي مرة أخرى وكان البشر مايزالون
ينتظرون في الخارج وقد جلس بعضهم على
الأرض من كثرة الوقوف والإنتظار ، كان

الساعي جاسا يحدث برياح الذي كان مايزال
واقفا عن مدى حب البشر للملك وشعورهم
بالإمتنان الشديد وكان برياح يستمع إليه
بلامبالاة قبل أن يقطع قرع مرتفع على الباب
حديث الساعي المتملق والذي أذن لهما
بالدخول فدخل حسن بمظهره الجديد وأخذ
برياخ ينظر إليه باهتمام قبل أن يقول الساعي
:

- ياله من عبد قوي جميل يا سيدي ، لقد
أحسنتم الإختيار ببصيرتكم وخبرتكم التي ...
قاطعته برياح :

- هيا هيا ، كف عن هذا الهراء وأتمم عملك
ليأمر الرجل أحد الكتاب بأن يحضر له كتابا
ضخما أخضر اللون من احدى الخزائن ، قام
بفتحه ومزق منه صفحة بطول نصف متر
تقريبا سلمها لحسن وقال :

- هذه الصفحة أيها العبد هي قانون قبيلة
الأفاشت وتحتوي على قوانين تخصكم أنتم
العبيد والعقوبات المفروضة عليكم إذا ما
حدث وتجاوزتموها

ثم أضاف مبتسما :

- آه ، كم هي جميلة قوانين قبيلتنا المظفرة
إنها الأفضل على مستوى كامل أرض الأفول
و إذا حدث أيها العبد وتعرضت للضرب من
قبل عبد آخر أو تمت سرقة أشياءك من عنابر
النوم في قراكم أو حتى أردت الزواج من أمة
فكل ما عليك فعله هو طلب الإذن من سيدك
العظيم حتى يسمح لك بالقدوم إلينا وستجدنا
هنا طوال الوقت وفي أي ساعة بإستثناء وقت
العسق ...

ثم مزق ورقة أخرى من نفس الكتاب وأعطاه
له قائلا بأنها ورقة تعريفية بقبيلة الأفاشت
وتاريخها العريق والنظم والأوقات المحددة
لعمل وراحة العبيد وكل ما يتعلق بحياتهم

اليومية طالبا منه أن يقرئها عندما ينتهي
العمل فقام بوضعها في جيب عبائه الواسع

- أخيرا جاءت اللحظة الأهم لك أيها العبد

تكلم الساعي وهو يسلم الورقة الصفراء التي
بها معلومات حسن إلى أحد الكتاب الذي قام
بوضعها في خزانة وقام بإقفالها بإحكام ، نظر
إليه حسن بعدم فهم قبل أن يشير إلى الرجل
الذي اصطحبه للأسفل سابقا والذي انقض
عليه وثبته بقوة في الأرض وأخذ حسن
يصرخ :

- ماذا تفعل ؟ توقف .

لكنه ثبته بقوة على الأرض بيديه
القويتين ، واقترب منه آخر وهو يحمل
عصا حديدية التصقت بنهايتها جوهرة
خضراء كبيرة وكان واضحا أنها تلتهب
حرارة ، ولم يحتج حسن لوقت طويل

ليدرك أنه سيكوى بها وكان هذا ما حدث
بالفعل إذ هوت العصا على ذراعه
الأيسر لتلتصق الجوهرة بها مصدره
صوت احتراق عاليا ، شعر بألم حاد لم
يشعر به من قبل وكان لحم ذراعه
ينسلخ عن عظمه وأطلق صرخة عالية
ارتجت لها أركان الغرفة ، قبل أن يبتعد
عنه أخيرا وقد ارتسم على ذراعه قرص
أحمر كبير في وسطه جوهرة خضراء
كبيرة تدل على أنه من عبيد الأفاشت ،
كان ألمه ما يزال شديدا ورائحة شواء
غريبة تعم المكان ، قال الساعي وهو
يكتب على ورقة بلامبالاة :

-والآن أصبحت رسميا منا وتابعا
مخلصا لسيدك برياح ، و عليك أن تنسى
كل ما يتعلق بحياتك السابقة وتتفرغ
لحياتك الجديدة معنا في طاعة الملك
المظفر .

شعر حسن بالغضب والغضب لأقصى
درجة وود لو ينقض عليه ويحطم
أسنانه ، لكنه لن يفعل ذلك فحياته على
كف عفريت الآن ولكن أفكار الإنتقام
بدأت تختمر في رأسه وقبل أن يغادر
طلب منه الساعي أن يتوجه إلى مندوب
القرية بمجرد انتهاء العمل من أجل أن
يسجله في قوائم العبيد القادرين على
العمل وكذلك في قوائم العزاب حتى
يحصل على مكان للنوم وبالطبع لم يفهم
حسن شيئا من هذا الكلام واكتفى
بتحريك رأسه موافقا وهو يتحسس بيده
مكان الحرق في كتفه والذي كان يؤلمه
بشدة . انتهت الإجراءات أخيرا وهاهو
يغادر المكان رفقة برياخ إلى الخارج
وعلى الرغم من مرور وقت طويل في
الداخل إلا أن الجو ما يزال مظلما كئيبا
وأعمدة الدخان تتصاعد من المكعبات
إلى السماء وكان العبيد البشر يتحركون

هنا وهناك وهم يحملون الحجارة
والأغراض المختلفة ، سلك حسن رفقة
سيده عددا من الطرقات المرصوفة
والشوارع الجانبية حتى وصلا إلى
مكعب مغلق بباب حديدي كبير وواسع
فتحه برياح عن طريق شعلة من يده
وأمره بالدخول ، دخل حسن لأول مرة
إلى واحد من هذه المكعبات التي أثارت
فضوله منذ أن دخل العاصمة ، وكان
خاليا تماما من الداخل إلا من أسطوانة
كبيرة ذات لون رمادي متصلة بأنبوب
واسع ملاصق للجدار ويمتد منها حتى
السقف مخترقا إياه فيما يشبه المدخنة ،
هناك أيضا هيكل حجري دائري يشبه
العرش الذي كان عليه الملك إلا أنه كان
أصغر حجما بالإضافة إلى مجموعة من
تلك الحجارة السوداء التي كان العبيد
يحملونها في الخارج ملقاة بإهمال قرب
الأسطوانة على الجانب الأيمن منها

وقف رجل عجوز ذو لحية بيضاء نحيف
الجسد ذو شعر طويل شديد البياض وهو
يحمل احدى الأحجار ببطنى وبصعوبة
شديدة وهو يهم بوضعها في فتحة فيها
وبدا وكأنه لم يشعر بوجودهما خلفه ،
قبل أن يستدير ويجلس على الأرض
وهو يغمغم بكلمات غير مفهومة وهو
يلهث من شدة التعب . نظر إليه برياح
بغضب قبل أن يتقدم نحوه وفي تلك
اللحظة قفز إلى ذهن حسن مشهد الرجل
النحيف الذي رآه يتحول لأشلاء عند
مدخل المدينة ، فابتلع ريقه بصعوبة
وأغلق عينيه وضربات قلبه تزداد قوة
حتى يكاد يخترق صدره والعرق يسيل
بغزارة من مسامات جلده ، جفل العجوز
وارتعدت أوصاله ووقف مرتجفا وهو
يرى سيده أمامه بقامته الفارعة وعيناه
اللتان تشعان غضبا قال برياح :

- إذا أنت تنام أثناء العمل أيها العبد ؟

حاول العجوز التكلم لكنه لم يستطع
وإزداد ارتجافه قبل أن تخونه قدماه
ويسقط على الأرض ونظرات الرعب
ترسم على ملامحه ، أمسك برياح
بخناقه ورفعته عن عاليا الأرض فقال
العجوز متوسلا بصوت ضعيف :

- الرحمة ، يا سيدي العظيم أقسم بأني
لم أكن نائما

لكن برياح قال بصوته المججلج :

- لا داعي لتوسلاتك أيها العبد الضعيف
فوقتك قد انتهى هنا وأن أوان التخلص
منك ، وقد أحضرت بديلا لك .

نظر العجوز لحسن الذي كان يحدق إليه
بدوره بأسى شديد شاعر بالعجز
والضعف لعدم تدخله ، انتفض العجوز
بيأس وقال :

- لا لا ، احتفظ بي يا سيدي أتوسل إليك
سأعمل بجهد مضاعف و سأساعدهم في

...

ضغط برياح على عنقه بقوة حتى يمنعه
من الكلام ثم انطلق به خارجا وهو
يصرخ طالبا الرحمة والمغفرة لكن
الأون فات ، كان حسن قد رأى الكثير
من المشاهد القاسية اليوم ولم يعد
يتحمل أكثر خاصة وأن له علاقة بما
حدث توا فانهار باكيا على الأرض وهو
يضرب الأرض بقبضته بقوة لدقائق قبل
أن يتوقف ويقف من جديد حينما سمع
صوت برياح وهو يدخل من جديد ،
اقترب منه فاستدار مواجهها والحنق
يملؤه اتجاه هذه المخلوقات اللعينة التي
تستعبد بني جنسه وتذلهم فقط لأنها
الأقوى والأكبر حجما . قال برياح وهو

يشير إلى الأسطوانة وكومة الأحجار
بجانباها :

- حسنا أيها العبد ستكون مهمتك من
الآن وصاعدا هي حمل تلك الحجارة
ووضعها داخل الأسطوانة عبر تلك
الفتحة ، بعد أن تنتهي من هذه الكومة
انتظر حتى يعود العبد الآخر بكومة
جديدة وابدأ العمل من جديد سأخرج
قليلا وقد أعود في أي لحظة والويل لك
إذا وجدتك نائما أو ملتها عن العمل
مفهوم ؟

هز حسن رأسه وهو ينظر برعب إلى
قبضة سيده الملتخة بالدم ، ثم تحرك
بتناقل نحو الأسطوانة ليبدأ عمله الشاق
وحياته الشاقة والتي لم يتخيل يوما أنها
ستكون بمثل هذه القسوة ، بدأ بحمل
الحجارة الثقيلة ووضعها في الداخل
حيث كانت تفتت إلى قطع صغيرة

بواسطة مطرقة تهوي عليها قبل أن
تسقط في صندوق صغير حيث يتم
تحويلها إلى تراب يصعد مباشرة عبر
الأنبوب إلى الخارج في الجو ، كانت
الحجارة ذات ملمس ناعم وكانت صلبة
وثقيلة وواجه في البداية مشقة في
حملها قبل أن يعتاد على الأمر شيئا
فشيئا ، أكثر من ساعة مرت عليه وهو
يعمل وفي نفس الوقت بدأ يفكر في
طريقة للهرب من ها المكان فجأة سمع
صوت خطوات قادمة من الخارج بالقرب
من الباب النصف مفتوح فظن أن برياح
قد عاد وأخذ يعمل بسرعة وتوتر قبل أن
ينظر بسرعة للباب ليجد شابا يجر عربة
تكدست عليها الحجارة السوداء كان في
مثل طوله تقريبا ذو شعر أسود قصير
وعينين سوداوتان وبشرة بيضاء فاتحة
وكان يتمتع ببنية جسدية قوية ظهر
منها ساعده القويين تحت ملابس العبيد

الصفراء القصيرة التي كان يرتديها ،
توقف أمامه ونظر كلاهما إلى بعضهما
البعض بذهول قبل أن يسأل الشاب :
- أنت العبد الجديد ؟

رد حسن بشيء من الضيق :

- نعم أنا هو

تقدم نحوه مد إليه يده المغبرة مصافحا
وقال :

- مرحبا بك في حياة المعاناة يا صديقي

...

رد حسن متعجبا من صراحته :

- إنها أسوء من المعاناة، إنها عذاب أليم
قال الشاب وهو يلتفت للخلف ليتأكد من
خلو المكان :

- للأسف الشديد حياة العبيد تحت حكم
الأفاشت هي الأسوأ في كامل عالم
الأفول ، من أي قبيلة أحضرت ؟ من
الحر أم من الزرق ؟

رد حسن :

- في الواقع أنا من مكان آخر غير هذا
تغيرت ملامح الشاب ونظر إليه بذهول
سائلا :

- حقا ؟ هل أنت من عالم البشر ؟

هز حسن رأسه موافقا ، فقال الشاب
بصوت عال :

- هذا مذهل ، إنها المرة الأولى التي
أصادف فيها عبدا قادمًا من عالم البشر
هل عالمكم شبيه بعالمنا كما يقال ؟ هل
أعداد البشر فيه كبيرة ؟ أمثالك نادرين
للعناية هنا .

سأله حسن :

- لماذا تسأل؟، أأست من عالمنا؟

الشاب :

- أنا من المولدين ، من نسل العبيد
الأوائل

حسن مستفهما :

- هل يمكنك أن تشرح لي أكثر كلامك
هذا؟

مباشرة بدأ الشاب بسرد قصة العبيد
الأوائل الذين أحضروا عندما اكتشف
النوربا طريقة للعبور إلى العوالم
الأخرى بعدها تكاثروا وأصبحوا يشكلون
الأكثرية في عالم الأفول مستغلين من
قبل أسيادهم أبشع استغلال، وكانت نفس
القصة التي سمعها حسن من برياخ مع
القليل من الإضافات ، دفع الشاب العربية

نحو الأسطوانة وقال وهو يفرغ الحجارة
منها :

- لاشك أن برياخ قد أمرك بوضع
الحجارة داخل الأسطوانة ، إنها مهمة
صعبة وتتطلب جهدا كبيرا لكنها أقل
مشقة من مهمة جلب الحجارة من الحفر
أو تقليم نباتات الحدائق المفترسة .

أثار كلامه فضول حسن فسأل :

- إذن كل الناس الذين رأيتهم بالخارج
كانوا قادمين من هذه الحفر ؟

الشاب :

- معظمهم ، نحن نسافر لمسافات طويلة
خارج المدن والقرى لنصل إليها حيث
نستخرج الحجارة ثم نعود ونضعها داخل
هذه الأسطوانات الموجودة في كل بيت
من بيوت شعب النوربا وهذا حتى تطلق
الدخان الشاحب في الجو

حسن :

- ولكن لماذا يطلق الدخان ؟

الشاب محذرا :

- لا أعلم وأنصحك ألا تحاول معرفة ذلك

فالفضول هنا جريمة عقوبتها قاسية ،

هنا النوربا يأمر وأنت تنفذ هذا كل شيء

شعر حسن بالخوف قليلا ولذلك سكت و

تجنب طرح المزيد من الأسئلة ، انتهى

الشاب من إفراغ حمولته وقال وهو

يمسح العرق المتصبب على جبينه :

- سأعود لجلب المزيد وقم أنت والعجوز

فاتش بوضع المزيد داخل الأسطوانة ،

أين هو لم أجده في الخارج ؟

تذكر حسن المشهد المؤلم الذي حدث

فأخبره بما حصل ، وعلى الرغم من

علامات الصدمة التي ظهرت على

الشاب إلا أنه لم يقل شيئا بل حمل

العربة وخرج مسرعا ، مر وقت قصير
قبل أن يعود برياح لكي يتفقد وتيرة
العمل وعندما رأى حسن يعمل بشكل
جيد عاد وخرج مرة أخرى، واستمر
حسن في حمل الحجارة الثقيلة ووضعها
داخل الأسطوانة حتى هذه التعب ولم
يستطع الإستمرار وكان الألم في كتفه
يزيد من معاناته، ولكن خشيته من
عودة برياح جعلته يتابع العمل ولكن
ببطئ شديد ، ساعة مرت قبل أن يسمع
وقع خطوات في الخارج مرة أخرى
وظن أن القادم هو سيده لكنه لم يكن
كذلك بل كان الشاب الذي التقاه للتو يجر
تلك العربة المحملة بالحجارة وكانت
معه ما بدا له أنها فتاة هذه المرة ،
توقف عن العمل ما أن رآهما يدلغان إلى
الداخل وركز انتباهه أكثر على الفتاة
التي ما إن اقتربت منه حتى صعق من
شدة جمالها وحسنها وأخذ يتأملها

بإعجاب كبير ، كانت تشبه البدر في
وجهها و كانت بشرتها بيضاء كالحرير
و شعرها الأسود الفاتح منسدلا وقد
ظهرت عيناها الخضراوتان الواسعتان
الكبيرتين من بعيد كأنهما جوهرتان
ثمينتان ، شعر بالدم يصعد إلى وجنتيه
فيجعلهما أكثر احمرارا وشعر بكل تلك
المرارة و ذلك الحزن يختفيان فجأة
ويشعر بالسعادة لأول مرة منذ أن وطئت
قدماه عالم الأفول فقط لأنه رآها أمامه ،
وقفت الفتاة بعيدا عنه فيما تقدم الشاب
وهو يقول :

- ها قد عدت من جديد

ساعده حسن على افراغ حمولته وهو
يتطلع بين الفينة والأخرى إليها وهي
تنظر بلا مبالاة إلى أنحاء المنزل المكعب
وشعر بالقليل من سوء لأنها تتجاهله
وكأنه غير موجود ، أخذوا يضعان

الحجارة في الأسطوانة وهما يتبادلان
أطراف الحديد وود لو يسأله عنها ،
وكاد يفعل ذلك لولا أنه خشي أن يتسبب
في مشاكل هو في غنى عنها خاصة
وأنه لا يعلم بعد الصلة بينه وبينها ، قال
الشاب وهو منهمك في العمل :

- عدد هائل من العبيد يتوافدون على
الحفر القريبة من هنا واضطرت
للإنتظار طويلا حتى أعود بهذه الحمولة
لم يجبه حسن بشيء فقد كان مشغولا
بمراقبة الفتاة قبل أن يكمل :

- لقد حدث شجار كبير في الداخل وجرح
عدد من العبيد ، فلقد اعتقد أحدهم أن
شخصا ما سرق عربته أثناء غيابه ولم
يجد سوى من كان بقربه حتى يلقي
عليه اللوم، وهكذا حدثت ملامسات
سرعان ما تحولت إلى اشتباكات
انتشرت عدواها إلى البقية ولولا أن

حراس الساعي تدخلوا لكانت مذبحه
كبيرة قد وقعت ومن حسن الحظ أن
النوربا لم يكونوا قربهم فهم يكرهون
الشجارات بين العبيد لأنها تشغلهم عن
العمل ...

استمر الشاب في الحديث ولكن حسن
لم يعد يشعر بالعالم من حوله بل كان كل
اهتمامه منصبا على الفتاة وتجاهل
سؤال رفيقه عما إذا كان بخير أم لا بعد
أن لاحظ شروده ، لكن الحوار لم يستمر
فهاهو برياح يعود مرة أخرى ووقف
عند المدخل يراقبهم قبل أن يناديهم
ويأمرهم بالقدوم إليه ، أسقط الشاب
الحجر الثقيل من يديه وهمس لحسن :

- هيا هيا ، أسرع

توقف حسن وتبع الشاب وهو يرى
الفتاة تتبعهما بدورها خفف من سرعته
حتى أصبحت بجانبه كانت أكثر جمالا

وحسنا من قرب أخذ ينظر إليها محاولا
لفت انتباهها لكنها تجاهلته وأسرعت
بتجاوزه ، شعر مرة أخرى بالحزن لكنه
لن يتوقف عن المحاولة . وقفوا جميعا
أمام برياخ بقامته الطويلة وعبأته
السوداء المظلمة نظر إليهم مطولا قبل
أن يسأل حسن بنبرة جافة :

- إذا أيها العبد الجديد هل تعرفت إلى
رفاقك الجدد؟

هز رأسه نافيا فقال برياخ للشاب :

- لماذا لم تعرفه بنفسك و بالأمة هل
نسيت ذاكرتك الضعيفة تقاليدنا ؟

رد بصوت خفيض :

- كنت سأفعل ذلك يا سيدي ...

برياخ مقاطعا:

- إذا قم بذلك بسرعة وأخبره بموعد بدأ
ونهاية العمل لدي فهو لا يعرف ذلك بعد
وبعد أن تنتهي أكمل العمل في
الأسطوانة

ثم نظر إلى الفتاة وقال :

- اذهبي إلى منزل صديقي زافريشت
وساعدي الإيماء هناك في تنظيف
وتزيين النباتات حول بيته ، فأنت
تجيدين فعل ذلك وبعد أن تنتهوا ويحين
وقت الغسق عودوا إلى مدينتكم و غدا
يبدأ العمل من جديد في الوقت المعتاد ،
مفهوم ؟

ردوا بصوت واحد :

- مفهوم .

عندها ارتفع برياخ عن الأرض وطار
بعيدا إلى الخارج ، زفر الشاب بإرتياح
وقال :

- من كلامه أفهم أنه لن يعود مرة
أخرى لبقية اليوم ، لكننا سنواصل العمل
على أي حال .

ثم نظر إلى حسن وقال :

- أدعى داشر وهذه ريحان وأنا أعتذر
لأنني نسيت تعريفك بنا

ثم مد يده إليه وصافحه بقوة وكأنهما
يلتقيان للمرة الأولى ، وانتظر حسن أن
تحذو ريحان حذوه لكنها لم تفعل بل أنها
لم تبادله حتى تلك الإبتسامة البلهاء
التي ارتسمت على وجهه ، قبل أن
تستأذن وتغادر بسرعة تاركة إياه في
دوامة من الإحباط والفضول لمعرفة
المزيد عنها ، " فتاة بمثل جمالها لاشك
أنها متزوجة أو مخطوبة " فكر هكذا
قبل أن يقرر كسر حاجز الإحترام مع
داشر ويسأله عنها وفيما هما يحملان

الحجارة سأله بلهجة حاول جعلها
محترمة قدر الإمكان :

- تلك الفتاة هل بينك وبينها أي صلة ؟

نظر إليه داشر نظرة جانبية وقال :

- لا ، ولكنها بمثابة أخت لي

حسن :

- إذا هي من المولدين ؟

داشر :

- لا ليست كذلك فاسمها ريحان وهو اسم

يبدو من عالمكم أليس كذلك ؟

حسن :

- نعم .

أكمل داشر :

- لقد جاء بها برياخ من احدى رحلاته

قبل سبعة عشر سنة من الآن وكانت لا

تزال طفلة في الخامسة لا تعرف شيئاً
سوى ترديد اسمها باستمرار ، وقد
حملت أسرتي عاتق تربيتها حتى كبرت
وهي تعيش معنا الآن في نفس المنزل
- إذا أنتم أسرة واحدة ؟

- نعم أنا وهي ووالدي المقعد أما عن
والدتي فقد توفيت منذ زمن بعيد .

كانت إجابات داشر مقتضبة بشكل كبير
لذلك لم يشأ حسن أن يطرح المزيد من
الأسئلة وفضل أن ينتظر قليلا حتى
تتوطد علاقتهما أكثر ، مر الوقت
بسرعة وهما يعملان بصمت حتى انتهاء
من حمل جميع الحجارة ووضعها في
الأسطوانة ، ليقول داشر وهو يمسخ
العرق من على جبينه :

- الآن علينا أن نذهب إلى الحفر ونجلب
المزيد من الحجارة حتى لا نضطر
للذهاب غدا ، هيا اتبعني ...

توجه نحو العربة وأخذ يجرها للخارج
وحسن يتبعه وهو متلهف لرؤية هذه
الحفر الغريبة ، تحركا عبر عدد من
الشوارع التي امتلئت بالعبيد البشر وهم
يجرون العربات بسرعة ويحملون
الحجارة لداخل المكعبات وأسيادهم
النوربا يخلقون فوقهم ويراقبونهم
بانتباه ، قلت الحركة شيئا فشيئا وقلت
معها أعداد المكعبات العملاقة وهما
يخرجان من المدينة إلى طريق محفور
وسط السهل العشبي الواسع وكانت به
حركة قليلة من البشر ذهابا وإيابا الأمر
الذي جعل حسن يكسر حاجز الصمت
ويسأل داشر قائلا :

- هل الحركة قليلة دائما هكذا ؟

ضحك داشر وقال :

- في العادة يغص هذا الطريق بالعبيد
لدرجة أن الحركة تتوقف من الزحام
وبالأخص عندما يحل موعد العمل ويأتي
العبيد من قراهم ، وقد حدث في العام
الماضي تدافع عنيف قتل بسببه عدد من
الناس ومنذ تلك الحادثة أصبح النوربا
يوجهونهم إلى أماكن أكثر بعدا
والوصول إليها يتطلب المرور عبر
طرق محفوفة بالمخاطر

سأله حسن :

- إذا هناك حفر أخرى

داشر :

- بالطبع لكنها بعيدة جدا والنوربا لا
يحبون أن يتأخر العبيد كثيرا لذلك تجد
أن معظمنا يأتي إلى هذه الحفر بسبب
قربها من المدينة

هز حسن رأسه بفهم وأكملا المسيرة
عبر الطريق الموحش الذي خلا من
البشر ، حتى وصلا إلى بوابة كبيرة
أمامها مجموعة من حراس الساعي ،
تقدم داشر منهم وتبادل بضع كلمات مع
أحدهم ، وقف حسن يراقب من بعيد وقد
بدأ يشعر بوخزات خفيفة في ذراعه
مكان علامة حرق الجوهرة الخضراء
التي طبعت عليه بالنار الملتهبة وحاول
أن يتجاهل ذلك قدر الإمكان ، انتهت
المحادثة و انطلقا عبر البوابة الكبيرة
والتي لم يكن خلفها سوى الطريق
نفسها ولكن هذه المرة كان محاطا
بسور حجري صلب ، مشيا لفترة قبل أن
يلوح لحسن جبل ضخم من بعيد ذو لون
رمادي شاحب وفي وسطه كانت هناك
ثلاث حفر سوداء كبيرة واسعة، كان هذا
الجبل أمامه هو الأكبر في حياته ولم
يسبق له أن رأى جبلا آخر بمثل حجمه

بالإضافة إلى هذه الحفر العملاقة والتي
بثت الرهبة داخله ، قال داشر وهو
يشير إليها بأصبعه :

- هذه هي حفر كوغبار وهي الأضخم
والأعمق والأغنى في كل أراضي قبيلة
الآفاشت .

ومباشرة سأله حسن بفضول :

- هل تكون هذه الحفر محفورة في مثل
هذه الجبال دائما ؟

رد داشر :

- نعم ، لكن في بعض الأحيان تكون على
شكل ثقوب واسعة عميقة في الأرض ...

كان داشر يتكلم لغة النوربا بسرعة
كبيرة وبدا وكأنه يلوك الكلمات وقد وجد
حسن صعوبة في فهمه حتى بعد أن
أصبح يجيد نطقها وفهمها ، زاد حجم
الجبل والحفر مع اقترابهما منها حتى

وصلا إلى بوابة أخرى كانت أضخم من
الأولى وقربها تجمع عدد من حراس
الساعي وهم يحملون الصولجانات
الصفراء وقد كانت البوابة مفتوحة على
مصراعيها وخلفها كانت الطريق
الترابية مقسمة بواسطة سور حجري
آخر حتى يفصل بين حركة الذهاب
والإياب وقد وجد عدد من العبيد وهو
يدخلون ويخرجون بعرباتهم . مرا عبر
البوابة وهناك وجد حسن نفسه أمام
حفرة من الحفر الثلاثة وبدأت كأنها ثقب
أسود عملاق على وشك أن يبتلع كل
شيء أمامه ويلقيه في جوفه المظلم ،
كانت الطريق إليها مرصوفة بالحجارة
حتى تسهل حركة العربات والعبيد وإلى
اليمين واليسار ظهرت الحفرتين
الأخريتين ونفس الطرق الحجرية
المرصوفة تؤدي إليهما غير أن حواجز
كانت تفصل بينهم حتى يمنع الإختلاط ،

دفع دأشر العربة عبر الطريق الفارغ
وهو يقول لحسن :

- هذه الحفر قديمة قدم عالم الأقول نفسه
ويقال بأن ديدانا عملاقة من فصيلة
زوس حفرت هذه الحفر ويقال أيضا
بأنها تمتد عميقا إلى داخل الأرض ولم
يتمكن أحد من تحديد عمقها ، حتى أن
النوربا أنفسهم يتحاشون التعمق فيها

لم يكن حسن يصغي لكلمة إذ كان يحدق
بذهول إلى مدخل الحفرة والذي كان
واسعا وعاليا وكأنه ناطحة سحاب وكان
الجو باردا ورطبا في الداخل وكانت
قطرات من المياه تتساقط من الأعلى
بين الفينة والأخرى ، تقدم كل من دأشر
وحسن عبر الساحة الواسعة نحو فجوة
كانت أمامهما وكان بقربها عشرات
الفجوات الأخرى اختلفت أحجامها بين
كبير وصغير ولكنها جميعا بالحجم الذي

يسمح بمرور انسان وحتى عربة في
بعض الأحيان ن وكان بعضها يقع في
الأعلى ولا يمكن الوصول إليها إلا عن
طريق سلالم طويلة ، عبرا الفجوة إلى
داخل ممر طويل مضاء بمشاعل بيضاء
ثبتت على جانبيه وحسن ينظر هنا
وهناك ويتعجب في نفسه من طريقة
الحفر الغريبة وعدم وجود أساسات
تمنع سقف الممر من الإنهيار ، سأل
داشر :

- هل النوربا هم من حفروا هذه الحفر
والممرات ؟

رد داشر :

- بالطبع

: حسن :

- هذا ما يفسر المهارة المتقنة التي
أراها هنا ، انظر إنه بلا أساسات ومع
ذلك فهو ثابت لا يقع .

داشر وهو يشير إلى عدد من الممرات
الجانبية الصغيرة حولهما :

- لقد كانت هذه الممرات في وقت مضى
ملئية بالأحجار السوداء ولكنها أصبحت
فارغة من زمن بعيد نتيجة للإستغلال
المفرط وأصبحت مجرد أطلال شاهدة
على ما عاناه أجدادنا وآباؤنا من الذين
عملوا فيها .

توقف عن الكلام فجأة وكأن أحدا أسكته
وأدرك حسن أن داشر لم يكن يعي
مايقول ولذلك التزم الصمت ولم يشأ أن
يوقعه في حرج . استمر المسير عبر
النفق المضيء حتى وصلا أخيرا إلى
نهايته وهناك قابل حسن ساحة واسعة
محاطة بجدران عالية تظهر منها عدد

من الحجارة السوداء بأحجام مختلفة
وكان في أحد هذه الجدران فجوتين
واسعتين أخبره داشر بأن اليمنى
مخصصة للعبور إلى المزيد من حفر
الحجارة أما اليسرى فهي مخصصة
للخروج ، كان المكان خاليا على
عروشه كون أن معظم العبيد قد أخذوا
حمولاتهم من الحجارة وغادروا ، تسلق
داشر عبر سلم طويل يتبعه حسن وكان
العلو الذي وصلا إليه شاهقا حتى بدت
العربة في الأسفل كنقطة صغيرة ولحسن
الحظ أن أيا منهما لم يكن يعاني من
رهاب المرتفعات ، وقف داشر على
حافة الجدار وساعد حسن على ذلك ثم
قال مشيرا للحجارة الملتصقة بالجدار
الأسود :

- والآن كل ما عليك فعله هو الإمساك
بالصخرة بكلتا يديك وسحبها وستقتلع
من مكانها ، انظر جيدا

أمسك داشر بإحدى الصخور الناتئة
وجذبها بقوة لتقتلع من مكانها تاركة
فجوة كبيرة كأنها ضرس مسوس ،
ليقول داشر وهو يلقي بها للأسفل :

- في العادة لا نلقي بالحجارة هكذا
خاصة عندما يكون المكان مكتضا
بالعبيد ولكن وبما أننا لوحدنا فسنرميها
للأسفل حتى ننهي العمل بسرعة ، أومئ
حسن برأسه ثم تقدم نحو إحدى
الصخور ووسحبها بكلتا يديه متفاجئا
من سهولة ذلك ثم إلقى بها للأسفل
مصدرة صوت قرقرة قويا ، مر عليهما
وقت طويل وهما يعملان حتى قال داشر
وهو يلقي بصخرتين للأسفل :

- حسنا هذا يكفي ، فلننزل الآن

نزلا للأسفل وحسن لا يكاد يشعر بيديه
من شدة التعب وفوجئ بمجرد وصوله
بأن الحجارة لم تتفتت على الرغم من
سقوطها من علو مرتفع وارتكامها بقوة
بسطح الأرض ونظر لداشر بذهول
فبتسم هذا الأخير وهز كتفيه وكأن لسان
حاله يقول " هذا هو عالمنا الذي كل
شيء فيه غريب ، الطبيعة والسماء
وجتى البشر والحجارة " تعاوننا معا
لرفع الحجارة ووضعها على العربة ثم
قفلا راجعين عبر الفجوة اليسرى والتي
كانت كغيرها من الفجوات ممهدة بممر
طويل وجدران بلا أساسات مليئة
بفجوات فرعية ، في الطريق أخبره
داشر قصص كثيرة عن حوادث مرعبة
جرت داخل هذه الأنفاق وكانت جل هذه
القصص تدور عن هجمات من قبل
ديدان زوس عملاقة كانت تظهر من
تحت الأرض أو من الجوانب وتلتهم

العمال ، وقد أعادت هذه القصص مشهد
التهام ذلك النبات الكبير للرجل التعيس
وهو مشهد كان حسن يحاول بكل ما
أمكنه من أجل نسيانه ، بعد ساعات من
الظلام والعمل المتعب ظهر نور أخير في
النهاية وهاتما يخرجان مرة أخرى
ليصنع أجسادهما المتعركة المبللة هواء
منعش بارد دفع داشر العربة عبر طريق
مرصوف بالحجارة ينتهي بمنعطف
يعيدهما إلى نفس الطريق التي سلكها
عند مجيئهما لكن هذه المرة كانا في
جهة الإياب وقد ظهر الجبل الضخم
بحفره الواسعة خلفهما .

كانت المدينة لا تزال في أوج حركتها
والعبيد يحملون الحجارة ويتزاحمون
أمام مداخل المكعبات والنوربا يقفون
بقربهم وينهرون أي متقاعس ، لم يكن
برياخ قد عاد بعد و أفرغ داشر وحسن

الحجارة قرب الأستوانة وما أن انتهى
من ذلك ، حتى تصاعد صوت بوق عالي
في المكان وقد لاحظ حسن أن لون
السماء الشاحب قد تغير إلى اللون
الأحمر الناري وعندما سأل دأشر عن ما
يجري أخبره بأن وقت الغسق قد حان
وهذا ما يعني انتهاء وقت العمل ، خرجا
من المكعب وانضما إلى صف طويل جدا
من البشر من جميع الأعراق والأعمار
يتحركون باتجاه بوابة المدينة من تلقاء
أنفسهم وكان بعضهم يعرج في مشيته
وعلى أجسادهم آثار ضرب، وكانت
بعض النساء يحملن أولادهن وقد ارتفع
صياحهم لقد كانوا يعودون إلى بيوتهم
المهجورة بعد يوم شاق من العمل ، كان
حراس البوابة واقفين كالأصنام وقد برز
بينهم ذلك الحارس الأسود الذي رآه
حسن لأول مرة عند مدخل المدينة وهو
ينظر لصف البشر بصمت وعيناه تلمعان

وسط الجو الذي اكتسى حمرة الغروب
لكن من دون شمس . كان حسن وداشر
يتحركان مع الصف وقد بدأ بعض العبيد
من أصدقاء داشر يتبادلون أطراف
الحديث معهما وقد ذهل العديد منهم ما
إن سمعوا بأنه عبد جديد قادم من عالم
آخر وانهالوا عليه بالأسئلة حول عالمه
وموطنه وحياته وقد حاول أن يجيبهم
بروية وبتفاصيل دقيقة إلا أنه لم يستطع
فجأة أن يتذكر جزءا كبيرا من حياته
السابقة وكأن جزءا من ذاكرته تلاشى
فجأة ، فلم يعد قادرا على تذكر شكل
السيارات والقوارب وحتى الأبنية
الضخمة وناطحات السحاب وجل ما كان
يراه هو صور مشوشة للحظات الأخيرة
على متن القارب وبعض لحظات حياته
الأخرى في طفولته ، وقد أخبره البعض
بأن ذلك بسبب الفقاعة التي أحاطه بها
شيخ النوربا وكثير من من يأتون من

عالم البشر ينسون كل شيء عن
حيواتهم السابقة مع مرور الوقت ،
وهذا حتى يمنع النوربا العبيد الجدد من
تسريب أي أخبار عن العالم البشري إلى
العبيد القدامى المولدين، عبروا الحقول
الخضراء الواسعة لتظهر القرية بأبنيتها
السوداء الصغيرة من بعيد محاطة بذلك
السور الحجري الذي يوجد مثله وبكثرة
في كل مكان في هذا العالم الغريب ، هنا
حيث يمضي العبيد البشر التعساء باقي
اليوم بعد ساعات طوال من حمل
الحجارة والعمل في تزيين وتقليم
النباتات ، كان حسن منشغلا بالحديث
مع داسر قبل أن يتراكم من حوله
عدد من الصبيان بسرعة نحو البوابة
وهي المدخل والمخرج الوحيد من
القرية وكان يقف أمامها حارسان من
حراس الساعي واللذين سارعا بفتحها
ما أن ظهر الحشد ووصل الصبية .

انكب البشر داخلين كأنهم موج هادر
وأصواتهم ترتفع وقد بدأوا بالتوجه إلى
البيوت الصغيرة المتراسة المتلاصقة
التي تشبه المكعبات ، دخل حسن وداشر
بدورهما واندھش حسن من حجم القرية
في الداخل والتي لن يكون من الصواب
تسميتها بالقرية بل كانت مدينة ضخمة
والبشر داخلها كالنمل النشط يتحركون
هنا وهناك فوق الأرض الترابية الخالية
من العشب ، قال داشر وهما يسيران في
شوارع المدينة :

- هذه أكبر مدينة للعبيد في كل أرض
الأفاشت وقد بنيت منذ زمن بعيد جدا في
عهد العبيد الأوائل

رد حسن :

- إنها تشبه مدننا كثيرا

داشر :

- هنا كل الأبنية متشابهة ومن غير
المسموح بناء أكثر من طابقين فقط
مندوبوا ومساعدوا الساعي هم من
يمكنهم ذلك فقط .

سأله حسن :

- ولكن لماذا ؟

هز داشر كتفيه وقال :

- لا أدري لكنها قوانين النوربا وأظن أن
الساعي أعطاك ورقة بها القوانين
المتبعة وأنصحك بقرائتها جيدا وإلا
فستوقع نفسك في مشاكل كثيرة ،
فالنوربا لا يحبون الثرثرة مد حسن يده
إلى جيب العباءة ليتأكد من وجود تلك
الأوراق ولحسن حظه كانت كذلك ولم
يستطع منع نفسه من سؤال داشر قائلا
:

- لقد لاحظت أنك لا تستعمل كلمة
"أسياد" عندما تأتي على ذكر النوربا يا
داشر ، هل أنت تكرههم؟

تنهد داشر وقال بصوت خافت :

- وكيف لا أفعل ذلك وهم يذلوننا
ويستعبدوننا ويقتلوننا ؟ الجميع هنا
يكرهونهم أشد الكره ولكنهم عاجزون
عن فعل شيء فلا أحد منا يستطيع
الوقوف بوجههم إنهم أقوياء جدا
ومرعبون ولا أحد يمكنه هزيمتهم سوى
إخوانهم من القبائل الأخرى...

حسن :

- هل هم يحاربون بعضهم البعض دائما
؟ إن كان الأمر كذلك فبالتأكيد سيأتي
اليوم الذي سيفني فيه بعضهم بعضا

رد داشر بحزن :

- للأسف هذا لم يعد موجودا في وقتنا
الحالي فقد انشغلت كل قبيلة منهم
بإستعبادنا وقمعنا وجمع الحجارة
السوداء ونسوا أمر الحرب ، منذ زمن
بعيد لم تتدلع حرب كبيرة بينهم واقتصر
الأمر على بعض الإشتباكات المحدودة
المنقطعة التي تحدث بين الحين والآخر
قرب حدود أراضيهم ، وأكاد أقول بأن
السلام قد حل بينهم فهم يقيمون أسواقا
مشتركة فقط لبيعنا وشرائنا ومن
سخرية القدر أن البشر هم سبب السلام
بين قبائل النوربا المتحاربة منذ العصور
البائدة .

غصت الشوارع الضيقة والواسعة
بالبشر العائدين إلى بيوتهم وتذكر حسن
فجأة وهو يمشي رفقة داسر موعده مع
المندوب ولذلك طلب مساعدته حتى
يصحبه إليه ، وبالفعل سارا عبر المنازل

المكعبة وسلكا عدة شوارع فرعية
وخلال هذا أراه دأشر عدد من الأحواض
الضخمة المملوءة بالماء وقال بأنها
أحواض استحمام وتستعمل كذلك من
أجل غسل الثياب ، مرا كذلك بجوار
بناية كبيرة تتبعث منها رائحة وبخار
لطعام يطبخ وأخبره دأشر أن هذا المكان
هو الذي يحضر فيه الحساء الذي يقدم
للعبيد عندما يحين موعد العشاء ومرا
أيضا بجوار ورش خشب صغيرة
تكدست فيها رزم من جذوع الأشجار
المقطوعة مخصصة لصناعة الطاولات
والأبواب وكان العمل في هذه الورش
مقتصرا فقط على عدد قليل جدا من
العبيد ، وأخيرا وصلا إلى مبنى واسع
ضخم من ثلاثة طوابق يقع في منتصف
المدينة تماما وكان شبيها بقصر
الساعي لكنه أصغر حجما وأقل حراسة
، رافق دأشر حسن حتى الباب قبل أن

يمنعه أحد الحراس من الدخول معه
بحجة أن الأمر يخص العبد الجديد وحده
ولذلك دخل حسن بمفرده إلى ممر طويل
واسع يعج بالحركة كأنه خلية نحل ،
عدد كبير من الأشخاص يتحركون هنا
وهناك وهم يحملون أوراقا وكتبا بل
وحتى الحجارة السوداء ويدخلون
ويخرجون من الغرف المتوزعة على
جانبي البهو أو يصعدون للطابق العلوي
عبر الدرج الموجود في نهاية الممر وقد
علت أصواتهم ، لبث حسن متسمرًا في
مكانه ينظر إليهم بشرود قبل أن يلكره
الحارس الذي منع دأش من مرافقته
قبل قليل على كتفه ويسأله :

- ما بالك تقف هكذا ؟ هيا اصعد إلى
غرفة المندوب .

أجابه حسن قائلاً بأنه جديد ولا يعرف
المكان الأمر الذي دفع بالحارس إلى

إرشاده إليه حيث طلب منه الصعود عبر
الدرج إلى الطابق الثاني ومن هناك
يسلك درجا آخر في إلى الطابق الثالث
وأخيرا يجد نفسه في بهو واسع يكون
مكتب المندوب في أقصى نهايته وعلى
الرغم من كون التوجيهات سهلة ولا
تحتاج إلى تفصيل كبير إلا أن حسن ظل
طريقه في أكثر من مرة واضطر إلى أن
يسأل مرات كثيرة عن الإتجاه الصحيح
وهكذا حتى وجد نفسه أخيرا في بهو
واسع به عدد من الأبواب المغلقة وفي
الأمام كان هناك باب كبير وقف أمامه
حارس وعدد من الناس مشكلين صفا
طويل بدا وكأنهم ينتظرون الدور للدخول
على المندوب . زفر بقوة وهو يدرك أنه
سينتظر لوقت طويل جدا قبل أن يحين
دوره وكان شعوره بالتعب والحرق في
كتفه الذي ما انفك يؤلمه بين الحين
والآخر يزيدان من شعور الضيق الذي

يرأوده منذ أن فتح عينيه ووجد نفسه
في هذا العالم الغريب فقط ، تقدم نحو
الصف بتثاقل وهو يسأل نفسه بسخرية
" ترى ما قصة الجميع هنا مع هذه
الممرات والطوابير؟"

وقف في الأخير وأخذ يتطلع لمن هم
قبله وكان جلهم من الرجال المغبرين
وعدد قليل من النساء كن يحملن
أطفالهن الرضع منشغلين بالحديث مع
بعضهن البعض ، مر وقت طويل شعر
فيه بخدر في ساقيه فاستند على الجدار
ويده على كتفه التي باتت تؤلمه أكثر
من أي وقت مضى وقد انشغل بالتفكير
في حياته السابقة والتي نسي جزءا
كبيرا منها فلم يعد يتذكر سوى المشهد
الأخير على القارب واللحظة الأخيرة مع
أصدقائه قبل أن يفرق الموت بينهم ، مر
الوقت وبدأ الطابور بالتحرك شيئا فشيئا

حتى حان دوره أخيرا وقد شعر بالتوتر
فجأة وكأنه ذاهب لمحاكمة ، فتح الباب
وخرج منه الرجل الذي كان قبله فاندفع
مباشرة نحو الباب ودخل إلى الغرفة ،
كانت غرفة كبيرة ذات جدران حجرية
تبعث في أجوائها رائحة زكية وفي
وسطها جلس المندوب على كرسي
وأمامه طاولة حجرية كمثل مكتب
الساعي إلا أنها كانت أصغر وأكثر ترتيبا
وتنظيما وفي الركن كان هناك كاتب ذو
عباءة حمراء يجلس على كرسي وهو
يكتب على ورقة أمام النافذة المغلقة
والستائر الحمراء المسدلة ما بعث جو
مظلما في الداخل على الرغم من وجود
مشاعل ضوئية معلقة في أعلى السقف
بالإضافة إلى عدد من الخزائن المقفلة
توزعت عبر أركان الغرفة . تقدم حسن
ووقف أمام المندوب الجالس والذي
انشغل بقراءة ورقة بين يديه قبل أن

يلاحظ وجوده ويشير إليه بالجلوس
أمامه على الكرسي الحجري الدائري ،
جلس حسن وأخذ يدقق في ملامح
المندوب الشاب ، كان ذو وجهي دائري
مع بشرة بيضاء تميل إلى اللون الأحمر
قليلًا وعينين زرقاوتان صغيرتان وشعر
أشقر طويل يصل حتى أسفل رقبته وكان
قوي البنية مائلًا للبدانة قليلًا وارتسمت
الجديّة على ملامحه مرتدياً عباءة
أرجوانية ذات قماش حريري فاخر ما
يدل على علو مقامه ، نظر إليه حسن
مطولا قبل أن يسأله بلا مبالاة وهو
يركز بصره على الورقة :
- عبد جديد أليس كذلك ؟
تلثم حسن وهو يجيب :
- ن.. نعم بالطبع .

سأله مرة أخرى وهو يسحب ورقة من
بين كومة الأوراق المنظمة على الطاولة
:

- هل أنت من عالم البشر أم من
المولدين ؟

حسن :

- من عالم البشر

هز المندوب الشاب رأسه برفق وهو
يدون التفاصيل على الورقة ، ثم سأله
عدة أسئلة مقتضبة حول حياته السابقة
والتي أصبح حسن لا يتذكر منها شيئا
بسبب مفعول الفقاعة التي أحاطه الشيخ
بها وأخيرا وبعد أن انتهى من
استفساراته سلمه ورقة صغيرة كتب
عليها : " المبنى التاسع، الطابق الثاني
، الممر الثالث، الغرفة العاشرة " وقد
كان هذا عنوان سكن حسن الجديد ومن

دون أن يقول كلمة سلم المندوب الورقة
التي كتب عليها معلومات حسن إلى
الكاتب والذي قام بدوره بوضعها داخل
إحدى الخزائن وأقفل إحكامها . دس
حسن الورقة داخل جيب عبائه لتنظم
إلى بقية الأوراق الأخرى ، قبل أن يشير
له المندوب بيده بالإنصراف وهو يكمل
قراءة الورقة ، نهض حسن بسرعة
مغادرا وهو متضايق من هذا التصرف
الفظ إلا أنه التزم الصمت خشية المشاكل
التي سيقع بها إن قام بالتهور والتي قد
تكلفه حياته ، كانت الحركة قد خفت في
الخارج وكانت السماء لا تزال مصطبغة
بذلك اللون الأصفر الناري خرج من مقر
المندوب وتوجه نحو داشر والذي كان
يقف بصمت بالقرب من المكان ،
ومباشرة سأله :

- إذا هل أعطاك عنوان سكنك ؟

رد حسن :

- نعم

ثم أخرج الورقة الصغيرة من جيبه
وسلمها له وبعد أن قرأها بتمعن قال :

- أنا أعرف المكان إنه بالقرب من
منزلي ، هيا بنا

ابتسم حسن وربت على كتف رفيقه
وقال :

- لا أعرف ماكان سيحدث لي لولا
مساعدتك يا داشر أقدر لك هذا كثيرا ،

رد داشر بنبرة ودية :

- لا داعي للشكر يا حسن ، فنحن
كالإخوة وعلينا مساعدة بعضنا البعض

في الطريق إلى العنوان حكى حسن
لداشر قصته مع المندوب وكيف أنه قام

بصرفه بفضاضة واستعلاء ولكن دأشر
قال :

- المندوب تألف واحد من بين أطفب
وأشجع المسؤؤلبن هنا وأكثرهم تواضعا
،الجمبع فحبونه وفقرونه بل وحتف
النوربا والساعف والمندوبون فف القرى
المجاورة فحترمونه وأرجو منك ألا
تسلف الظن به فهو فف النفاة انسان
وقد تصدر عنه بعض التصرفات الففر
مقصودة أفاانا ...

حسن متسائلا :

- لكن لماذا تحبونه وتكرمونه إلى هذه
الدرجة ؟

دأشر :

- قصة طويلة قد أحكفها لك لاحقاً .

ثم أضاف وهو يشير إلى منزل كبير من
ثلاث طوابق وسط مجموعة من المباني
:

- انظر لقد وصلنا ، هنا ستعيش يا حسن
نظر حسن إلى المنزل وقد بدا عليه القدم
وكانت بعض نوافذه مفتوحة على
مصراعيها وكان له مدخل واسع وهو
عبارة عن بابين عملاقين ، دخلا إلى
داخله وكان تصميمه الداخلي كجميع
المباني التي رآها حسن منذ مجيئه حيث
احتوى على بهو طويل على جانبيه عدد
من الممرات الجانبية التي تحتوي
بدورها على عدد من الغرف المتوزعة
على جانبيها وكان كل بهو معلق على
مدخله عدد من العصي التي تدل على
رقمه، وصعدا إلى الطابق الثاني وكان
داشر يستدل على أرقام الغرف
والممرات عبر النظر إلى نفس

المجموعة من العصي الصغيرة المثبتة
أعلى باب الغرفة أو مدخل الممر وكانت
كل مجموعة تحمل عددا معيناً من
العصي ، وأخيراً توقفاً أمام باب علقته
فوقه عشر عصي ، دفع دأشر الباب
ودخل يتبعه حسن

كان الغرفة صغيرة ذات لون أبيض
باهت ونافذة صغيرة نصف مفتوحة
بالإضافة إلى خمسة أسرة خشبية
تحتوي على وسائد قماشية بعضها كان
ممزقاً وبطانيات خفيفة بعضها كان
مطويًا بعناية وأخيراً كانت هناك خزانة
مغلقة متوسطة الحجم كالتالي رآها حسن
عند المندوب والساعي وقد أثار المكان
عدد من المشاعل الضوئية المثبتة في
ثرية على سقف الغرفة ، تجول حسن
في الغرفة وهو يدقق النظر في

محتوياتها فيما وقف دأشر عند الباب
بصمت وقال بأسى :

- هنا كان يقيم العجوز فاتش ...

نظر إليه حسن نظرة استفهام وسأل :
- أتقصد ...؟

هز دأشر رأسه موافقا ثم أردف :

- حتى الآن لا أعرف كيف سأخبر ریحان
بأمر رحيله فهي كانت تحبه كثيرا
وتعتبره كوالدها الثاني ، ستفقد عقلها
إن علمت بالأمر ...

رد حسن :

- أخبرها بأنه انتقل إلى قبيلة مجاورة ،
على الأقل ستكون ردة فعلها أخف ..

لم يجبه دأشر بشيء فقد سمع وقع
خطوات في الممر وهاهو أحد ما يصل
إلى الغرفة ويقف قرب الباب، كان رجلا

ضحما ذا شعر قصير أسود وبشرة
قمحية كمعظم العبيد الذين رأهم حسن
من قبل مع بنية قوية وعضلات بارزة
وعينين كبيرتين واسعتين سوداوتين .
وقف عند الباب ينظر إليهما لبرهة قبل
أن يتوجه نحو داشر الي كان على
معرفة سابقة به ويصافحه مرحبا ثم
نظر نحو حسن مستفهما ليعرفه داشر
برفيقه الجديد في السكن وسرد له بعض
المقتطفات من قصته ، وقد لاحظ حسن
أن جميع العبيد الذين قابلهم بدون
إستثناء يشعرون بالذهول ما إن يعرفوا
بأنه من عالم البشر وليس من المولدين
وهذا ما تأكد له عندما تقدم منه الوافد
الجديد ووقف أمامه وصافحه بسرعة
وهو يقول بنبرة باردة لم يرتح لها كثيرا
:

- أنت قطعة نادرة يا صديقي ، لم يعد
النوربا يخرجون كثيرا إلى عالمكم .

ثم أضاف متسائلا :

- أخبرني كيف حال إخواننا في العالم
الآخر هل هم أفضل منا أم أسوأ؟ مع أنني
واثق من أنهم أفضل بكثير منا على
الرغم من التفاوت الكبير بين حضاراتنا

...

سكت حسن ولم يجب فهو لم يعد يتذكر
شيئا الآن عن عالمه السابق ويبدو أن
مفعول الفقاعة قد قام بواجبه على أكمل
وجه ، تدخل دأشر وأجاب في مكانه
قائلا :

- هو لا يتذكر شيئا عن حياته السابقة يا
شوردا ، فيما أنه عبد من عالم آخر فقد
مر على الشيخ و...

قاطعته شوردا :

- نعم ، نعم إنها فقاعة الذاكرة لقد نسيت
هذا الأمر تماما ، بالمناسبة ما الذي
حصل لفاتش؟

أجابه حسن :

- لقد مات ، قتله برياخ للأسف

لم تبدو على الرجل ملامح الصدمة بل
رد بلا مبالاة :

- حقا ؟ يا للأسف ...

ثم جلس على أحد الأسرة وخاطب داسر
بنبرة متعبة وهو يشير للسريير بجانبه:

- سينام صديقك على هذا السريير بجانبني

نظر داسر إلى حسن وسأله :

- هل أنت موافق على هذا يا حسن ؟

- نعم

أجاب حسن ثم توجه نحو السرير
واستلقى عليه شاعر بعدم الراحة لشدة
صلابته وللرائحة الغريبة الملتصقة به ،
قال شوردا وهو يشير للخزانة :

- بإمكانك وضع ملابسك في هذا الدولاب
، إنه مكون من أربعة رفوف وستأخذ
رف العجوز فانتش وهو العلوي.

كان شوردا يتصرف وكأنه مالك المكان
والمسيطر عليه وهو ما أزعج حسن
قليلا كونه لا يحب هذا النوع من الناس
لكنه لم يشأ أن يخلق العداوة مع رفيقه
في السكن في يومه الأول ولذلك قرر
انتهاج سياسة ضبط النفس والتعامل
بلين ورفق ريثما يثبت أقدامه جيدا في
هذا العالم الغريب الذي لم يستوعب بعد
كيف وجد نفس فيه ، ذهب ليرى ما
يوجد في الخزانة ولم يعثر سوى على
عباءات العبيد الصفراء وهي مطوية

ومرتبة وكان رفه يحوي بعضا منها
وهي تعود للعجوز فاتش ولم يعرف
حسن ما سيفعل بها وبعد تفكير قصير
قرر تركها مكانها لعله قد يحتاج إليها
بالرغم من رائحتها العفنة ، ثم انشغل
بحديث كان يدور بين شرودا وداشر
حول العمل في هذا اليوم حيث قال
شوردا :

- لقد قام بقتله أمام أعينهم فقط لأنه
سقط على الأرض من التعب هل تصدق
هذا ؟

داشر :

- لقد أصبح النوربا أكثر عدوانية منذ أن
خرجت تلك الإشاعات التي تتحدث عن
انخفاض المخزون داخل الحفر ، إنهم
يريدون الحصول على أكبر قدر ممكن
من الحجارة .

شوردا متهكما :

- لقد سمعت أنا أيضا عن هذا الأمر
مؤخرا ولن يجدوا أحدا غيرنا نحن
العبيد المستضعفين لإفراغ حقدهم علينا
خاصة مع نقص كمية الحجارة
المستخرجة .

داشر :

- لقد كنت في الحفرة الوسطى قبل قليل
وصدقتني إن قلت لك بأني وصلت حتى
العمق ما قبل الأخير وكانت معظم
الأنفاق فارغة ولم يبق سوى عدد قليل
من الجدران العالية جدا التي تحتوي
على حجارة أقل حجما وقد لاحظت هذا
في حفر مدينتنا التي تعتبر مركز القبيلة
وأكثرها غنى بالموارد فما بالك بحفر
القرى والأراضي المجاورة والتي هي
أقل حجما وعمقا .

هز شوردا رأسه وسأل :

- إذا حدث واستنزفت موارد الأفاشت من
الحجارة فأنا متأكد من أنهم سيضطرون
إلى الدخول في حرب جديدة مع إحدى
القبائل للسيطرة على مواردهم وسندخل
معهم نحن كذلك .

داشر :

- هذا وارد لكني أظن أنهم سينتظرون
ريثما يحفرون أنفاقا جديدة ذات عمق
أكبر ويرسلون إليها مجموعة من العبيد
للتحقق من وجود الحجارة .

شوردا :

- سيضطر هؤلاء العبيد المساكين إلى
مواجهة ديدان زوس في الداخل وهذا
ما يريده النوربا فهذه الوحوش العملاقة
لا تتواجد إلا مع الحجارة السوداء وهكذا

سيرسلنا أسيادنا كطعم حي وأرجو ألا
أكون واحدا منهم ..

ضحك داسر بسخرية فيما انتابت حسن
رعدة سرت في كامل أنحاء جسده فأخر
مايريده هو مواجهة مع دودة بحجم
منزل في حفرة ضيقة مظلمة وازداد
توتره وهو يتخيل نفسه داخل هذه الحفر
الخانقة ومشهد التهام النبات لذلك
البشري لا ينفك يراوده ككابوس جاثم
فوق صدره ، أغلق الخزانة وتوجه
نحوها محاولا استراق المزيد من
الحديث لكنه توقف فجأة عندما سمع
جلبة قرب الباب تبعها دخول ثلاثة رجال
ذو ملامح متشابهة من نحافة وشعر
طويل وبشرة ذات لون قمحي ، ألقوا
التحية عليهم وتعرفوا بحسن وتعرف
هو كذلك بهم "دوفرش ، تارش ، هاشر
" كانت هذه أسمائهم وكانوا جميعا في

عمر العشرينات كحسن تماما وهم رفاقه
في الغرفة وقد لاحظ أن أسماء جميع
العبيد المولدين الذين التقى بهم تحتوي
على حرف الشين وهذا ما جعله قادرا
على التمييز بين البشر المولدين
وغيرهم ، لبث الجميع يتكلمون في أمور
متفرقة قبل أن يستأذن داسر للمغادرة
فيما استلقى شوردا على سريره قائلا :

- نعم لقد تأخر الوقت وأنا متعب كثيرا
فقد أجبرني سيدي على القيام برحلة
طويلة سيرا على الأقدام حتى حفرة
قرية شامرن عند حدود الحمر لذا أرجو
منكم بعض الهدوء وأن تخلدوا أنتم
كذلك للراحة ريثما يأتوننا بالطعام حتى
نأكل وننام فوق الغسق سينتهي عما
قريب وسنعود للعمل .

هنا سأله حسن :

- أليس هناك ليل في هذا العالم ؟

نظر إليه الجميع بذهول قبل أن يسأله
شوردا :

- وما هو الليل ؟

ليتدخل داشر :

- هناك وقت الغسق فقط يا حسن ويحين
دائما عندما تصبح السماء حمراء وفيه
نرتاح من العمل ثم نتناول الأكل وننام
قبل أن نعود للعمل عندما نسمع صوت
البوق .

قال تارش مزارحا حسن :

- يبدو أنك لم تعلم بعد الشيء الكثير عن
عالمنا يا صديقي

رد حسن :

- نعم معك حق فأنا جديد هنا ولازلت
أجهل الكثير

ليقول هاشر :

- في العادة يكون العبيد القلائل القادمون
من عالمكم مثلك تماما لا يعرفون شيئا
لكنهم سرعان ما يعتادون على الأجواء
هنا

تدخل داشر وقال لحسن مطمئنا :

- لا تقلق يا حسن ستعتاد المكان هنا
عما قريب

شوردا :

- هذا إن استطاع التأقلم مع عقليات
العبيد هنا

ساد الصمت فجأة قبل أن يقول حسن
متسائلا :

- ماذا تقصد ؟

شوردا :

- الكثير من الناس هنا لا يحبون البشر
من العالم الآخر

حسن :

- ولماذا ؟

رد شوردا :

- لا أدري ربما شعورنا بالتفوق عليكم
يجعلنا نفكر هكذا أو لربما لأننا نحن
البشر الذين جننا على هذه الأرض أولاً،
لكني أنصحك بالأخاطنا أو تتقرب منا
كثيراً فنحن هنا لا نحب الغرباء .

حده حسن بنظرة متحدية وقال :

- حسناً أيها القوي لكني أؤكد لك بأني
لست لقمة سائغة فأنا مستعد جيداً
للمواجهة إن كنت تبحث عنها .

ضحك شوردا بصوت عال وبدأت
الأجواء بالتوتر وساد الصمت مرة
أخرى للحظات وكل منهما يحدق بالآخر
بتحدي قبل أن يقول داشر محاولاً تهدأت
الأجواء :

- هيا الآن دعونا من هذه السخافات ،
حسن ارتح قليلا يا صديقي ريثما يحين
موعد الأكل وغدا سنلتقي في العمل .
نزع حسن صندله بصمت واستلقى على
الفراش قبل أن يتفرق الجمع حيث ذهب
كل واحد منهم إلى سريره فيما غادر
داشر بعد أن اطمأن أخيرا من هدوء
الأجواء ، وكان قد حذر حسن قبل أن
يغادر من مغبة التورط في المشاكل مع
شوردا وطلب منه أن يلتزم بأقصى
درجات ضبط النفس كي لا يقضي وقتا
طويلا في حفرة العقاب في السجن
فحراس الساعي لا يتسامحون أبدا مع
المخالفات التي تعكر صفو حياة العبيد .
انعزل عن البقية الذين انخرطوا في
أحاديثهم الخاصة بينهم ، قبل أن يستوي
جالسا على السرير وهو يخرج الأوراق
التي أعطيت له من جيبه ويضعها على

السريـر ويبدأ بقراءة إحداهـا على ضوء
المصباح الشاحب المثبت في الجدار
بجانبه والضوء الأحمر الناري الذي
اكتست به السماء ، كان يفهم لغة
الخطوط المتموج بسرعة وكأنها لغته
الأم ولكنه فشل عند محاولته تقليد
الكتابة بإصبعه في الهواء وأدرك بعدها
مباشرة أن هذه حيلة من النوربا لمنعهم
من تعلم الكتابة كي لا تشكل خطرا على
استقرار الوضع في القبيلة فلربما يكون
تعلم العبيد البشر للكتابة أولى بوادر
العصيان والتمرد ، كانت هذه الورقة
ذات ملمس خشن ولون أصفر ورائحة
غريبة حيث تحمل على جانبيها عدد من
القواعد والقوانين التي يجب الإلتزام بها
وقد كتبت على شكل نقاط واحدة تلو
الأخرى بحبر أسود قاتم ولعل أبرز
ما جاء فيها هو التحذير من مغبة
عصيان أوامر الأسياد أو الهرب من

أراضي القبيلة ووجوب الأنحاء لهم في كل مكان وزمان وإفساح الطريق لهم بمجرد رؤيتهم من بعيد وكانت هناك نقاط توضح الأعمال التي يجب على العبيد القيام بها وكانت مقتصرة على استخراج الحجارة لتنظيف الأراضي الحقائق و الطبخ وقد حددت الأولى والثانية للرجال والثالثة والرابعة للنساء والأطفال لمن هم دون السابعة عشر وكانت القاعدة تجيز الإعدام دون رحمة لمن لا يجلب أربعة حجارة من الحجم الكبير أو ضعفيها من الحجارة الصغيرة على الأقل و بالإضافة إلى وجوب تنفيذ أوامر الساعي و مندوبيه و حراسه واحترامهم باعتبارهم ممثلي النوربا في القرى البشرية ، وكانت هناك نقطة أخرى تحظر الخروج من القرى أثناء وقت الغسق ، وأخرى تحذر من الإقتراب من الحدود مع القبيلتين

الحمراء والزرقاء من دون إذن وكانت
تحتها مباشرة خريطة دائرية صغيرة
بها أسماء مدن وقرى جميع القبائل و
مقسمة إلى ثلاثة أجزاء كل منها بلون
والأخضر كان يرمز للأفاقت وكانت
الحدود بين الأراضي مرسومة بلون
أحمر وقد أحيط بعضها بدوائر حمراء
كتب فيها كلمة "خطر" بالإضافة إلى
قانون آخر يفرض الإنتظام في صفوف
عند تسليم حمولات الحجارة عند
المكعبات وهناك مجموعة من القوانين
الأخرى التعسفية الظالمة كأن يعمل
العبيد مثلا طوال اليوم من دون توقف
أو راحة بإستثناء وقت الوجبة في
العشاء الكبير والويل لمن يعترض ،
وكانت عقوبة مخالفة هذه القوانين في
جملتها تتمثل في القتل وفي أفضل
الحالات كانت العقوبة هي العمل الشاق
طوال اليوم من دون الحصول على

الراحة أو وجبة عند حلول الغسق أو
الحبس الإنفرادي في حفرة ضيقة مع
ديدان زوس والتي بدأ حسن يشعر
بالرعب كلما سمع ذكرها أمامه ، كانت
جميع هذه القواعد صارمة في مجملها
و ذات عقوبات قاسية وهو ما جعله يزداد
ضيقا وكرها للنوربا ويزداد حنينا
واشتياقا إلى عالمه الأصلي الأول عالم
البشر والذي لم يعد يتذكر شيئا عنه
سوى أنه كان فيه في الماضي ، وكانت
أهم قاعدة شددت انتباهه وأثارت فضوله
هي تلك التي تتحدث عن حرمة الخروج
من القرية بعد انتهاء وقت الوجبة
وحلول موعد النوم وبدأت تساؤلات
كثيرة تتراحم في تلابيب ذهنه حول
الأسباب التي جعلت الأسياد يصدرون
قانونا غريبا كهذا ، "بالتأكيد هناك أمر
ما يحاولون اخفائه عنا" فكر حسن هكذا
قبل أن يقلب الورقة للناحية الأخرى

وكانت هذه الأخيرة تحوي مزيدا من القواعد لكنها لم تكن بالأهمية الكبيرة عدا أنها كانت تحظر على العبيد التغيب عن العمل من دون سبب مقنع سوى في حالة المرض الشديد من دون أن تتجاوز فترة الغياب ثلاثة أيام وإلا فسيعاقب أو في حالة الحمل في الأشهر الأخيرة والولادة بالنسبة للمرأة على ألا تتجاوز فترة الغياب أربعة ثلاثين أي أربعة أشهر وهذا ما يفسر الأصوات الباكية التي سمعها عندما مر بجوار القرية في الصباح وكانت كل هذه الإجراءات منوطة بحكيم القرية وهو المسؤول عن اصدار مثل هذه التصريحات وهو المسؤول أيضا عن علاج العبيد وتحديد مسألة عملهم من عدمه ، وكانت هناك نقطة أخرى تجبر البشر على عدم إنجاب أكثر من ولدين وإن حدث وزاد العدد أو تم انجاب ولد معاق فسيتم قتل

الولد الزائد أو المعاق من دون رحمة ؛
، كان وقت العمل محددًا بدأ من سماع
بوق البداية عندما تكون السماء ملبدة
مكفهرة وحتى سماع بوق الإنتهاء
عندما يتحول لون السماء والجو إلى
الأصفر الناري حيث يعود جميع العبيد
إلى قراهم ويتم قفل البوابة ريثما يتم
تقديم الوجبة بعدها مباشرة يخلد الجميع
للنوم والويل لمن يتم إلقاء القبض عليه
متلبسا بالخروج أخرج الورقة الثانية
من جيبه وكانت تحتوي على معلومات
عن تاريخ قبيلة الأفاشت وعالم الأقول
بشكل عام وقد لاحظ بأنهم يتعمدون
ممارسة الدعاية لقبيلتهم وتحقير
القبيلتين الأخريتين كوصفهم مثلا
بالضعفاء والخونة وذكر انجازات
قبيلتهم ومحاسنها وغيرها من الدعايات
وقد لاحظ أنهم يستخدمون كلمة السبعة
بدلا من الأسبوع والثلاثين بدلا من

الشهر وذكر بأن الوقت عندهم يحدد
بواسطة اسطرلاب كبير يتوسط ساحة
كل قرية بشرية . حاول أن يستعيد
مشاهد الجولة مع دأشر قبل قليل لكنه لم
يتذكر إن كان قد رأى هذا الإسطرلاب أم
لا . ثم شعر فجأة بالسخرية عندما تذكر
عجرفة برياخ عندما قال بأن البشر
مخلوقات ضعيفة التفكير فهاهي النظم
والقوانين وحتى المسميات منسوخة عن
أسماء وضعها واخترعها البشر ، أنهى
قراءة الورقة الثانية بسرعة وهو يتذكر
فجأة صورة ريحان مرة أخرى شاعر
بالإشتياق لرؤية طلثها البهية مرة
أخرى على الأقل هي من العالم البشري
الأول وقد لا يشعر بالوحدة معها . كان
شوردا والبقية يتجاذبون أطراف الحديث
وهم ينظرون لحسن المستلقي بصمت
على سريره بين الحين والآخر قبل أن
يدوي فجأة صوت بوق قوي أفزعه

فانتفض مرعوبا لكنه سرعان ما اطمأن
عندما أبصر رفاقه وهم يخرجون
بسرعة ويتحدثون عن الوجبة ، ليقوم
بسرعة مرتديا صندله ويتبعهم وهو
يتذكر شعور الجوع لأول مرة منذ مجيئه
فيشعر بأن أمعائه تتلوى وكأنها تهضم
بعضها البعض ، كان المبنى غاصا
بالعبيد وقد تحركوا جميعا نحو الباب
الرئيسي كأنهم الجراد وحسن معهم
يمشي بصعوبة بسبب الزحام والإعياء
من شدة الجوع . كان الجميع في
الخارج يتحركون عبر الشارع الواسع
في صف طويل وزحام شديد نحو مائدة
ضخمة طويلة ممتدة عبر الشارع ،
اندهش حسن وهو الذي لم يسبق له أن
رأى مائدة بهذا الحجم في حياته فلا بد
من أنها قادرة على استيعاب مئات
الألوف بالنظر إلى الكراسي المتراسة
المتوزعة على جانبيها ، ما أن تقدم

أكثر حتى رأى عدد من الحراس وهم
يحملون قدورا كبيرة يضعون كل واحدة
منها في مكان معين في الوسط بين
الأطباق الصغيرة الفارغة والتي وضعت
بجانبا كومات من الملاعق النحاسية ؛
جلس بسرعة على أحد الكراسي وأخذ
يتطلع بشهية للقدر الكبير الموضوع
أمامه شاعرا بالفضول لمعرفة ما
يحتويه ، جلس أمامه وبجانبه عدة
أشخاص كان واضحا أنهم من المولدين
من خلال أسمائهم التي كانوا ينادون
بعضهم البعض بها والتي دائما ما
تتضمن حرف الشين في مقطع منها
كالعادة وبسرعة امتدت أياديهم إلى
القدر وبدأوا بإفراغ الحساء منه إلى
أطباقهم بواسطة الملاعق في فوضوية
كبيرة جعلت الحساء الأبيض يتناثر على
الطاولة الخشبية ملوثا كل شيء قريب
منه ، انتظر حسن حتى انتهائهم أولا ثم

أفرغ لنفسه القليل في الطبق وهو ينظر
هنا وهناك لعله يلمح دأشر أو ربحان
لكنه لم يرى أيا منهما وسط كل ذلك
الزحام والهرج اللذين سادا المكان . أخذ
ينظر للحساء اللزج أمامه لبرهة ثم ومن
دون تفكير بدأ يلتهمه بشراهة بالملعقة
فالجوع قد تمكن منه فعلا هذه المرة ولم
يكن طعمه سيئا كما توقع بل كان من
دون أي مذاق فعليا، لكن الجوع الشديد
يجعل المرء لا يهتم كثيرا لمثل هذه
المسائل ويكون جل اهتمامه منصبا على
منع أمعائه من التهام بعضها البعض ،
كان يأكل بسرعة وبنهم وفي نفس
الوقت لم يتوقف عن التحديق من حوله
في الجموع بين الفينة والأخرى فلمح
بعض الحراس وهم يقفون في صف
طويل خلفهم مباشرة وفي أقصى الجانب
الأيسر شاهد من بعيد المندوب تاليف
بملايسه الأرجوانية جاسا يأكل بهدوء

وقد أحاط به عدد من الحراس وأمامه
جلس عدد من الكتاب بملابسهم الحمراء
التي صار حسن يتعرف عليهم من
خلالها وأخذ يفكر في السبب الذي يدفع
شخصاً بمثل جلالة المندوب للنزول
لتناول الطعام مع العامة ، كان هناك
أيضاً عدد من الناس من من جلسوا
على الأرض لعدم توفر الأماكن لهم
وأخذوا يأكلون بشراهة غير عابئين
بحالتهم المزرية ولم يكن أحد يكثرث
لأمرهم على أية حال فقد انشغل الجميع
بملئ بطونهم بعد يوم العمل الشاق .
انتهى أخيراً من الأكل شاعراً بالشبع
رغم أنه لم يتناول سوى طبق واحد فقط
وكان الجميع ينهضون ويغادرون ما أن
ينتهوا من الأكل من دون أن ينظف أحد
منهم الأكل المتناثر والأطباق والملاعق
المتسخة ويبدو أن هذه وظيفة الحراس
الذين كانوا يسرعون بجمعها ما أن يقوم

أحد ما من مكانه ، قام هو بدوره وسار
نحو حوض كبير من المياه قرب السياج
الحجري تجمع حوله العبيد البشر وهم
ينهلون من مياهه الصافية بواسطة
أيديهم أو عن طريق أطباق وجرار
صغيرة شعر بالانتعاش وهو يدخل يديه
في المياه الفاترة على الرغم من اعتدال
الجو وشرب حتى ارتوى ثم عاد بتثاقل
إلى المبنى مع جمع من الناس وفي
الطريق لمح الحراس وهم يحيطون
بالمندوب وهو يمشي مغادرا بدوره
رفقة امرأة بدت وكأنها زوجته وعدد
من الأولاد يظهر جليا أنهم أبنائه ،
وصل أخيرا إلى غرفته وكانت خالية
ساكنة إذ لم يعد شوردا ورفاقه بعد
واستلقى على السرير شاعرا براحة
عظيمة وبحنين غريب لموطنه جلب
الدموع لعينيه غير قادر على تصديق أن
حياته الباقية ستكون كلها هكذا مجرد

عمل واستعباد وظلم وهاهي أفكار
الهرب والتحرر تعود لتداعب فكره لكنه
سرعان ما يتذكر التهديدات التي كتبت
بالبنط العريض في ورقة القوانين
فيشعر بالعجز وبعزيمته وهي تخور
وترضى حياة الذل ، لقد استطاعت
الفقاعة أن تنسيه حياته السابقة عن
عالمه لكنها لن تنجح أبدا في طمس
شعور التعلق و الإرتباط به حتى وإن
كان يتمنى لو مات مع رفاقه على ذلك
القارب بدلا من هذه الحياة الجديدة التي
يشعر فيها بأنه ميت أصلا وأن حياته
أصبحت مقتصرة على العمل والعمل
فقط وليس لها الحق في الشعور بالتعب
أو التوقف . كان ضوء الغسق الأحمر
ينعكس على الجدران محيلا الغرفة إلى
لون أحمر قاني والأصوات في الخارج
قد بدأت تخف شيئا فشيئا وهاهو حسن
يغمض عينيه لينام لعله يستيقظ ويجد

نفسه في غرفته مرة أخرى متجاهلا
الألم الحاد الذي عاد يداهمه في كتفه من
أثر الحرق والذي على الأرجح سيمنعه
من النوم لعدة ليال هذا الشهر .

الفصل الرابع

مر أكثر من شهرين على مجيء حسن
إلى عالم الأفول ، وبدأ حياته الجديدة
كعبد لدى قبيلة الأفاشت من النوربا
ذوي العيون الخضراء الغريبة ، تحت
سلطة برياخ والذي لم يدخر جهدا في
جعله يذوق أسوأ مذاق للمشقة والتعب ،
وقد مر الوقت عليه بطيئا مملا مليئا
بالقسوة والمعاناة فقد اكتشف للتو معنى
أن يكون الإنسان ذليلا منكسرا مسلوب
الإرادة ، ساعات طويلة من العمل في
حفر الحجارة المظلمة العميقة رفقة
آلاف من أمثاله من الذين سلبت حرمتهم
في جو كئيب مظلم خائق تليها ساعات
أخرى من حمل الحجارة إلى المدينة
وطحنها في الأسطوانات لتطلق الدخان
الرمادي إلى السماء الشاحبة وفي بعض
الأحيان يحدث تغيير بسيط في جدول
العمل ويجد نفسه وسط حقول العشب
الواسعة وفي يده صولجان صغير ينهال

به على ديدان زوس البيضاء والتي
يقترب حجمها في بعض الأحيان من
حجم رجل بالغ وهي تطل من بين الحفر
وكان شاهدا على عدة مشاهد مؤلمة
لعبيد يتم التهامهم أحياء فقط لأنهم كانوا
أبطأ وأضعف وكاد هو نفسه يفقد حياته
في مرات عديدة وكم من مرة أصيب
إصابات مؤلمة . ويستمر روتين العبيد
الشاق هذا في التكرار طوال اليوم حتى
يدوي صوت البوق ويتحول لون السماء
إلى الأحمر إشارة إلى انتهاء العمل
وحلول موعد الراحة القصيرة وهكذا
يسارع جميع البشر بفرح إلى قراهم
حتى يتناولوا الحساء الأبيض عديم
المذاق بشراهة من شدة الجوع قبل أن
يخلدوا جميعا للنوم من دون حتى أن
يتسنى لهم التفكير في اليوم الطويل
التالي الذي ينتظرهم من شدة تعبهم ،
قبل أن يستيقظوا مجددا على صوت

البوق الصاخب و يغادرون القرية في
صفوف طويلة نحو العاصمة، ويعيشوا
يوما آخر من التعب والشقاء والضرب
المستمر من النوربا وحراس الساعي
الذين لا هم لهم سوى رصد مدى سرعة
وتقدم العمل و توجيه أقى الضربات
للمتقاعسين والمتكاسلين . خلال هذه
المدة استطاع حسن أن يكتشف ويتعلم
كثيرا من الأمور التي كان يجهلها في
السابق فقد تعلم طرقا جديدة لإستخراج
الحجارة بشكل أسهل وأسرع عن طريق
ضرب الجدار بقوة لتقع الحجارة كأنها
أوراق شجر يابسة ويسهل جمعها ،
وقد تعلم كيفية قيادة العربة بمهارة
وانسيابية عبر الحشود البشرية قرب
الحفر وفي الشوارع الضيقة بين
المكعبات وذلك بعد عدة حوادث نال على
إثرها عددا من الشتائم المتنوعة وكان
يقضي كل وقته رفقة داشر صديقه

الوحيد في حياته الجديدة وعلى الرغم
من كثرة البشر حوله إلا أنه لم يصادف
أي أحد من عالم البشر الآخرين ضمن
نطاق المنطقة التي هو فيها ولكنه أصبح
في غضون هذه المدة معروفا في أوساط
العبيد خاصة مع مهارته في استخراج
الحجارة ، وطبعا لم يعجب ذلك بعضا من
المولدين مثل شوردا والذي لم يتوقف
عن محاولة استفزازه من أجل الإيقاع
به لكن حسن دائما ما كان يتحاشى
مواجهته خشية التعرض للسجن أو
الموت . كان رفيقه المقرب في هذه
المدة هو داشر والذي ساعده على
التأقلم مع العالم الجديد وعلمه الكثير
عنه وكانا دائما ما يقضيان الوقت معا
كونها يعملان عند نفس السيد وقد قويت
علاقتهما بعضهما البعض حتى صارا
كالإخوة فدائما ما يتواجدان مع بعضهما
طوال اليوم وحتى يفترقان بعد العشاء

ليعود كل واحد إلى منزله ومرة أخرى
يلتقيان في العمل صباحا ، حاول حسن
خلال هذه المدة أن يتقرب أكثر من
ريحان وهي التي تشبهه في الأصل
كونها من نفس عالمه لكنها لم تكن
تظهر أمامه كثيرا ونادرا ما كان
يصادفها إذ كانت تمضي الوقت تعمل في
حديقة مكعب برياح في الوقت الذي
يذهب فيه رفقة داسر لجلب الحجارة من
الحفر وعندما يعودان تكون هي قد
ذهبت للعمل في حديقة أحد النوربا
الآخرين وقد حاول البحث عنها في
طاولة العشاء كثيرا من المرات لكن من
دون جدوى ، وهكذا باتت كهلال العيد
بالنسبة له فما أن تظهر أمامه في بداية
اليوم حتى يحس بنبضات قلبه تتسارع
وتزداد قوة وهو يتأمل سحنتها الخلابه
متمنيا أن تلتصق صورتها بطرف عينيه
فلا يرى أحدا سواها ، ثم تختفي فجأة

وسط أكوام البشر المتجهين إلى المدينة
لبدأ العمل الشاق وقد صارت تستحوذ
على جل تفكيره مؤخرا حتى بات مزاجه
مقترنا برويتها فقط فيغدو سعيدا مبتهجا
عندما تمر من أمامه رفقة بعض الإيماء
، وفي كثير من الأحيان عندما لا يراها
يشعر بالضيق والهم ويصبح كثير
الغضب متقاعسا في العمل وهذا ما
لاحظه داشر وأدرك أن صديقه بات
متيما بأخته غير الشقيقة ولكنه كتم ذلك
ولم يرد أن يظهر ذلك أمامه .

رمى حسن بآخر قطعة حجر داخل
الأسطوانة ووقف ينتظر أن تتحول إلى
غبار في الداخل وما إن حدث ذلك حتى
دوى صوت البوق في إشارة إلى انتهاء
يوم العمل وبدأ الضوء الأحمر يتسلل
عبر أركان المكعب المظلمة ، مسح
العرق المتجمع على جبينه وأزال الغبار

على عبائته ثم انطلق للخارج حيث كان
داشر بصدد النزول من السلم وفي يده
سكين كان يقطع بها أوراق إحدى
الأشجار في الحديقة ، انتظره حسن
حتى وصل للأرض وقال مازحا :

- يا لك من بربري لقد قصصت كل
أوراق النبتة المسكينة ولم تترك لها
شيئا لتستر به جذعها ...

رد داشر :

- برياخ هو من طلب مني فعل ذلك وكما
تعلم فلا نقاش لأوامر الأسياد.

قبل أن يضيف متسائلا :

- كيف هو الوضع في الحفر ؟

رد حسن :

- لقد أصبح أكثر سوءا مما كان عليه
الشهر الماضي ، لقد أصبح الناس

ينزلون حتى أقصى عمق تسمح لهم
أجسادهم بالوصول إليها ومع ذلك
يعودون في أحيان كثيرة خالي الوفاض
أو بحجارة صغيرة جدا لا تصلح ، لم
يبقى سوى أربعة ممرات جانبية و أظنك
تعلم ما يحدث فيها من زحام و تدافع
يصل حتى درجة الإختناق لقد وصلت
هناك مبكرا لحسن حظي وقد حدثت
مناوشات وشجارات عنيفة لم تتوقف إلا
بتدخل حراس الساعي والنوربا وقد
اعتقل البعض .

زفر داشر وقال :

- لو أن النوربا فقط يراعون ظروفنا
ويتوقفون عن طلب المزيد من الحجارة
، لقد سمعت أن أحدهم قام بقتل أحد
عبيده لأنه عاد خالي الوفاض ولم
يحضر معه شيئا وأخشى أن يحدث هذا
لنا .

طمأنه حسن قائلا :

- لا داعي للقلق يا داشر فمع مهاراتي
في جمع الحجارة وقيادة العربة وكونك
تعرف الكثير عن ممرات الحفر فلن
نواجه أي مشكلة على الأقل للشهر
المقبل ...

ليقول داشر بنبرة متشائمة :

- لقد انخفضت كميات الحجارة في
المناطق المجاورة وهذا جعل عبيد تلك
المناطق يأتون إلى هنا بحثا عن ما
يحفظون به حياتهم وتخيل كيف سيكون
الزحام ما إن يزداد عددهم ، إنها كارثة.

حسن :

- هذا ليس خطأهم بل خطأ النوربا ، هم
من أفرطوا في استخراج الحجارة إنها
مسؤوليتهم و هم بالتأكيد يعرفون ذلك

...

أسكته فجأة بحركة من يده وهمس :

- لا تقل هذا بصوت عالي كي لا يسمعك
أحد ، بالتأكيد هذه مسؤوليتهم لكني
أخشى من أن يدخلوا في حرب مع إحدى
القبيلتين المجاورتين و... .

- داشر ؟

صوت أنثوي يسمع فجأة جعل داشر
يتوقف عن الكلام وبطريقة آلية استدار
كلاهما نحو مصدره ليشعر حسن
بالحرارة فجأة وهو يرى ريحان تأتي
مقبلة وفي يدها الشفرة الحادة الخاصة
بتقطيع النباتات ، بدت كالبدر أمام بصره
المبھلق ووقف مبھوتا أمامها وكأنه
تجمد فجأة ، توجه داشر نحوها وبدأ
يتحدثان بهمس و هما ينظران نحوه بين
الفينة والأخرى ربما ليتأكدا أنه لا يسمع
شيئا مما يدور بينهما وهو الذي يكاد
ينفجر من فرط الفضول لمعرفة موضوع

حديثهما ، قبل أن تغادر ريحان ويشير
إليه داشر قائلاً :

- هيا يا حسن دعنا نغادر .

فتحرك بشرود وبصره مثبت عليها وهي
تختفي خلف أحد المكعبات رفقة فتاة
أخرى و بينما هما يسيران عبر
الشوارع التي غصت بالبشر العائدين
إلى منازلهم قرر حسن أن يكسر حاجز
الصمت ويسأله عن موضوع حديثهما
وبالفعل سأله مباشرة لكنه لم ينجح في
الحصول على إجابة مقتعة إذ أن داشر
اكتفى بالقول بأنها أمور عائلية على
الرغم من كون ريحان مجرد فتاة متبناة
وليست حتى أخته بالمعنى الحقيقي .

انتهى العشاء لهذا اليوم وبدأ العبيد
البشر ينسحبون بتعب إلى منازلهم
تاركين المائدة الكبيرة في حالة من
الفوضى وهاهو حسن ينهض بدوره

ويتوجه للحوض حيث اغتسل وملاً
جرته بالماء ومشى عائداً إلى غرفته
وفي الطريق لفت انتباهه مجموعة من
الإيماء يسرن وقد تعالت أصواتهن وقد
كانت ريحان برفقتهن وهو يراها لأول
مرة بين أزقة القرية ماجعله يسرع
الخطى ليكون على مسافة قريبة منها
حتى يتأملها قدر الإمكان وهو يكاد يطير
من الفرح فمصادفتها في طريق أمر لا
يحدث كل يوم . سلكت المجموعة زقاقا
مظلما به حركة قليلة قبل أن تتوقف
الفتاتان اللتان كانتا معها قرب أحد
المنازل وتودعانها ، و هكذا أصبحت
ريحان تسير بمفردها وسط الظلام وقد
شجعه هذا على السير نحوها والتحدث
معهما قليلا حتى يبدد البرودة التي بينهما
قليلا ولكن فجأة أبصر في نهاية الزقاق
أحد الحراس وهو يقف بصمت مستندا
على جدار أحد المنازل وبطريقة ما أدرك

حسن وهو يراها تتقدم نحوه أن أمرا
سيئاً سيحدث ، وبالفعل وما أن مرت
أمامه حتى تقدم نحوها ببطئ رفقة
حارس آخر كان قد ظهر فجأة وأخذا
يتحدثان معها وقد أمسك أحدهم بيدها
مانعا إياها من الهرب ، تحفز حسن وهو
يرى هذا أمامه وبدت له كفرصة العمر
من أجل محبوبته فغطى وجهه بقطعة
قماش كانت معه منذ أمس و تقدم
نحوهما بخطوات واثقة لكي يلتقهما
درسا قاسيا غير عابئ بما قد يحدث له
من جراء هذا التهور خصوصا وأنهما
كانا مسلحين بتلك الصولجانات الثقيلة ،
قال الحارس وهو يحكم قبضته حول
معصمها :

- يا لهذا الجمال الخلاب ، أتسائل لماذا
لم نرك من قبل أمامنا ؟
ليقول الحارس الآخر :

- سنتسلى بك قليلا فقط ثم نطلق سراحك
وكان شيئاً لم يحدث أليس كذلك ؟ .

ثم ضحك بقوة فيما راحت الفتاة
تترجاهما محاولة إفلات معصمها لكن
من دون جدوى وقبل أن تسلم بالأمر
الواقع سمعت صوتاً مألوفاً يصرخ :

- توقفا ...

ليلتفتوا جميعاً نحو مصدر هذا الصوت
الجهوري وقد شعرت ريحان بقبضة
الحارس وهي ترتخي قليلاً ليخفق قلبها
بقوة وهي ترى آخر شخص توقعت
قدومه ، إنه حسن يتقدم بحزم وثبات
وهو يضم قبضتيه ، شعرت فجأة
بالإرتياح وكان كل مخاوفها قد تبددت
فجأة وهي ترى هذا الذي كانت تعده
مجرد غريب كغيره من الغرباء الآخرين
يندفع مغامراً بنفسه في سبيلها الشيء
الذي لن يقوم به حتى داشر الذي كان

سيصمت على الأرجح ويكتفي بالتوسل ،
نظرت إليه بصمت وكأنها تترجاه أن
ينقذها من براثن هؤلاء الهمج وقع
حسن في حب عينيها الخضراوتان
كأنهما كوكبان دريان وقال في نفسه
متسائلا " يا لهذه العيون الآخاذة ، كيف
سمحوا لأنفسهم بإيذاء هذا الجمال
الأسطوري ؟" ، لبث الجميع ينظرون
إلى بعضهم البعض لبرهة قبل أن يقول
أحد الحراس مخاطبا حسن بنبرة مهددة
:

- اسمع يا هذا ، إن كنت ترغب في
الإبقاء على حياتك فغادر بسرعة
وسندعي أن أيا من هذا لم يحصل.
ليقول الحارس الآخر :

- لا تحاول لعب دور البطل المغوار فنحن
اثتان وأنت واحد وسنحطمك بكل سهولة

ويبدو أنك لا تعلم عقوبة عدم احترام
حراس الساعي ..

هبت نسمة هواء خفيفة عبر الزقاق
الفارغ المظلم ومباشرة ودون أن يتفوه
بكلمة وجه حسن ضربة قوية إلى
الحارس الذي كان يقبض على ريحان
فأطاح به أرضا فيما أسرعت هي
بالفرار مستغلة ذلك ، ومباشرة تفادى
بصعوبة ضربة صولجان الحارس الثاني
وأسرع بالتقاط صولجان الحارس الأول
الذي كان بصدد الوقوف على قدميه ،
كان قد أمضى شهر وهو يقاتل ديدان
زوس في الحقول ولذلك اكتسب خبرة لا
بأس بها في حمل الصولجان والقتال به
. واندلعت معركة قصيرة بينهم و كانت
من أعنف المعارك التي خاضها حسن
في حياته واستطاع هزيمتهما بصعوبة
شديدة بعد أن تلقى عدد من الضربات

المؤلمة في مختلف أنحاء جسده ، رمى
بالصولجان قرب الحارسين المتألمين
على الأرض وأسرع الخطى مغادرا وهو
يعرج في مشيته شاعرا بسعادة غامرة
لا توصف فقد أثبت للتو مدى قوته
وشجاعته أمام ريحان وأنقذها من براثن
المعتدين، لكن في نفس الوقت كان
يشعر بالقلق والخوف من تبعات ما فعله
فقد فتح على نفسه آخر باب كان يريد
فتحه ألا وهو المشاكل مع الحراس ،
بعد مسيرة قصيرة وصل أخيرا إلى
الغرفة ودخلها وهو يلهث من فرط
التعب والجهد ، وكان شوردا ورفاقه
يغطون في نوم عميق وقد ارتفعت
أصوات شخيرهم ، أسرع واستلقى على
سريره وهو لا يكاد يصدق ما حدث للتو
شاعرا بالقلق يلهب داخله وهو يفكر
فيما سيحدث غدا فبال تأكيد سينتشر
الخبر وسيتم التحقيق في الواقعة مع

الحارسين وسيتعرفان عليه بلاشك على الرغم من أن ضوء الغسق الأحمر ساعد قليلا في اخفاء ملامحه ، كان شوردا قد استيقظ فجأة على الضوضاء التي أحدثها قدمه وفتح عينيه محققا به إذ أنه استغرب تأخره في العودة وهو الذي كان دائما ما يسبقهم جميعا في النوم وقد تأكد من أنه تورط في مشكلة ما من خلال لهائه وعرجه عندما دخل الأمر الذي جعله ينتظر حلول موعد العمل غدا بفارغ الصبر حتى يتأكد من صحة اعتقاده الآن ويوجه لهذا الغريب الدخيل ضربة قاضية تبعده نهائيا.

حل الصباح و دوى صوت البوق معلنا بدأ يوم عمل جديد وهاهو حسن يستيقظ متثاقلا بعد نوم طويل مضطرب اختلطت فيها الكوابيس بالأحلام الوردية فمرة يرى نفسه في سجن مظلم محاطا بديدان

زوس تحاول التهامه وهو عاجز عن
الحراك ومرة أخرى يرى نفسه مع
ريحان وهما يمسكان بأيدي بعض
ويسيران في سهول العشب الواسعة ،
كان الألم في أطرافه قد أصبح مبرحا ولا
يجعله يتحرك إلا بصعوبة وفكر في
الذهاب إلى الطبيب حتى يعالجه ويمنحه
مهلة للراحة لكنه سرعان ما تراجع عن
ذلك خشية أن يثير الشكوك حوله ، كان
رفاقه في الغرفة قد لاحظوا بطئه فسأله
شوردا متعمدا عما إذا كان بخير ليرد
بتوتر بأنه كذلك ، كانت شكوكه تزداد و
فكر في أن يسأله مباشرة عما حدث لكنه
تراجع عن ذلك مقررا ترك الأمور تسير
من تلقاء نفسها وستظهر الحقيقة عما
قريب . حاول حسن أن يبدو طبيعيا قدر
الإمكان وهو يخرج من غرفته ويهبط
السلالم مسرعا قبل أن يأتي الحراس
ليتأكدوا من أن جميع العبيد قد غادروا

غرفهم ، وشعر لوهلة بفداحة ما قام
به فلقد جر نفسه لمستتقع من المشاكل
لن يخرج منه إلا بمعجزة وهو الذي كان
يتفادى الصدمات منذ مجيئه فقط لكي
يحافظ على حياته الثمينة لكن كل شيء
يهون من أجل تلك العيون الجميلة
الآسرة كانت هذه الأفكار تشغل عقله
وتجعله يبدو وكأنه عالق في دوامة من
الشروء يلاحظها كل من يقربه. خرج
إلى الشارع وهو ينظر حوله متوجسا
وفي نفس الوقت يتحمل الآلام المبرحة
ليقف ممشوقا بشكل طبيعي دون أن
يلفت إليه انتباه أحد ، حانت منه التفاتة
للخلف لينسى كل آلامه فجأة ويشعر
بسعادة غامرة جعلته يبتسم من تلقاء
نفسه إنها ريحان تقف قرب باب المنزل
وهي تنظر إليه وتبتسم على استحياء
شعر بقلبه وهو ينطلق في عزف
سنفونية الدق ودون أن يفكر اتجه

نحوها ووقف قبالتها يتأملها بصمت
وهو يتمنى لو تستمر هذه اللحظة إلى
الأبد ، توردت خذاها وهي تقول بصوت
خافت :

- كيف حالك يا حسن أتيت للإطمئنان
عليك بعد ما حدث أمس؟ .-

ليرد والإبتسامة لا تفارق محياه :

- أنا بخير لا تقلقي ، كيف حالك أنت ؟

ردت وهي تخفض بصرها لأسفل :

- أنا بخير وأريد أن أشكرك على صنيعك
معي بالأمس ، أنت حقا رجل شجاع
شهم

سحرتة كلماتها وشعر لوهلة بأنه يطير
عاليا في السماء من شدة الفخر ليرد :

- هذا واجبي .-

ابتسمت ابتسامة ساحرة وساد الصمت
بينهما لفترة قبل أن تستأذن للمغادرة
لكن حسن قرر أن لا يدع هذه الفرصة
الذهبية الثانية تفلت من يده فقال :
- مهلا أنت ذاهبة للمدينة صحيح ؟

ريحان :

- نعم بكل تأكيد ..

حسن :

- اذا دعينا نذهب معا فلربما يتكرر
ماحدث بالأمس .

ضحكت بخفوت ورقة ثم قالت :

- هيا بنا إذا .

كانت هذه أسعد لحظات حياته فمنذ
شهرين فقط كان يظن أن فتاة أحلامه
قلعة حصينة يستحيل الدخول إليها ، لكن
شاعت الأقدار أن يدخلها ويعسكر فيها

ويبسط سيطرته الكاملة عليها ، وهاهو
الآن يمشي معها ويتبادلان النظرات
المحرجة بين الفينة والأخرى ، فعلى
الرغم من جمالها الأخاذ إلا أن ريحان
كانت دوما بعيدة كل البعد عن العلاقات
العاطفية خاصة وأنها من عالم البشر
وأعراف عالم الأفول تمنع التزاوج بين
المولدين وإخوانهم من البشر الآخرين
ولذلك لم يتقدم لها أي شاب على الرغم
من كونهم معجبين أشد الإعجاب بها
وهذه فرصة ذهبية ثالثة لحسن كونه هو
الآخر من عالم البشر ولا تناسبه إلا فتاة
من نفس عالمه ، كانا يسيران في
الصف جنبا إلى جنب ويتبادلان الأحاديث
المتفرقة وبعض الضحكات الخفيفة حتى
حدثت جلبة وانطلقت أصوات عالية
جعلت الجمع يتوقف فجأة وتوقف الإثنان
عن الكلام وراحا ينظران هنا وهناك
لمعرفة ما يجري ، ليظهر فجأة عدد من

حراس الساعي وهو يتحركون في
مجموعة كبيرة قادمين من جهة مدينة
النوربا وكان يتوسطهم مندوب القرية
تاليف وكانت ينظر بحدة لصفوف العبيد
أمامه ، توقف الحراس في الأمام
وأحاطوا بهم وعلى الفور أدرك حسن
سبب كل ما يجري وكذلك ريحان والتي
سارعت للإلتصاق بجسده وكأنها تطلب
منه الحماية كما حدث بالأمس وباتت
ترى فيه حارسها وبطلها القوي المقدم
، صرخ المندوب في الحشد قائلاً :

- لقد وقع اعتداء على حارسين من
حراس الساعي بالأمس وقت الغسق
بعد العشاء وقد أصيبا إصابات خطيرة و
نحن نعرف أن المعتدي من المدينة
ولذلك عليه أن يسلم نفسه بسرعة ...

شعر حسن بقلبه يغوص داخل صدره
وبدأت أطرافه بالإرتعاد وشعر بجسد

ريحان الهزيل يرتعد بدوره لذلك مد يده
نحو يدها دون أن يفكر في شيء
وفوجئ بأنها تجاوزت معه وقبضت
عليها بشدة الأمر الذي جعله يزداد
غبطة وسرورا واختفى خوفه فجأة
ما جعله يهمس لها مطمئنا :

- لا تقلقي سنكون بخير .

خلفه ببضع أمتار وقف شوردا الذي كان
يتعقبه منذ استيقاظه وهو يكاد ينفجر
من فرط الغيرة بعد أن رأى ريحان
تمسك بيد حسن وتأكدت ظنونه أكثر من
أي وقت مضى خصوصا بعد أن سمع
بما حصل من اعتداء على الحراس ،
أعاد المندوب كلامه قائلا :

- هيا فليسلم نفسه لكي يحاكم محاكمة
عادلة لن يظلم فيها أبدا ونعده بتخفيف
العقوبة وهذا إن ثبتت عليه التهمة طبعاً
، هيا لا تضيعوا الوقت ...

ساد الصمت و الترقب ولم يتكلم أحد ،
وكاد شوردا أن يصرخ ويشير لحسن
بأنه هو الفاعل لكنه تراجع في اللحظة
الأخيرة خشية أن يكون بريئا وتتجه
الشكوك إليه وقرر أن ينتظر قليلا حتى
يكتشف أدلة مقنعة أكثر ، وهكذا استمر
تأليف في تكرار نفس الكلام والوعود
لكن من دون جدوى واستمر الوضع
هكذا لعدة دقائق مرت على حسن
وريحان وكأنها دهور طويلة إلى أن
يئس تأليف وصرخ بنبرة غاضبة :

- إذا لن تعترفوا ؟ حسنا ، لكني أحذر
الفاعل من أننا سنجدده عاجلا أم آجلا
وعندها سينال قسطا وافرا من العذاب
الأليم ثم سيقتل مباشرة وسأعلق جثته
بنفسي عند مدخل المدينة ليكون عبرة
لكم .

ثم انسحب رفقة الحراس متجها نحو
القرية لإستجواب المزيد ، وواصل
الجميع مسيرهم وقد علت أصواتهم
وهم يتحدثون عن النبوة الغاضبة التي
لم يعتقدوا أن يسمعوها من المندوب
الطيب وعن هذا الإعتداء لكونه الأول
من نوعه في مدينتهم إذ لم يسبق لأحد
وأن تطاول على حارس واحد فما بالك
بإثنين تم ضربهما و إصابتهما بإصابات
خطيرة ،شعر حسن بالإرتياح الشديد بعد
رحيل المندوب وأكمل المسيرة بعد أن
منح ريحان ابتسامة مشجعة ، وصلوا
إلى بوابة مدينة النوربا وقد لاحظ حسن
الذي خفت آلامه بعض الشيء أن هناك
حركة غير عادية عندها فقد كان
الحراس متجمعين في حلقة كبيرة وهم
يتبادلون همهمات غير مفهومة ولم يعبا
للأمر كثير إذ كان جل انتباهه منصبا
على ريحان والتي جمعتها بها صدفة

كادت تؤدي بحياته ، ما إن وصلا إلى
مكعب برياخ حتى انطلق كل منهما إلى
عمله في الأسطوانة والحديقة وقد نسي
حسن أمر داشر تماما والذي لم يرافقه
كعادته ، كان برياخ يطفو على الهيكل
الحجري وما إن دلف للداخل حتى سأله
قائلا :

- أين العبد الآخر ؟ أليس من عادته أن
يحضر معك ؟

رد حسن الذي أنسته سعادته بريخان كل
ما يتعلق بصديقه :

- لا أعلم يا سيدي ، أظن أنه مريض .

برياخ مكشرا :

- مريض ؟

عندها مباشرة دخل داشر وهو يلهث
بقوة وقال مخاطبا برياخ وهو ينحني :

- أعتذر عن تأخري يا سيدي ، أعدك ألا
يتكرر هذا الأمر ثانية .

أمسكه برياح من ملابسه ورفعاه في
السماء وهو يقول بغضب :

- أين كنت ؟ ولماذا تأخرت ؟

رد دأشر :

- لم أستيقظ باكرا يا سيدي كما أنني
متعب قليلا من العمل بالأمس ولذلك
تباطأت في سيرتي ، أرجو أن تسامحني.

أنزله سيده على الأرض وقال :

- سأسامحك فقط لأنها المرة الأولى لكني
لن أتوانى في قتلك إذا حدثت وكررت هذا
الخطأ ...

ثم أضاف :

- أنتم موجودون لخدمتنا فقط أيها البشر
الحمقى ولا يحق لكم أن تتعبوا أو

تمرضوا ، لو كان الأمر بيدي لقتلت كل
بشري يدعي المرض أو التعب فأنتم
جميعا كاذبون ، هيا إلى العمل ...

أسرع داشر وأخذ يساعد حسن في حمل
الحجارة تحت أنظار برياخ الذي طار
كالبرق خارجا بعد أن تأكد من أنهما
يعملان .

- ياله من لعين لقد كدت أقتل ...

تكلم داشر وهو يشهق بقوة ، سأله
حسن :

- أين كنت يا داشر؟

داشر :

- لقد كنت أنجز بعض الأعمال الجانبية
وحدث أمر جعلني أتأخر قليلا ...

حسن بفضول :

- ماهي هذه الأعمال ؟

داشر :

- هذا لا يهم ، ما يهم هو أنني على علم
بما حدث ليلة أمس .

استحال لونه إلى الشحوب وسأله
بصوت متقطع :

- هل .. هل ستشي بي ؟

ضحك داشر وقال :

- لا بالطبع لا ، لقد حكيت لي ريحان كل
ما حدث ليلة أمس وأعترف بأنك شجاع
فعلا يا حسن لقد أنقذتها في موقف
صعب كان أي أحد منا سيتجاهل الأمر
ولن يمتلك ما يكفي من الشجاعة لفعل
شيء لكنك أثبت أنك شهم ومقدام يا
أخي ...

تصاعد الدم إلى وجهه وأحاله للون
الأحمر وابتسم بحياء وهو يسمع هذا

السيل المتدفق عليه من المديح ، فيما
ربت دأشر على كتفه وقال :

- يريد والدي رؤيتك ، أنت مدعو لقضاء
الأمسية في منزلي وسناقش أمرا هاما
للغاية ولا يمكنك رفض هذه الدعوة

ليتسائل حسن :

- أنا موافق ، لكن ماهو هذا الأمر الذي
سنناقشه ؟

ابتسم دأشر وقال :

- ستعرف عندما تأتي

ثم أضاف :

- والآن هيا نكمل العمل قبل أن يعود
برياخ ...

.....
كانت عاصمة قبيلة الأفاشت ترول
تشهد حركة غير عادية هذا اليوم فقد

حضر إليها جميع قادة النوربا من
مختلق أراضي القبيلة بناءا على دعوة
من الملك الشاب بارزن وذلك لمناقشة
وضع الحفر السيء هذه الأيام مع
النقص الفادح في كميات الحجارة
المستخرجة وقلة الدخان المنبعث في
الجو والذي يمثل أهمية قصوى للنوربا
بجميع أنواعهم . اصطف حراس البوابة
على طول الطريق المؤدية للقصر وهم
ينحنون للقادة الذين حضروا واحدا تلو
الآخر رفقة أعداد من مساعديهم
وعبيدهم البشر . و أمام عرش الملك
امتلات الساحة الداخلية بالقادة وبعض
النوربا من سكان العاصمة ومن بينهم
برياخ و الذين كانوا يطفون في الجو
وكلهم ترقب لهذا الإجتماع المهم ،وفي
أحد الأركان على الجانب الأيمن وقف
الساعي رفقة المندوب تاليف ومندوبوا
المدن المجاورة ومعهم عدد من قادة

الحراس و وبعض الكتاب وهم يستمعون
بانتباه إلى ما كان يقوله شيخ القبيلة
وهو يتحدث عن أزمة الحجارة قائلا :

- لقد رأيت بأم عيني الخضراوتين تلك
المشاهد المرعبة للجدران الفارغة
المليئة بالفجوات في الحفر الثلاثة
وكذلك الحفر الخالية في المدن والقرى
الباقية ، أيها النوربا لقد نفذت كل
الحجارة من الحفرتين الأولى والثانية
ولم يبقى سوى كمية قليلة في الحفرة
الكبيرة يتصارع عليها عبيدكم البشر من
أجل أخذها وقريبا قد نفقد قوتنا بسبب
ذلك فماذا أنتم فاعلون ؟

مباشرة صرخ أحد القادة :

- الحرب ...

لتتدلع اثرها موجة من الصراخ والجدال
بين المؤيدين والمعارضين ليرفع الملك
يده ليستك الجميع وهو يقول :

- هدوء ، هدوء ، الحرب ليست قرارا
سهلا علينا أولا أن نتشاور

ليقول داغار وهو قائد مقاطعة الجنوب
على الحدود مع الحمر والزرق :

- سيدي هلا سمحت لي بالكلام من
فضلك ؟

ليرد الملك :

- تكلم يا داغار

تقدم داغار للأمام ووقف بين عرش
الملك والشيخ بطوله الفارع الذي يصل
لضعف طول برياخ وجسده الكبير القوي
ولونه الأبيض اللماع وشعره الأصفر
الطويل الذي يصل للأرض وعيناه
الخضراوتان الكبيرتان المتوهجتان

كمعظم الآفاشت مرتديا عبائته الذهبية
التي تشي بعلو مقامه ورفعته ، كان
محاربا قويا ومقداما صلبا ذو قوة وبأس
شديدين وكان يحظى بمهابة واحترام
جميع النوربا حتى الحمر والزرق منهم
بسبب كثرة الحروب التي خاضها
والبطولات التي سطرها خلال ألف
وخمسمائة سنة قضاها كقائد للمنطقة
الجنوبية ، أخذ ينظر للموجودين ثم قال
بصوت جهوري :

- إخواني النوربا ، أنتم تعرفون مكاتي
ومرتبتي بينكم وتعرفون أن لا أحد
يخاف على هذه الأرض وشعبها مثلي
أنا وأقول بأن هذه ليست المرة الأولى
التي نواجه فيها مثل هذه الأزمات لقد
مررنا بما هو أسوأ من قبل وليست
أزمة شح الحجارة هذه بجديدة علينا
وهي ليست المرة الأولى ولن تكون

الأخيرة وأرى بعضكم يدعون لشن
حروب مدمرة على إخواننا الحمر
والزرق ، أخبروني فقط ما الذي
سنستفيد منه عندما نعرض قبيلتنا
وقبائل اخواننا لإبادة قاسية مريرة ؟...
لا شيء ، نحن نعرض استقرارا دام بيننا
لأربعمئة سنة للزوال فلماذا نفعل هذا ؟
وندخل في حرب قد تكون طويلة و قد
نفقد فيها بعض الرفاق لسنا بحاجة
للحرب ولدي اقتراح آخر مفيد.

صرخ أحدهم :

- وما هو ؟

رد داغار :

- علينا أن نحفر حفرا جديدة ...

هنا سرت همهمات وصرخات خافتة بين
الموجودين وسرعان ما ازدادت حدتها
وتحولت إلى مشادات حادة ، الأمر الذي

جعل الملك يرفع يده طالبا الهدوء حتى
يكمل القائد فكرته وبعد أن ساد الهدوء
أكمل :

- إنها عملية سهلة ولا تتطلب جهدا
كبيرا ، هناك مناطق في الجنوب لا تزال
غير مستغلة ونستطيع الحفر فيها وكل
ما علينا فعله هو إحداث الشقوق في
الأرض ونترك للعبيد الباقي وهكذا
سيعملون على توسيع الحفر الجديدة
وفي نفس الوقت سيستخرجون الحجارة
التي يجدونها في طريقهم وتعود الأمور
إلى طبيعتها .

أنهى داغار كلامه وعلى غير المتوقع لم
يتفوه أحد بكلمة بل ساد الصمت في
الساحة وكأن كل واحد من الحاضرين
يفكر في الإقتراح ويحلله جيدا ، لكن
فجأة تقدم الحارس الأسود الذي رآه

حسن عند البوابة عند مجيئه لأول مرة
وانحنى أمام الملك وقال :

- سيدي هلا سمحت لي بالكلام ؟

رد الملك :

- تكلم يا نوربان

ليستدير نوربان ويواجه الحشد قائلاً :

- إخواني ، إن القائد داغار يعيش في
عالم آخر من الأوهام والخرافات ، يظن
أن باستطاعتنا حفر حفر جديدة ونحن
في عز أزمة خانقة و الوقت يداهمنا وقد
يختفي الدخان من السماء فنصبح
عاجزين حتى عن الطيران ويستغل
أعدائنا الفرصة فيبيدوننا عن بكرة أبينا
، إن حفر حفر جديدة ليس بالأمر الهين
كما يعتقد القائد فحفر حفرة واحدة
يحتاج إلى شهور طويلة من العمل وكما
تعلمون فالحجارة لا تتواجد على السطح

إنما في الأعماق المظلمة ولا أظن أننا
سنصمد حتى يصل العبيد إليها فالأرض
ملئية بديدان زوس من مختلف الفصائل
وسيستغرق القضاء عليها وقتا طويلا
كما وأنا سنخسر عددا كبيرا من عبيدنا
ولذلك أقترح شن الحرب على الحمر
فهم أقل قوة منا ومن الزرق ولديهم
حفر كثيرة غنية جدا بالحجارة التي
تكفينا لعشرات القرون القادمة وما دمنا
نتمتع بالقوة قبل فوات الأوان ، علينا أن
نسيطر على حفر الحمر حتى ولو
اضطررنا لإبادتهم جميعا ...

هنا ارتفع الصياح بقوة فقد كان معظمهم
متعطشين لخوض الحرب فيما حاولت
القلة القليلة التي بقيت تهدأت الأجواء
قبل أن يصرخ داغار بصوت عال
متجاهلا أنه أمام الملك قائلا :

- أنتم مجانين يا قوم تريدون سرقة
موارد غيركم على الرغم من وجود
الحل أمام أعينكم ، سيقود نوربان قبيلتنا
للفناء في سبيل طمعه للحصول على
أمجاد زائفة يا لكم من حمقى ..
هنا قال الشيخ بنبرة مهددة :

- لا تنسى أنك تتحدث أمام الملك يا
داغار فلا تكن وقحا .

ليصرخ برياخ من بعيد :

- لا نريد أن نكون جنباء مثلك يا داغار .

لتعود عاصفة الصراخ والغضب من
جديد وبقوة أكبر وهاهم بعض النوربا
يحاولون الإنقراض على برياخ
وآخرون يحاولون منعهم من فعل ذلك ،
وأخذ نوربان يبتسم بخبث وهو يحدق
بداغار المتجمد في مكانه وهو ينظر
للحشد المتصارع بصمت مفكرا في مدى

قساوة الإهانة التي تعرض لها للتو وهو
المحارب القوي الجسور الذي بنا أمجاد
قبيلة الآفاشت في الماضي . نهض
الملك فجأة ومع نهوضه ساد الصمت
المطبق و توجهت جميع الأنظار إليه في
انتظار القرار النهائي ، علا الملك في
الجو وقال :

- حسنا ليهدأ الجميع ، أنتم تعلمون أن
داغار قائد شجاع و صلب وسينفذ كل
الأوامر حتى ولو كانت ضد إراته ،
أليس كذلك يا داغار ؟

هز القائد رأسه ببطئ وقال بصوت
خافت :

- نعم يا ملكي ولكن ...

ليكمل الملك :

- إذا فقد اتخذت قراري وهو الحرب ...

وماكاد ينتهي من كلامه إلا وموجة
عظيمة من الصياح تندلع في القصر
وهاهم النوربا يصرخون بصوت واحد :

- الحرب ، الحرب ، الحرب ...

رفع الملك يده ليسكتهم ثم قال :

- لن نستنزف مواردنا من الحجارة
وسنتركها للأجيال القادمة ، سنهاجم
الحرمر لذلك استعدوا جيدا فلربما تنطلق
الحملة في الثلاثين المقبل ..

استمر الصياح فيما قال داغر بصوت
خافت :

- لقد قضي علينا .

الملك :

- حضروا أنفسكم أيها الآفاشت فالمجد
ينتظرنا .

ثم وجه كلامه لداغر قائلا :

- حضر خطة للحملة و أرسل لي نسخة
منها حالما تصبح جاهزة .

داغار بأسى :

- أمرك يا مولاي .

فيما قال نوربان للملك :

- هذا أحسن قرار اتخذته جلالتك ،
وقريبا سيحفر اسمك بين ملوك الآفاشت
المخلدن ...

ابتسم الملك الشاب الطامح للمجد
واستمرت الصيحات المؤيدة للحرب ،
فيما لاذ القائد داغار وعدد قليل من
القادة الآخرين بالصمت وهم يفكرون في
مقدار الدمار الذي سيجلبه عليهم هذا
القرار المتعجل المتهور . انتهى
الإجتماع وبدأ النوربا والمندوبون البشر
بالمغادرة واحدا تلو الآخر حتى خلت
القاعة تقريبا ولم يبقى سوى نوربان

الحارس الأسود والشيخ وداغار والملك
، وقد حاول القائد بيأس أن يغير رأي
الملك فقال وهو ينحني أمامه :

- أرجوك يا ملكي أن توقف هذا الجنون
، نحن مقبلون على حرب قد ندفع ثمنها
غاليا .

رد الملك بلهجة غاضبة :

- ما خطبك يا داغار ؟ لقد خضت حروبا
كثيرة في السابق مع والدي وجددي
وانتصرت في معارك كانت الهزيمة فيها
مؤكدة وقد شهدت بنفسني على شجاعتك
خلال تمرد العبيد والحرب مع الزرق قبل
ستمائة سنة فلماذا جبننت هكذا ؟ أم تراك
تعتقد أنني لست كفؤا لقيادة هذه الحرب
؟

ليقول داغار :

- لا يا ملكي أنت ملك شجاع وبطل
كوالدك العظيم تماما لكني أرى أن الحمر
والزرق اخوتنا ونحن شعب واحد فلماذا
نقتل بعضنا البعض ونحن نستطيع أن
نعيش في سلام وأمن وانظر إلى التطور
والرفاهية اللذان نعيشهما في ظل السلام
فلماذا لا نترك للسلم فرصة ؟

هنا تدخل نوربان والذي كان يراقب
ويسمع النقاش من بعيد وقال :

- مولاي ، أرى أنه يجب عليك أن تعزل
القائد داغار فقد أصبح مجرد جبان
خائف ولم يعد كما كان في الماضي وقد
يؤثر كلامه في محاربينا فيتحولون إلى
جبناء مثله أما عن الهراء الذي يقوله
بخصوص الأخوة والسلام فالنوربا
منقسمون ويتقاتلون منذ آلاف السنين
عندما اختفى الأب العظيم والحمر
والزرق يكرهوننا ويتربصون بنا منذ

ذلك العهد ولذلك أرى هذه فرصة
مناسبة للقضاء على تهديد الحمر أو
على الأقل حرمانهم من جزء كبير من
مواردهم ، ريثما نكسب المزيد من القوة
ونطرح بالزرق وهكذا تسود قبيلة
الآفاشت لوحدها في عالم الأفول
ويتسنى لنا الوقت لإكمال مشروعنا حتى
نغزو العوالم المجاورة .

حده داغار بنظرة قاسية ثم قال :

- يا لك من غبي يا نوربان وسيقودنا
غباؤك هذا إلى الفناء ..

عندها لمعت شعلة بيضاء في يد
الحارس الأسود وقال :

- لتعلم أنني لست أخشى من قوتك أيها
القائد ولا تهمني مكانتك بين الآفاشت ،
فأنت تقف في وجه مستقبل قبيلتنا ولن
أسمح لك بالتمرد أو عصيان قرارات

الملك فأنا قائد حرسه والمسؤول الأول
عن حمايته .

ليرد القائد في تحدي :

- مهما بلغت من قوة يا نوربان فلن
تتمكن من هزيمتي ، وإذا لم تصدق
كلامي فتعال لتري بنفسك

عندها تدخل الشيخ وقال :

- يا لكما من بربريين متوحشين كيف
نسيتما أنكما أمام الملك ؟

عندها نظر كل منهما للآخر بحقد ثم
انحنيا أمام الملك وقالا بصوت واحد :
- آسف يا مولاي .

لكن الملك قال في أسى :

- لم أبلغ بعد عامي الثلاثمائة وهاهم
أفضل محاربي على وشك القتال في
حضرتي ...

ليعيدا الإعتذار في وقت واحد قبل أن
يطلب منهما الملك الإنصراف ، ففعلا
ذلك وغادرا القصر وهما يتشاحنان على
طول الطريق ويتحديان بعضهما البعض
وكل منهما يسعى لقتل الآخر بأبشع
الطرق الممكنة .

مر يوم العمل طويلا على حسن وهو
ينتظر بفارغ الصبر حلول الغسق حتى
يعرف سبب الدعوة التي وجهها له
داشر والذي كان يتجنب الحديث عن
منزله وعائلته إلا في مرات نادرة
وبإقتضاب شديد ، وقد حاول قدر
الإمكان أن يتحمل الآلام المبرحة التي
مايزال يعاني منها كي لا يثير الشكوك
خصوصا وأن المندوب لاتييف قد عاد
وسألهم مرة أخرى عندما كانوا داخل
الحفر وكان يرافقه الساعي وعدد كبير
من الحراس الذين قاموا بفحص عدد

منهم بحثا عن أية كدمات أو جروح
ولحسن حظه كان بعيدا عنهم ، وقد
عرض الساعي مكافأة كبيرة تصل لحتى
أسبوع كامل من الراحة لمن يبلغ أو
يدلي بمعلومات عن المعتدي ، وكان
شوردا على وشك الكلام هذه المرة أيضا
لكن مخاوفه الغريبة من أن تنتقل إليه
الشكوك منعتة في آخر لحظة ، وهكذا
نجا حسن ولكنه كان عاجزا عن دفع
العربة ما جعل داشر يقوم بالعمل نيابة
عنه . وهكذا مر عليه اليوم شاقا
وطويلا وبينما هما يقومان برمي
الحجارة القليلة التي حصلا عليها
بصعوبة شديدة من بين أكوام العبيد
داخل الأسطوانة دوى صوت البوق
أخيرا ، وشعر معه حسن بالحماس يدب
داخله مما يجعله لا يطيق الإنتظار أكثر
، غادر المكعب عائدا رفقة داشر وهذه
المررة انضمت لهما ريحان أيضا ولكنها

لم تتكلم معه كثيرا وظلت طوال الطريق
لخارج المدينة تمشي بصمت وهي
مطرقة لرأسها كأن بالها مشغول بأمر
ما ، ولم يهتم حسن لهذا كثيرا فقد
انشغل هو الآخر بالتفكير في سبب دعوة
داشر له إلى منزله كما وانشغل أيضا
بمتابعة جموع قادة النوربا وهم
يغادرون المدينة عائدين إلى قواعدهم
وقد تعطلت حركة العبيد لبرهة بسبب
انتظارهم مغادرة الأسياد أولا عبر
البوابة ، وقد سمع حسن أحد البشر
يهمس لرفيقه بخوف :

- لابد من أنهم هنا من أجل الحرب.

وقد سرت هذه الكلمات بين صفوف
البشر بسرعة البرق وبدأت أسنتهم
تتناقل إشاعة مفادها أن الحرب على
الأبواب ، وهاهو القائد داغار يمر من
أمامه فينحنون له وهم يستحضرون

سمعتة المخيفة التي تسبقه أينما حل
وقد كان معروفا في أوساط العبيد بأنه
الجلاد الذي لا يرحم وكان اسمه مرادفا
للرعب في أذهانهم، وكان الجميع قد
سمع عن الفضائع التي ارتكبها عندما
تمرد العبيد لأول مرة قبل ألف سنة
وأصبحت قسوته ومجازره الدموية
قصصا تحكيها الأمهات لأولادهن بعد
العشاء من أجل بث الخوف في نفوسهم
لكي يناموا . كان حسن يرى داغار لأول
مرة في حياته وقد تملكته الدهشة من
مظهره المهييب ليسأل داشر عنه والذي
قال :

- إنه القائد داغار يا حسن وهو واحد
من بين أقوى النوربا في عالم الأفل
بأكمله وأكثرهم قسوة وشجاعة ، لقد
خاض حروبا ومعارك كثيرة جدا وعلى
الرغم من سنه الكبير الذي تجاوز الألفا

وسبعمائة وستين عاما إلا أنه لا يزال
قويا حتى أنني أظن أن قوته تفوق قوة
الملك والحراس أنفسهم مجتمعين

أخذ حسن ينظر بمزيج من الإعجاب
والرهبة للقائد وهو يغادر محلقا في
الهواء محاطا بعدد من الحراس وهو
يفكر بسخرية في كيفية احتياج قائد كهذا
لحراس يحمونه فإن كان يمثل هذه القوة
فمن الغبي الذي سيفكر أصلا في
مهاجمته ؟ ، غادر جميع القادة أخيرا
وسمح للبشر بالمغادرة أيضا وهم
ينسلون من البوابة كأنهم سرب ضخم
من النمل ، وحسن يمشي بصعوبة بعد
أن زاده العمل الشاق الذي قام به ألما
وضعفا وهو يلتفت بين الحين والآخر
خوفا من عودة المندوب وحراسه مرة
أخرى ، مر الوقت بسرعة وانتهى
العشاء وحان موعد اللقاء أخيرا ، حسن

رفقة داشر يمشيان نحو منزل هذا
الأخير عبر الشوارع المقفرة حيناً
والمكتضة حيناً آخر قبل أن يصل إلى
منزل صغير يشبه الكوخ يقع في آخر
صف المنازل في زقاق ضيق مزدحم ،
ليقول داشر على استحياء وهو يشير له
:

- هذا هو منزلنا

رد حسن مجاملاً :

- يا له من منزل جميل .

سكت داشر ولم يعقب على كلامه ثم دفع
الباب بقوة لينفتح على بهو طويل
مضاء بعدد من المصابيح المتوهجة
البيضاء وعلى جانبيه عدد من الأبواب ،
دلف داشر أولاً يتبعه حسن والذي أخذ
يحدق بإهتمام لأركان المنزل الشبه
مظلمة والتي بعثت في نفسه شيئاً من

الحنين إلى عالمه السابق والذي لم يعد
يتذكر منه أي شيء بعد مرور شهرين
على استقراره في عالمه الجديد ،
اصطحبه داشر إلى باب الغرفة التي تقع
في آخر البهو وهناك قال :
- انتظر ، سأخبر أبي بأنك هنا .

شعر حسن بالتوتر فهو لم يعتد بعد على
مثل هذه اللقاءات في بيت من بيوت
المدينة كما ازداد فضوله لمعرفة ما
يريده منه داشر ووالده ، أطرق السمع
ليتناهى إليه صوت داشر في الداخل
مضافا إليه صوتا آخر يتكلم بنبرة بطيئة
وهو يسعل بين الفينة والأخرى وعرف
من خلاله أن هذا هو صوت والد داشر
والذي يبدو عليه المرض ، فتح الباب
وأطل داشر برأسه من الداخل وهو
يطلب منه الدخول فتحرك ببطئ و التوتر
يسري في عروقه إلى داخل الغرفة

المظلمة الضيقة والتي كان يتوسطها
فراش على الأرض ظهر منه العجوز
ضئيل الحجم شديد النحول وهو يتلفع
ببطانية خفيفة وقد ابيض شعره تماما
وتجعدت بشرته المائلة للإسمرار كابنه
تماما ، تقدم حسن للداخل وقال بتوتر :

- مساء الخير يا سيدي ، كيف حالك ؟

نظر إليه العجوز نظرة جانبية وقال
بصوت واهن:

- لا بد من أنك حسن ؟ ... هيا تفضل
واجلس يا بني .

وأشار بيده النحيل إلى كرسي كان
بجانب فراشه وأمامه طاولة حجرية
صغيرة وضعت عليها جرة ماء بالإضافة
إلى كيس صغير به مسحوق غريب
وردي اللون ، بعد أن جلس حسن سأل
العجوز ابنه الذي كان يقف قرب الباب :

- أين هي ريحان ؟

داشر :

- لم تعد بعد من العشاء .

ليرد :

- اذهب وابحث عنها وأحضرها فالأمر
يتعلق بها أيضا ولا تنسى قبل مغادرتك
أن تجلب لضيفنا شيئا يشربه ...

هز داشر رأسه وغادر الغرفة ، شعر
حسن بالخرج كونها المرة الأولى له
التي ينزل فيها ضيفا على أناس من هذا
العالم وكان يريد أن يطلب من داشر ألا
يحضر له شيئا لكنه خشي من أن
يتسبب في احراج نفسه واحراج
مضيفيه ولذلك التزم الصمت ، قال
العجوز بعد أن سعل قليلا :

- كيف حالك يا حسن ؟

حسن :

- أنا بخير يا عمي .

العجوز :

- أشكرك لقبولك هذه الدعوة المتواضعة ،
لقد أخبرني داشر عنك منذ مجيئك
لأول مرة وأحببت أن أراك عن قرب
وأتعرف عليك فأنت من عالم البشر
الآخرين صحيح ؟ ، أخبرني هل لازلت
تذكر شيئا عنه؟ فلقد مضى وقت طويل
جدا منذ أن صادفت بشريا من هناك .

حسن :

- في الواقع لا أذكر عنه شيئا بإستثناء
اسمي وقليل من الشعور القوي بالحنين
إليه بين الفينة والأخرى .

العجوز متعجبا :

- حنين ؟ ، هذا يعني أن فقاعة شيخهم
لم تؤثر بك بشكل كامل .

حسن متسائلا :

- ماذا تقصد ؟

العجوز :

- شعورك بالحنين إلى عالمك السابق
يدل على أنك مختلف فالكثير من من
جاءوا من هناك إلى هنا نسوا كل شيء
عن ماضيهم وأحاسيسهم إتجاهه في
غضون بضعة أيام ، أما أنت فمختلف .

بدأ حسن يفكر بصمت في هذا الكلام
الذي بدا له غريبا وغير منطقي قبل أن
يكمل العجوز قائلا :

- منذ زمن بعيد انتشرت أقاويل بين
العبيد تقول بأن حكم النوربا المتسلطين
سيزول عما قريب وسيتحرر البشر ولن
يكون ذلك إلا على يد عبد مختلف لا

تزال مشاعره حية تنبض ، وقد صدق
الكثير منهم هذه الأسطورة وانتظروا
على أحر من الجمر ظهور هذا المخلص
وقد عمد النوربا بعد سماعهم بأمرها
إلى قتل كل من يتناقلها وأصدروا قوانين
تمنع منعاً باتاً من الحديث عنها وكأنهم
يشعرون بأنها حقيقية وستحدث قريباً ،
ولكن مع مرور الزمن نسي الجميع
أمرها وضاعت في غياهب الماضي
السحيقة ولكني لم أفعل ذلك ولم أفقد
الأمل وها أنت الآن تجعلني أوّمن أكثر
فأكثر بأنها ستحدث قريباً.

شعر حسن بمزيج من السخرية والتوتر
من كلامه وقال في نفسه " أنا ؟ هل
فعلاً دعاني إلى منزله ليسمعني هذا
الكلام السخيف ؟ ، لا بد من أنه يخرف
". ولم يشأ - احتراماً منه لكبر سنه - أن
يبدي أمامه سخريته هذه فلم يقل شيئاً

واكتفى بالإبتسام ، وقبل أن يضيف
العجوز شيئاً آخر دخل داشر وهو يحمل
ثلاثة أكواب دفعة واحدة بها سائل أزرق
فاتح وقدمها له ولوالده بعد أن ساعده
على الجلوس في فراشه وأخذ لنفسه
واحدا وهو يقول :

- لقد عثرت عليها وهي في الطريق إلى
هنا .

ليقول العجوز وهو يقبض على الكأس
بصعوبة :

- جيد

نظر حسن لهذا السائل الغريب الذي يراه
لأول مرة في حياته ولم يشأ في البداية
أن يشربه خوفاً من أن يكون طعمه سيئاً
، لكن حدود اللباقة فرضت عليه أن
يقربه ببطئ من فمه ويشرب جرعة
صغيرة وعلى عكس ما توقع كان مذاقه

حلوا منعشا ما جعله يسأل داسر عن
ماهيته والذي قال :

- هذا مشروب مسحوق أشجار توفارن ،
وهو من أشهر المشروبات هنا ولا
يحصل عليه سوى المحظوظ فأنا أعرف
رجلا من القرية المجاورة وبقرهم تنبت
هذه الشجرة باستمرار ويتم استخلاص
هذا المسحوق من أغصانها .

ليقول حسن :

- لقد سبق لي وأن رأيت إحداها عندما
جئت إلى هنا لأول مرة
تدخل العجوز قائلا :

- الأشجار هنا نادرة جدا في عالمنا يا
حسن ، فهي لا تنمو بسهولة وتستغرق
وقتا طويلا لذلك فكل شيء مصنوع من
الحجارة الرمادية أو البيضاء ...

ثم استطرد :

- هذا العالم مبني على شيء واحد وهو
الحجارة سواء كانت سوداء أو بيضاء
أو حتى رمادية وهي السبب في محنة
البشر على مدى مئات القرون فلولاها
لما تمكن أبوهم الملعون من الولوج
لعالم البشر ، عالمنا ... ألم يسبق لكما
أن تسائلتما عن سبب الأهمية الكبيرة
التي يوليها النوربا للحجارة السوداء ؟
هز كل منهما رأسه نافيا ، ليكمل قائلا :

- هذه الحجارة هي أساس وجودهم
فلولاها لما استطاعوا أن يتجبروا علينا
ويصبحوا بمثل هذه القوة المدمرة ، إنها
أساس حياتهم وفقدانها يعني اختفائهم
ونهايتهم للأبد ، ألم تسألا أنفسكما يوما
عن سر هذا العمل الشاق الذي يمتد
لساعات طويلة ما بين تلك الحفر
العميقة وتلك الأسطوانات التي تطحن

الحجارة وتحولها لغبار يرتفع في
السماء ؟

داشر :

- لا ، لم نفعل ذلك يا أبي .

سعل العجوز بقوة ثم قال :

- حسنا ، سأنبئكما الآن بسر لا يعلمه

سوى عدد قليل جدا جدا من العبيد

ويخفيه النوربا منذ أول يوم لنا على

هذه الأرض المظلمة ، ففي الواقع فإن

النوربا يستمدون قوتهم وتشكلهم من

خلال الدخان وبدونه يتبخرون في الجو

كأنهم قطرات ماء أمام نار مشتعلة وفي

آخر حرب قامت بينهم قبل قاموا

بمهاجمة وتدمير أسطوانات بعضهم

البعض ما أدى إلى تقليل كمية الدخان

في الجو وقد شهدت أنا وعدد آخر من

البشر اختفاء بعضهم ولم يبقى سوى

من له قوة كبيرة أو قدرة تحمل عالية ،
ولحسن حظي أنني ما زلت على قيد
الحياة لأروي لكم هذا فقد لاحق النوربا
كل من كان شاهدا على ذلك من البشر
وتم قتلهم والتنكيل بهم بوحشية وقد
نجوت أنا بأعجوبة رفقة قلائل توفي
معظمهم مؤخرا للأسف ، هذا لكي
تعرفوا على الأقل بعضا من نقاط ضعف
أعدائكم وخاصة أنت يا حسن فأنا أرى
فيك التجسيد الحقيقي لبطل تلك
الأسطورة

توقف العجوز فجأة عن الكلام وأخذ
يسعل بشدة ما جعلهما يندفعان نحوه
وداشر يصرخ :

- مابك يا أبي ؟ ، هل أنت بخير ؟ ،
أعطني الكيس والجرة بسرعة .

استدار حسن وأخذ الكيس الممتلئ
بالمسحوق الوردي بيد وجرة المياه

باليدي الأخرى وأعطاهما لداشر الذي
أسرع بصب كمية من المسحوق داخل
الجرة ثم خضها بقوة و ساعد والده
على تناول بضع جرعات منها ليتوقف
عن السعال بعد فترة قصيرة من ذلك ،
أعاد داشر الجرة والكيس إلى مكانهما
ثم قال مخاطبا والده بنبرة قلقة :

- عليك ألا تنهك نفسك يا أبي فحالتك
تزداد سوءا مع مرور كل يوم وأخشى
أن تتدهور صحتك أكثر .

رد الأب :

- لا تقلق علي فقريبا سأرحل عن هنا
ولن تضطر أنت وأختك لرعايتي أكثر

داشر :

- لا تقل هذا يا أبي أرجوك .

الأب :

- هذه هي الحقيقة يا بني ولا مفر منها
وجميعنا سنشرب من هذا الكأس .

فجأة سمع صوت الباب وهو يفتح
وصوت آخر يصيح :

- لقد عدت .

كانت ريحان قد عادت لتوها

ليهمس الأب لولده :

- أسرع ونادها هيا .

خرج داسر وتبادل معها بضع كلمات في
البهو قبل أن يعود وهي رففته تدخل
الغرفة على استحياء وهاهو حسن يشعر
بالخجل ما أن رآها أمامه وهي تقول
بصوت مختنق خافت :

- مرحبا

لم يشأ أن يطيل النظر إليها كي لا
يخرجها أكثر خصوصا أمام أسرتها ،

وسارع الأب بدعوتها للجلوس بقربه
على الكرسي الآخر ففعلت ذلك وخداها
متوردان وبصرها للأرض وقد لاحظ ذلك
فقال وهو يشير لحسن :

- اذا هذا هو بظلك يا ريحان ؟

ابتسمت الفتاة على استحياء وتورد
وجهها النضر أكثر

ثم قال موجهها الكلام لحسن :

- لقد عادت في تلك الليلة وهي مرتعبة
وحاولت أن تخفي علينا الأمر لكننا
حاصرناها بالأسئلة مما جعلها تنهار
وتعترف بما حدث.

شعر حسن بدوره بالدم يتدفق إلى وجهه
فيجعله محمرا هو الآخر وقال بصوت
خافت :

- حقا ؟

رد العجوز :

- بالطبع ، وقد أذهلني تصرفك الشجاع
منقطع النظير بمهاجمتك لحارسين من
حراس الساعي وازددت ذهولا عندما
علمت أنك تغلبت عليهما مع أنهما اثنان
ومسلحان و كل هذا في سبيل ابنتي .

صمت قليلا قبل أن يضيف متسائلا وهو
يحدجه بنظرة متعجبة :

- لكن كيف لك أن تغامر بحياتك مع أنك
كنت قادرا على تجاهل الأمر برمته
والمضي في طريقك فأنت لست مضطرا
لحمايتها ؟

قال حسن وبصره موجه للأرض :

- لم أتحمل رؤيتها تتعرض للظلم
والتسلط يا عمي وأؤكد لك أنني كنت
سأفعل الشيء ذاته مع أي أحد آخر ،

فأنا لا أستطيع أن أسمح لأحد بزيادة
معاناتنا أكثر من هذا .

ابتسم العجوز بود ثم قال :

- منذ أن علمت بما حدث وأنا أزداد يقينا
من صحة تلك الأسطورة ، ولم أشعر
بهذا الفخر الذي أشعر به الآن في
حياتي كلها ، وكذلك ابني وابنتي جميعنا
فخورون بك يا حسن .

صمت حسن وقد أصبح وجهه أحمر من
شدة الإحراج ولم يعرف ما يقول وسط
ابتسامات داشر الساخرة والذي سرعان
ما ارتسمت ملامح الجدية على ملامحه
عندما استرسل والده في كلامه قائلاً
وهو يسعل بين الفينة والأخرى :

- لقد عشت حياة طويلة جداً وكان
للأوقات التعيسة نصيباً كبيراً منها ولذلك

فلا بأس أن أحصل على بعض السعادة
قبل أن أرحل ...

جفل كل من داشر وريحان عند
سماعهما لهذا الكلام لكن العجوز استمر
موجها كلامه لريحان :

- ريحان ، لقد كبرت يا ابنتي ، الوقت
يمر بسرعة فعلا لكنه لا يستطيع محو
ذكرياتنا الجميلة فلازلت أتذكر اليوم
الذي جئت فيه إلى عالمنا لأول مرة ،
وقتها كنت مجرد طفلة صغيرة لم
تتجاوز الخامسة وكان الجميع يكرهونكم
أنتم القادمين من عالم البشر وخاصة
الأطفال لإعتقادهم بأنكم نذير شؤم
وهلاك ، لكني لم أكن مثلهم ولم أصدق
هذه الخرافات التي تهدف لتفريق أبناء
الجنس الواحد وحملت على عاتقي
تربيتك إلى جانب داشر الذي كان طفلا
في ذلك الوقت بعد وفاة أمه ، وعشت

بما فيه الكفاية لأراك تصبحين امرأة
جميلة ولم يبقى لي سوى أن أتأكد من
أنك بأمان بين أيدي رجل آخر يمكنه أن
يحميك ويدافع عنك ويجعلك تعيشين
بسعادة لبقية عمرك و سأستثني داشر
من هذا لأنه هو الآخر سيصبح مسؤولاً
بدوره ، أليس كذلك يا داشر ؟

رد داشر بإستحياء :

- بالطبع يا أبي .

وهنا أحس حسن بأن الكلام موجه إليه
وبالفعل فقد نظر إليه الأب وقال :

- وبعد أن رأيت ما فعلته يا حسن وبعد
أن أخبرني داشر عن صفاتك وأخلاقك
كونه يعرفك منذ مدة ويبدو أنك تحبها
حبا جما لهذا قررت أن أدعوك لمنزلي
حتى أخبرك بأنني قررت أن أزوجك
ابنتي ...

وقع الخبر على حسن كأنه صاعقة
حارقة ولم يصدق نفسه وشعر بالأرض
تميد به وبأنهار من السعادة تتفجر و
تجتاح كيانه لدرجة أنه بدأ يشك بأنه
يحلم وقد يستيقظ في أي لحظة ، لكن لا
، لم يكن يحلم بل كان كل شيء من
حواله حقيقيا حقيقيا جدا ولا اراديا ابتسم
ابتسامة عريضة وقال :

- حقا يا عمي ؟

رد العجوز باسم :

- بالطبع يا ولد ، وهل تظن أننا نمزح ؟

حسن :

- هل داشر موافق ؟

رد داشر من خلفه :

- أنا موافق يا حسن خصوصا وأنكما من
عالم واحد ولكما نفس الأصل .

ليسأل مرة أخرى وبصره للأرض :

- وماذا عنها ؟

العجوز مشيرا لها :

- بإمكانك أن تسألها بنفسك .

رفع بصره مرغما ونظر إليها نظرة
خاطفة ، كانت تجلس على الكرسي
خافضة رأسها من شدة الحياء لكن هذا
لم يمنعه من رؤية جمالها كانت كأنها
ياسمينة نظرة آن أو ان تفتحها مبتسمة
بعذوبة وبعياء تجعل القلوب تخشع وقد
انعكس ضوء السراج الأبيض على
ملامحها وعينيها الخضراوتان
الواسعتان وقد لمعتا بشكل يوحي بتجمع
الدمع فيهما ، لم يصدق حسن أن هذه
الحسناء ستكون زوجته وهو الذي غادر
بلاده بل وعالمه وخاطر بحياته وسط
البحر ونجا بأعجوبة من الموت وانقلبت

حياته رأسا على عقب فقط لأن والد
هناك رفض أمر زواجه بها وهي التي لا
تساوي مثقال ذرة من هذا الحسن القابع
أمام بصره المبهلق فعلا الأقدار غريبة
ويستحيل توقع ما تخبأه الأيام من
غموض في جعبتها وشعر لأول مرة
بأن وجوده وسط هذه المعاناة ربما قد
يكون أمرا جيدا . خرجت الكلمات من
فمه متلثمثة متعثرة وهو يسألها عما اذا
كانت تقبل به زوجا ، وقد شعر أنه الآن
يقف على سحابة في أعلى نقطة من
السماء شاعرا بما لا يمكن وصفه شيء
يفوق السعادة والفرح بأضعاف ، راحت
ريحان تكفكف دموعها التي انهمرت
فجأة وظلت صامتة وعندما أعاد الأب
السؤال عليها هزت رأسها موافقة قبل
أن تنهض مغادرة بسرعة تاركة الجميع
يتبادلون الإبتسامات والغمزات قبل أن
يقول الأب ضاحكا :

- يبدو أنها دموع السعادة ، شكرا لك
لجعلها سعيدة يا حسن فهي لن تجد
زوجا أفضل منك بكل تأكيد وأتمنى أن
تكون حياتكما مليئة بالسعادة والفرح .

رد حسن :

- بل الشكر لك يا عمي ولك يا داشر ،
لقد أدخلتما سعادة لا أستطيع وصفها
على قلبي وأعدكما أن ريحان ستكون
في مأمن معي وسأبذل كل ما بوسعي
لأجعلها سعيدة

تقدم داشر وربت على كتفه ثم قال وقد
اكتست نبرة صوته الجدية :

- الآن بعد أن وافقت يجب علينا أن ننجز
بعض الإجراءات الخفيفة بخصوص
الزفاف حتى تكونا زوجين بشكل شرعي
.

تدخل الأب وقال لحسن :

- لا يجب عليك أن تذهب إلى الساعي يا
حسن فلربما تعجبه و يأخذها منك ،
لذلك سيبقى هذا الأمر سرىا ولن يعلم به
أي أحد ، و سنكتب عقدا يشهد على
هذا الزواج الآن .

ليقول لداشر :

- اذهب إلى بيت جارتنا العجوز راداشت
و أخبرها بأمر الزواج ستكون هي
الشاهدة وأنا أثق أنها لن تبلغ أحدا فهي
مصابة بمرض يجعل ذاكرتها ضعيفة
جدا ، وبعد أن تنتهي من ابرام العقد
سننتظر مرور يومين أو ثلاثة لنقيم
الزفاف بما يتسنى للعروسين تحضير
أنفسهما جيدا .

هنا تذكر حسن فجأة أمرا مهما إذ أنه لا
يزال يقيم في تلك الغرفة الصغيرة وهو
لا يملك مكان آخر للذهاب إليه وقد أثار
هذا قلقه لدرجة أنه أخبر الأب مباشرة

بهذه المعضلة مقاطعا حديثه مع داسر
ليقول الأب مطمئنا :

- لا تقلق بهذا الشأن ، لدينا غرفة خالية
في منزلنا وستنتقل إليها مباشرة بعد أن
يتم الزفاف .

كان هذا كافيا ليرفع سعادته إلى
مستوى لم يسبق أن وصل إليه في
حياته وقام متجها نحو الشيخ وراح
يقبل جبينه كتعبير عن الشكر و الإمتنان
الشديد والمحبة الغير متناهية إلى هذه
العائلة الصغيرة التي أصبحت في لمح
البصر سببا في إحياء الأمل في نفسه
وإيقاد شعلة التفاؤل في قلبه بعد مدة
طويلة من اليأس .

اجتمعت العائلة مرة أخرى ومعهم المرأة
العجوز راداشت والتي بلغت من العمر
عتيا لدرجة أنها لم تأتي إلا محمولة
على ظهر داسر وهاهو حسن وريحان

يجلسان جنباً إلى جنب على الكرسيين
وهما ينتظران انتهاء داشر من كتابة
العقد بعد استعارته أوراقاً وقلماً من عند
أحد مساعدي المندوب تاليف مدعياً أنه
يريد إيصالها لمندوب القرية المجاورة.
كان كلاهما يعيشان أكثر لحظات حياتهما
سعادة وفرحاً فحسن منذ شهر كان
يتمنى فقط أن تنظر إليه نظرة واحدة
فقط وهاهي تصبح الآن زوجته وستبقى
بجانبه للأبد أما ريحان فقد تضاعفت
غبطتها بعد أن أدركت أنها ستبقى في
منزل طفولتها إلى جانب عائلتها
الصغيرة ومع الرجل الذي تحبه ، الآن
تمت كتابة العقد وهاهو داشر يمد
الورقة إلى حسن وقد كتب فيها تفاصيل
حواله وحول زوجته معلناً إياهما زوجين
للأبد وفق ما تقتضيه عادات وتقاليد
عالم الأقول وفي أسفل الورقة طلب منه
أن يحدث جرحاً صغيراً في ابهام يده

اليسرى حتى يوقع به على العقد وحذا
حذوه كل من ريحان والأب والعجوز
راداشت والتي لم تتوقف عن الإبتسام و
الهديان وتكرار الأسئلة عن ما يجري ،
انتهت الإجراءات أخيرا وسط تصفيق
من داشر والذي اغرورقت عيناه
بالدموع وهو يرى أخته الصغيرة تكبر
وتصبح امرأة وزوجة ، بعدها قال
العجوز لحسن بعد أن غادر الجميع :

- عليك أن تعود الآن للمنزل يا حسن
وكان شيئا لم يحدث وعد إلينا خفية بعد
ثلاثة أو أربعة أيام في مثل هذا الوقت
حتى لا تجذب الشكوك و اذا سألك أي
أحد عن موضوع إقامتك في منزلنا
فأخبره بأن داشر دعاك للسكن معه ،
مفهوم ؟

هز حسن رأسه موافقا قبل أن يقبل
رأس صهره ويغادر الغرفة وفي البهو

التقى ريحان التي كانت تنتظره عند
الباب لتسأله وهي تبتسم :

- إذا متى ستأتي للسكن معنا ؟

ليجيبها وهو يبادلها البسمة :

- بعد ثلاثة أو أربعة أيام .

ثم يضيف مازحا :

- هل ستشتاقين إلي طوال هذه المدة ؟

ردت وهي تضحك بخفوت وخجل :

- سنلتقي غدا عند برياح وسنرى بعضنا
بعضا أليس كذلك ؟

رد وهو يمسك بيدها :

- بكل تأكيد ، والآن علي الذهاب حتى

أنال قسطا من الراحة فغدا يوم عمل

شاق كما تعلمين .

وبعد أن ودعته وطلبت منه أن يحذر
هاهو يغادر المنزل و هو يهرول مسرعا
وبحذر شديد وسط الطرقات الخالية
خشية أن يراه أحد الحراس الذين
ينتشرون في المدينة بعد نوم الجميع
ولحسن حظه لم يصادف أحدا في طريقه
، دخل الغرفة وكان رفاقه فيها يغطون
في نوم عميق بإستثناء شوردا طبعاً
والذي لاحظ غيابه وبقي صاحيا ينتظر
عودته لعله يعلم سبب هذه التصرفات
الغريبة التي يبديها هذا الغريب عنهم
منتظرا ظهور أقل دليل ضده حتى يبلغ
عنه المندوب ، فتح عينيه وأخذ يحرق
فيه وهو ينزع صندله ويرمي بنفسه في
السريـر وراودته فكرة بأن يواجهه
ويسأله مباشرة عن سبب تأخره لكنه
خشي من أن يؤدي ذلك إلى جدال قد
يوقظ جميع سكان هذا المنزل الكبير
ويجد نفسه في مشكلة هو في غنى عنها

ولذلك قرر التزام الصمت والإكتفاء
بالمراقبة من بعيد حتى الوقت المناسب
والغيظ والحقد يملآن قلبه بعد أن قفرت
لذهنه تلك الصورة لريحان وهي ممسكة
بيده بالأمس ، كان يعشق هذه الفتاة منذ
أن رآها لأول مرة وسط قوافل العبيد و
كان يمني نفسه بالفوز بها في يوم من
الأيام حتى ولو كلفه ذلك الدوس على
أعراف وتقاليد شعبه التي تمنع زواج
المولدين بغيرهم من بني العالم الآخر ،
ولعله لا يدرك بعد أن حسن يعيش في
هذه اللحظة أسعد لحظات حياته لدرجة
أنه عاجز عن النوم ومصاب بأرق من
شدة تحمسه وانتظاره حلول موعد
انتقاله لمنزل فتاة أحلامه .

الفصل الخامس

مرت الأيام الثلاثة ثقيلة على حسن جاثمة
فوق صدره كأنها صخرة صلبة وهاهو يستعد
للرحيل في مساء اليوم الرابع بعد انتهاء يوم
العمل الذي لم يجمعوا فيه الحجارة كالعادة بل
اكتفوا بتنظيف الحقول ومساعدة الإيماء في
تقليم وتزيين الحدائق وكانت هذه أوامر
مباشرة من الملك وقد أدرك القاضي والداني
أن هناك أمرا ما سيحدث فهذه الأوامر لا
تصدر إلا عندما يكون النوربا على وشك
الصدام مع بعضهم البعض وانتشر الهلع و
الخوف وسط العبيد البشر وكثرت الإشاعات
والأقاويل حول حرب عنيفة مقبلة قد تأكل
الأخضر واليابس ، عاد رفقة داشر وريحان
إلى المدينة وما إن تخطوا البوابة حتى أسرع
بمفارقتها ليذهب إلى غرفته لحضر أغراضه
القليلة ، وصل ومان رفاقه لم يعودوا بعد
وأسرع بفتح الخزانة واخراج الأوراق التي

أعطيت له عند مجيئه وعباءة صفراء كان قد حصل عليه كهدية من أحد العبيد لمساعدته في الحصول على كمية من الحجارة داخل الحفر المزدهمة ، لف الأوراق في العباءة وهم بالمغادرة ولكن فجأة ظهر شوردا عند الباب ، نظر لما يحمله في يده قبل أن يبتسم بخبت ويسأله قائلا :

- إلى أين أنت ذاهب يا حسن ؟ هل وجدت مكان آخر للعيش فيه و أنت العبد الفقير الذي لا يكثرث لأمره أحد ؟

تجاهله حسن وحاول أن يخرج لكن شوردا وقف أمامه بجسده الضخم مانعا إياه من الخروج عندها قال حسن مهددا :

- أنا أحذرك يا شوردا ، لقد تحملت استفزازاتك لشهرين ولا أريد أن أتورط معك في مشاكل لا طائل منها، هيا ابتعد عن طريقي بسرعة ..

رد شوردا وهو يبتسم مستفزا إياه لأقصى حد
قائلا :

- أخبرني إلى أين أنت ذاهب وسأبتعد من
طريقك .

صرخ حسن غاضبا :

- لا ...

عندها قال شوردا :

- أنت تحاول الهرب أليس كذلك ؟ ، لقد علمت
بخبير الإعتداء الذي حصل على حراس
الساعي وكنت أشك فيك منذ الوهلة الأولى
وراقبت تحركاتك وتصرفاتك خلال السبعة أيام
الماضية وفي كل مرة كنت أتأكد من أن لك
علاقة بالأمر .

تسارعت نبضات قلبه و جف حلقة هذا آخر ما
كان يتوقعه فقد ظن أن هذه القصة قد أصبح
أمرها منسيا ولن تعود لتنغص عليه حياته
السعيدة مرة أخرى لكن يبدو أن شوردا عازم

على إفساد فرحته ، حاول أن لا يظهر أمامه
التوتر كي لا يشك فيه أكثر وابتسم بسخرية
وقال بلهجة حاول جعلها صادقة قدر الإمكان :

- أنا لا أعرف عما تتحدث عنه يا شوردا
وأنصحك بأن تبتعد عن طريقي قبل أن أفقد
السيطرة فأنا لم أعد أتحمل .

ضحك شوردا بصوت عال وقال بسخرية :

- هل أنت جاد ؟ لقد ازداد يقيني من أن لك
علاقة بالأمر يا حسن ولن أدعك تفلت هذه
المررة سأذهب مباشرة للمندوب وأبلغه بأمرك
حتى يريحنا منك ومن تصرفاتك الطائشة
نهائياً .

وبالفعل استدار بسرعة وخرج من الغرفة
وفي هذا الموقف الصعب لم يجد حسن بدا من
إيقافه حتى ولو اضطر للحاق به واستعمال
القوة ، وفي جزء من الثانية تراجعت في
رأسه العديد من الأفكار والإحتمالات المختلفة

كانها زوبعة على وشك أن تنتزع جذور عقله
وتحوّله إلى وحش كاسر لا يعرف الرحمة ،
ومباشرة وجد نفسه يلحق به بسرعة وينقض
عليه في السلاالم قرب المدخل واندلعت بينهما
معركة عنيفة غير متكافئة فقد كان شوردا
يفوق حسن في كل شيء تقريبا من بنية
وحجم وقوة ، ولكن حسن كان يقاتل بشراسة
غير آبه بسيل الضربات الذي انهال عليه فقد
كان يدرك جيدا أن حياته قد اتخذت منعطفا
جديدا وهذه المرة نحو هوة سحيقة مظلمة
وكل الأحلام الوردية التي عاشها في الأيام
القليلة الماضية ستتبخّر وستحل محلها
كوابيس مفرّعة لا تنتهي ، بعد قتال قصير
استطاع حسن أن يهزم خصمه ويطيح به
أرضا وينهال عليه ضربا مفرغا كل غضبه
وخيبته عليه حتى تمكن منه التعب فجر نفسه
بصعوبة وحمل أغراضه وغادر منسحبا وفي
نفس الوقت عاد عدد من سكان المنزل
وتجمعوا حول شوردا الملقى على الأرض

وهم يتسائلون عن من فعل به هذا ، لم يره
أحد منهم وهو يخرج ما قد يمنحه وقتا قصيرا
لقضائه مع ريحان قبل أن يقبض عليه . كان
يمشي بهدوء بين أكوام البشر مراعيًا ألا
يلفت الإنتباه وفي عينيه نظرات التحسر
والحزن على ما سيفقده شاعر بآلام الإصابات
التي لحقت به تمتزج مع آلام سوء حظه
وكانها سكين حادة تقطع أوصاله ، وصل إلى
المنزل وطرق الباب بهدوء وهو يلتفت هنا
وهناك شاعرا بتوتر وخوف لم يعيش مثلهما
منذ أن جاء إلى هنا لأول مرة ، فتحت ريحان
الباب واستقبلته بوجه باسم ساحر مرحب
غير أن ابتسامتها سرعان ما اختفت ما أن
رأت الحالة المزرية التي هو عليها وحاولت
أن تستفسر منه عما حدث لكنه رفض الحديث
بلطف قائلا بأن لا شيء مهما حدث ، لم تقتنع
الفتاة بما سمعته فلحقت به عبر الرواق وهي
تسأله باستمرار نفس السؤال وهو يجيبها
مبتسما مطمئنا بأن لا شيء حدث . هنا قررت

أن تخبر الأب بما حدث فذهبت مباشرة لغرفته
فلحق بها وهو يقسم بأن لاشيء حدث ، دخلا
معا إلى الغرفة وكان العجوز نائما لكن الجلبة
التي أحدثها كانت كفيّلة بإيقاظه ومباشرة
أخبرته ريحان بأمر حسن وكانت ردة فعله
هادئة حيث سأله بلهجة حنونة مطمئنة قائلا :

- ماذا حدث يا حسن ؟ هيا تكلم يا بني ولا
تخف .

عندها لم يجد حسن مناصا من قول الحقيقة
فأخبرها بقصة عراكه مع شوردا وقد شهقت
ريحان بقوة ووضعت يدها على فمها من شدة
الصدمة ، فحسن الآن مهدد بالسجن أو حتى
بالموت إذا ثبت تورطه في الإعتداء على
شوردا و الحارسين ، صمت العجوز وأخذ
يفكر في حل للمصيبة التي نزلت عليهم للتو
قبل أن يطلب منهما الخروج وتركه بمفرده ،
خرجت ريحان يتبعها حسن والذي أغلق الباب

خلفه وأخذ ينظر لزوجته التي استدارات
وأخذت تعاتبه والدموع في عينيها قائلة :

- لماذا ؟ ... لماذا سمحت له بأن ينجح في
استفزازك ... لماذا ؟

أمسك بها حسن وضمها إليه وقال بهدوء :
- لا تقلقي يا عزيزتي سيكون كل شيء على
ما يرام

دفنت وجها في صدره و أخذت تبكي وهي
تقول بصوت مختنق :

- حياة جميلة كانت تنتظرنا والآن اختفى كل
شيء ، لماذا ؟

لم يتفوه بكلمة بل ضمها إليه بقوة أكبر
وانتظر حتى انتهت من نوبة بكائها قبل أن
يصحبها لغرفتها الصغيرة والتي صارت
غرفته هو أيضا .

مر الوقت في ذلك المساء صعبا و مؤلما إذ
استيقظ الجميع على صوت سعال قوي يصدر
من غرفة العجوز ، كان السعال هذه المرة
مرفقا بكميات كبيرة من الدماء تجمعت في
بركة كبيرة حمراء شوهدت جزءا كبير من
الفراش الأبيض الناصع وراح داشر وحسن
يحاولان بيأس أن يسقيه ذلك المسحوق
الوردي المزوج بالماء لعله يتوقف لكن دون
جدوى كان يسعل باستمرار وبقوة حتى يكاد
قلبه يخترق أضلاعه وكانت الدماء تزداد
كثافة والوقت يضيق ، وفي غمرة اليأس
صرخ حسن على داشر قائلا :

- يجب أن نأخذه لحكيم القرية يا داشر وإلا
سيموت .

رد داشر والعرق يتصبب من على وجهه قائلا
:

- لا ، يحتاج فقط إلى كمية أكبر من الدواء .

كانت ريحان تقف خلفها وقد شحب وجهها
وغطت الدموع وجنتيها وهي ترى الشخص
الذي رباها واهتم بها منذ صغرها على شفا
حفرة من الموت عاجزة عن فعل شيء سوى
التمسك بالقشة الأخيرة من أمل على على
وشك الغرق منتظرة معجزة قد تغير كل شيء
وتقلب الموازين ، لكن هذه المعجزة لم ولن
تتحقق إذ سرعان ما ابتسم العجوز من وسط
عاصفة سعاله قبل أن تختفي فجأة ويحل
محلها تجمهم قاس و جحظت عيناه فجأة وهو
يرفع سبابته مشيرا لحسن وندت عنه كلمات
أخيرة بصوت واهن قائلا :

- حافظ على شجاعتك يا بني فهي من
سيحررك ويحرر سائر العبيد ...

وما إن أنهى كلماته حتى صمت فجأة وللأبد
وأدرك الجميع من حوله أنه قد أسلم الروح .

ومباشرة اندفعت ريحان نحو جثمانه وهي
تصرخ وتبكي بصوت عال مما جعل دأشر

يصرخ على حسن بأن يسكتها وهو يكابد لمنع
دموعه من النزول ، ليسرع هذا الأخير
ويقبض عليها من كتفها ويضمه إليها محاولاً
تهديتها لكنها راحت تضرب صدره بعنف
بيديها وكأنها تصب جام حزنها عليه . قبل
أن يصحبها لغرفتها مرة أخرى وهي تصرخ
رافضة التحرك معه ، ويترك داشر وحيداً
وسط حزنه وانحنى ممسكاً بيده التي أصبحت
باردة وراح يقول بصوت مختنق خائته
دموعه الغزيرة :

- لماذا يا أبي ؟ لماذا رحلت وتركتني وحيداً ؟
... ماذا سأفعل من دونك في هذه الحياة
الموحشة ؟ ... وماذا عن ربحان ؟ كيف
تراها ستتقبل أمر رحيلك ؟ لقد تركتني يا أبي
وأنا في أمس الحاجة إليك ، أرجوك عد فأنا
أحتاج إليك ، ماذا سأفعل من دونك ...

مرت عليه دقائق عديدة ثقيلة كأنها دهور
طويلة وهو على تلك الحالة شاعراً بأن الزمن

توقف وبأن حياته غدت سوداء بلا طعم فلا
يعرف ألم الفقد إلا من جربه ، سمع صوت
فتح الباب منتشلا إياه من السواد الذي كان
يحيطه من كل جانب فاستدار ليجد حسن يقف
عنده وقد تمزقت عباءته من عدة جهات ،
تقدم منه وهو يقول :

- لقد نامت أخيرة من شدة تعبها ، انتظر حتى
تصحو بعد قليل وتكتشف أن كل هذا لم يكن
كابوسا ، يا لها من مسكينة .

لم يجبه دأشر بل قام من مكانه وهو يمسح
دموعه الحارة بطرف عباءته متوجها للخزنة
التي كانت في زاوية الغرفة وفتحها ليخرج
منها كفنا أبيضاً طويلاً ومباشرة أشار له بأن
يساعده في تكفين الجثمان وبعد انتهائهما من
ذلك قال دأشر :

- علينا أن ندفنه بسرعة قبل أن يحين موعد
العمل ، هيا ساعدني في حمله .

سأله حسن :

- ألن نبلغ المندوب ؟

رد داشر بعصبية ونفاذ صبر :

- لا لن نفعل ذلك ، إنها قصة طويلة و لست
في مزاج يسمح لي بإخبارك بها والآن هيا .
حملا الجثمان واتجها به للخارج بحذر شديد
نحو مقبرة المدينة التي تقع في الجانب
الشرقي منها ، وكان الغسق الأحمر ما يزال
يبسط نوره على الشوارع الخالية وعلى كامل
عالم الأفول ، كانا يتحركان ببطئ وبروية
حتى لا يحدثا أي ضجة قد توقظ باقي البشر
وكان الحظ قد حالفهما بشكل ملفت إذ كان
الحراس الذين صادفوه في طريقهم يغطون
في نوم عميق قرب نقاط حراستهم ، وصلا
إلى المقبرة أخيرا بعد طول عناء وهاهي
القبور الصامته الكثيرة تظهر في منظر مفرع
أعاد تذكير حسن بالمصير الذي ينتظره وهو

الذي كان قد نسي ذلك تماما ، دخلا إلى المقبرة وأخذا يتنقلان بين القبور بحثا عن مساحة خالية فقد كانت معظم الأرض محجوزة لكثرة عدد الموتى وبعد بحث طويل استمر لنحو ساعة وجدا أخيرا مساحة صغيرة فارغة قرب السياج وهكذا وضعا الجثمان جانبا وشرعا بالحفر بواسطة معول ومجرفة كان داشر قد وضعهما داخل الكفن قبل إنطلاقهما ، كان المكان هادئا إلا من صوت ارتطام المعول والمجرفة بالأرض الصلبة المعشوشبة وكان حسن يتوقف بين الحين والآخر ليتأكد من أن لا أحد يراقبهما خلسة فينبهه داشر إلى العودة للعمل حتى ينتهيا بسرعة ، حفرا حفرة عميقة مناسبة وأسرعوا بحمل الجثة ووضعها داخلها ثم أحالا عليها التراب ثم مباشرة بعد انتهائهما أسرعوا بالمغادرة بأقصى سرعة فقد اقترب وقت العودة للعمل لم يتبادلا أي كلمة في الطريق فقد كان حسن مشغولا بالتفكير بما سيحصل

له بعد قليل ولم يكن داسر بحال أفضل منه فقد
انشغل هو الآخر بأمر الخسارة الكبيرة التي
تعرض لها والتي لم يكن أبدا مستعدا لها ،
دخلا إلى المنزل وراح داسر مباشرة ينظف
غرفة والده من آثار الدماء فيما جلس حسن
على الكرسي يحدق به ، أفرغ دلوا من الماء
ورح يفرك الأرضية بقطعة قماش وهو يقول
:

- لقد كانت حالته ميؤوسا منها وكنت أتوقع
وفاته في الثلاثين المقبل لكنه خالف توقعاتي
ومات اليوم .

انتشله هذا الكلام من عمق أفكاره فنظر إليه
وسأله معاتبا :

- لماذا لم تأخذه لحكيم المدينة ؟ كان سيعالجه
وينقذه .

رد داسر :

- أخبرتك سابقا أنها قصة طويلة ولن أضيع الوقت بسردها كلها لك وسأخبرك فقط بالسبب الذي جعلني لا آخذه إلى الحكيم .

ثم أضاف :

- ولكن عدني بالأخبار ربحان فهي ستكرهني للأبد إن علمت بما فعلته ، مفهوم ؟

ابتلع حسن ريقه وقال :

- أعدك .

زفر دأشر بقوة ومسح دموعه الحارة التي انزلت على وجهه بكم عبائته ثم قال :

- لقد اعتنى أبي بي أنا وريحان منذ زمن طويل بعد وفاة أمي وكان رجلا قويا بكامل صحته وكنا جميعا نعمل لصالح برياح والذي كان يعاملنا بقسوة شديدة ، المهم قبل عشر سنوات وفي يوم ما لم يحضر أبي الحجارة من الحفر كعادته وعاد خالي الوفاض لأول مرة في حياته الأمر الذي أغضب برياح فقام

بضربه ضربا مبرحا حتى كسر عموده الفقري
وقام بحبسه في حفرة عقاب عميقة ولم
يخرجه منها إلا بعد أن أصابه هذا المرض
التنفسي من جراء الرطوبة واستنشاقه للهواء
الفاسد والملوث في تلك الحفرة ،أنا كنت لا
أزال شابا يافعا وكانت ريحان لا تزال طفلة
صغيرة ولم أعرف ما أفعله لأبي والذي أصبح
مقعدا طريح الفراش في منزلنا فقامت بأخذه
للحكيم الذي أخبرني بأن حاله ميؤوس منها
وسيموت عما قريب ، لكني لم أستسلم وبقيت
أبحث عن علاج حتى التقيت في يوم برجل
يعيش في القرية المجاورة أخبرني أنه لديه
علاج لمثل هذه الأمراض ، ومن دون تفكير
مضيت إليه مباشرة بعد انتهاء العمل وطرقت
بابه ففتح لي ومباشرة قام بإدخالي لداخل
منزله وأخرج جرة صغيرة بها أوراق شجر
زهريّة اللون وقال لي وهو يرفعها أمام ضوء
السراج الواهن :

- هذه أوراق شجرة البريستين وهي ذات فوائد عظيمة خصوصا لمن هم يعانون من أمراض التنفس وهي تعمل كمسكن للأعراض التي ذكرتها بعد تفتيتها ونقعها في الماء المغلي ، والنوربا يمنعون زراعة الأشجار من قبل العبيد كما تعلم وأنا أزرعها خفية عنهم ولم أكن لأخبرك بكل هذا لولا أنني توجست فيك الخير ولذلك سأعطيك الجرة وسأزودك بهذه الأوراق في نهاية كل ثلاثين على أن تعدي بأن لا تخبر أحدا بأمرى .

وعده ومنحني الجرة وعندما سألته عن سر مساعدته لي بهذا الشكل أخبرني والدموع في عينيه بأن أبي أنقذ حياته عندما منحه نصيبه من الحجارة عندما رآه يجلس بحزن أمام عربته الفارغة ، ودون أن أعي بكيت أنا أيضا وأنا أدرك سعة رحمة والدي وشهامته التي لو وزعت على البشر في عالم الأفول لكفتهم جميعا دون استثناء ، وقبل أن أغادر

أخبرني الرجل بأن الأوراق تعمل فقط كمسكن
للأعراض ولن تشفي المرض وأخبرني كذلك
بأن لها أعراضا جانبية قد تكون قاتلة فهي
تضعف القلب و الرئتين ، لكني لم أعبأ كثيرا
بكلامه فكان كل ما يهمني هو ؟إنقاذ والدي
من الموت ، وهذا ما حدث ففي غضون أيام
خف السعال ولم يعد مرفوقا بالدم وفرحت
ريحان كثيرا ظنا منها أنه قد شفي للأبد لكن
ما كانت تجهله هو أن الدواء كان يمتص
صحته ببطئ وكان يوم وفاته قادما لا محالة
وهو ما حدث بعد عشر سنوات من الحادث
الذي كان سببه برياخ المتعطش للألم والدم
على الرغم من أنه لم يقتله إلا أنه سبب له
معاناة كان الموت أرحم منها بكثير وأشك في
أنه تعمد فعل ذلك كي يجعله يعيش أكبر قدر
من الآلام والحزن .

صمت دأشر قليلا ثم أضاف :

- كنت أذهب مرة في الأسبوع لمنزل الرجل حتى آخذ منه الأوراق وهذا كان سبب تأخري في عدد من المرات كما حدث في ذلك اليوم ، وأما عن سبب عدم أخذي لأبي إلى الحكيم فقد اكتشفت أنه قد أصبح متوفيا في السجلات الرسمية لدى الساعي فقد ظنوا أنه سيموت لا محالة داخل حفر العقاب إذ لا أحد يصمد هناك لأقل من ثلاثين ، وقد أخفيت أمر بقائه على قيد الحياة ولم يعلم به أحد سوى ريحان وذلك الرجل فقد خشيت من أن يعلموا بأمره فيجبروه على العمل فيموت من جراء ذلك ، أو ربما يقتلوننا جميعا لأننا أخفينا ذلك ولكن الآن وبعد رحيله لم يعد هناك من داعي لكي أخفي هذا الأمر وها أنت تعلم به .

ثم صمت وعاد إلى فرك الأرضية ، واحترم حسن صمته ولم يشأ أن يسأله سؤالا واحدا من بين عشرات الأسئلة التي كانت تتزاحم في تلايب عقله ، بعدها قام وغادر الغرفة نحو

غرفة زوجته والتي كانت تغط في نوم عميق
وآثار الدموع لا تزال بادية على وجهها الذي
بدا كالبدر رغم ملامح الحزن التي كانت
تستوطنه منتهكة قوانين جماله وسحره ،
تقدم منها واستلقى بجانبها على السرير
محدقا بفراغ بسقف الغرفة شاعر بالخوف
يتعاضم داخله من المصير الأسود الذي ينتظره
بعد قليل مستعيدا تفاصيل الجزء الخاص
بالحفرة التي ألقى فيها والد داشر والمرض
الذي قضى عليه بسببها وراح يحاور نفسه
قائلا : " من المستحيل أن أبقى على قيد
الحياة داخلها لأقل من يوم فكيف إذا بقيت
فيها طوال حياتي الباقية ؟ " ثم أضاف متهكما
" هذا إن لم يقتلوني أولا ... " ، بدأ يفكر في
أن نهايته قد أصبحت قريبة وقريبا سيغادر
هذا العالم الموحش الكئيب إلى مكان آخر
أفضل ، بدأ يستعيد الذكريات التي عاشها
خلال شهرين من وجوده هنا وكان يحاول
أيضا أن يتذكر حياته السابقة في عالم البشر

فيفشل ولا تريه ذاكرته شيئا سوى صورة
سريعة لبحر واسع كبير ومع ذلك يشعر
بالقليل من الحنين إليه داخل قلبه حنين إلى
شيء هو نفسه لا يعرف ماهيته ، " ربما كان
كلام العجوز صحيحا " أخذ يتخيل نفسه
مخلصا ومنقذا لهؤلاء البشر المساكين
المستعبدين وابتسم رغما عنه وهو يتخيل
نفسه يقضي على الملك والحارس الأسود
وبرياخ و سائر النوربا بطرفة عين ثم يرسل
شوردا معهم ويصبح هو السيد الأول لعالم
الأفول والبشر ، أتعبه التفكير وشعر بألم
خفيف في رأسه فأغض عينيه محاولا
الحصول على القليل من الراحة شاعر بلذة
عجيبة تسري في أوصاله ، لكن هذا لم يدم
طويلا فهاهو صوت البوق يدوي بقوة فينتشله
من عالم السلام والدفئ إلى عالم آخر مختلف
تماما عنوانه الألم والمعاناة . فتح عينيه
ونبضات قلبه تتسارع فقريبا سيأتي الحراس
لا محالة لإعتقاله نظر نحو ريحان نظرتة التي

قد تكون الأخيرة مودعا متحسرا على سعادة
لم تدم ويبدو أنها شعرت به يحدق إليها
ففتحت عينيها وما إن رأتها حتى بدأت أحداث
الليلة الماضية المأساوية تتدفق في ذاكرتها ،
لم يكن حلما للأسف فالرجل الذي اعتنى بها
ورباها قد توفي فعلا والرجل الذي سيرعاها
ويعتنى بها ويحميها من أهوال الحياة سيغادر
بعد قليل بدوره ، لم يبق لها أحد سوى داشر
ومن يدري ما إذا كان سيبقى أم يرحل هو
الأخر ، كانت عيناها محاطتان بهالات سوداء
معبرة عن حجم الحزن والألم اللذان عاشتهما
ولا تزال تعيشهما منذ الأمس ، وقد شعر
حسن بذلك فاحتضنها مواسيا وهو يدرك في
قرارة نفسه أن لا شيء سيعوضها عن فقدان
الأب فمهما فعل سيبقى في المرتبة الثانية
ولن يقدر على تعويض ولو جزء بسيط من
حنانه. بدأت أصوات البشر ترتفع في الخارج
وهم يخرجون من منازلهم متجهين إلى
العاصمة وقد أطرق حسن السمع وريحان

بين يديه لعله يسمع أصوات جلاديه في
طريقهم إليه ، في هذه الأثناء تجمع نحو
ثلاثين حارسا قرب البوابة متأهبين للذهاب
للقبض عليه وانطلقوا مسرعين وهم يسرون
بانتظام اثنين خلف اثنين حاملين صولجاناتهم
الثقيلة تحسبا لأي طارئ عابرين الأزقة
والشوارع الضيقة بالعبيد الذين كانوا
يشيحون بوجوههم عنهم من شدة الخوف
، وبعد وقت قصير من السير كانوا أمام المنزل
وقد اتخذوا وضعية هجومية محيطين به
منتظرين الأوامر من قائدهم الذي تلفح بعبائته
الصفراء الباهتة واضعا خوذته الحديدية على
رأسه ، تقدم القائد وطرق الباب بعنف صائحا
:

- هيا افتح الباب أيها العبد حسن نعلم أنك هنا
فلا تجعلنا نضطر لإستخدام القوة .

مرت هنيهة قبل أن يضرب الباب بعنف أكبر
هذه المرة ويصيح :

- هيا افتحوا الباب وإلا كسرناه وكسرنا
رؤوسكم معه ...

كان الناس يمرون بهم وينظرون بعجز واضح
إلى ما يجري أمامهم غير قادرين على فعل
شيء ، وقبل أن يصدر القائد أمره بإقتحام
المنزل فتح الباب ببطئ وظهر حسن رافعا
يديه عاليا في الهواء ، ومباشرة سألته القائد :
- أنت حسن ؟

ليرد :

- نعم أنا هو .

ليومئ برأسه إلى حارسين تقدما نحوه
وأمسكاه بعنف وهما يدفعانه دفعا أمامهما
، وقبل أن يغادر الحرس ركضت ريحان
خارجة من المنزل مندفعة نحو حسن وهي
تصرخ بصوت مرتفع وقبل أن تصل إليه كان
القائد قد صفعها بقوة موقعا إياها أرضا
وهوى عليها بركلة قوية مفقدا إياها وعلها ،

هرع إليها داشر الذي خرج من المنزل هو
الآخر متسائلا عن سبب ما يحدث لكن ثلاثة
من الحراس أمسكوه قبل أن يصل إليها ، كان
يرتجف من الغيظ والغضب صدره يعلو ويهبط
متحديا ثلاثة صولجانا ثقيلة ممتدة إليه
متأهبة لإنهائه إن قام بأي حركة خاطئة ، قبل
أن يشير إليهم القائد بأخذه معهم أيضا وتركوا
ريحان ملقاة بلا حراك على الأرض .

تحرك الحراس وكان حسن في المقدمة محاطا
بالحارسين اللذان أخذوا يدفعانه دفعا لكي
يسرع الخطا وينهالان عليه بالضربات عند
أقل خطوة بطيئة منه وكان خلفهما القائد
وعدد من الحراس وخلفهم جميعا داشر
والحراس الثلاثة الباقون وهم يضربونه
ويدفعونه أيضا وهو يحاول التريث قليلا
ليسرق نظرة للخلف حتى يطمئن على أخته
التي غابت عن أعينه عندما سلكوا طريقا
جانبيا مباشرة نحو مقر المندوب تاليف

وهناك قاموا برميها في زنزانة ضيقة في
الأسفل ، كانت الزنزانة بالكاد تسعها معا
وكانت مظلمة إلا من نافذة صغيرة في الأعلى
يتسرب منها ضوء باهت ، استوى حسن
جالسا وأخذ ينظر لداشر وعلى وجهه ملامح
الأسف والحزن لما حدث ويبدو أن داشر لم
يكن على علم بما فعله لذلك وانتظر حتى
غادر الحراس قبل أن يسأله بلهجة غاضبة
مستاءة :

- ما الذي فعلته يا حسن ؟

خفض حسن رأسه ولم يجب ، عندها ضربه
داشر بقوة على ساقه وهمس بفحيح مرعب :

- أخبرني ماذا حدث ؟

أجابه حسن :

- لقد تشاجرت مع أحدهم

أمسكه داشر من خناقه وقال :

- مع من ؟

ليجيبه وهو يحاول الإفلات من قبضته القوية
:

- مع شوردا، هيا أبعد يدك عني أنت تخنقني .

أدرك داشر أن حسن واقع في مشكلة كبيرة
ولن ينجو منها إلا بمعجزة فوضع يديه على
وجهه وهو يزفر بقوة محاولا إيجاد حل لهذه
المعضلة وعندما سأله عن سبب الشجار قال
حسن :

- لقد حاول منعي من مغادرة الغرفة فقامت
بالتصدي له وأنت تعرف بأنه يكرهني ودائما
ما يقوم بإستفزاري .

داشر :

- لا يمكنه أن يمنعك هكذا من دون أن يبرر
فعلته هذه هل سألك عن سبب رحيلك المفاجئ
؟

حسن :

- نعم ولكني لم أجبه عندها قال بأنه يعلم بأمر
ضربي للحارسين وخرج متوجها إلى المندوب
ليبلغ عني فقامت بإيقافه ...

قاطعته داشر مستاءا :

- أيها الأحقق لما فعلت ذلك ؟

حسن :

- لقد خفت من أن اعتقل بسببه .

داشر :

- ولكنك معتقل أصلا لقد كان عليك أن تدعه
يفعل ما يحلو له لماذا انجرت ورائه وجررتنا
جميعا معك ؟

لم يجد حسن ما يقول فالتزم الصمت وهو
يدرك حجم المصيبة التي حلت عليه فقد
أصبحت حياته مهددة وكذلك حياة داشر
وريحان خصوصا إذا ثبت أمر اعتدائه على

الحراس ، كانت أصوات خطوات ثقيلة قد بدأت تسمع في الممر ومباشرة وقف داشر مسرعا وأخذ يطرق السمع لبرهة قبل أن يحذره قائلا :

- سيأتي الحراس لأخذنا للتحقيق أمام المندوب وحاول أن تنكر أمر اعتدائك على شوردا والحارسين أفهمت ؟

هز حسن رأسه موافقا قبل أن يظهر حارسان عند باب الزنزانة وقاما بالدخول وأخذ حسن معهما فيما راح داشر يترقب ما سيحدث بخوف وقلق لم يعهد لهما مثيلا من قبل .

اصطحبه الحارسان إلى مكتب المندوب تاليف والذي كان في انتظاره بفارغ الصبر إذ لم تحدث جريمة اعتداء منذ زمن بعيد وهو ما جعله متلهفا لبدأ التحقيق ، فتح الباب ودفع حسن للداخل ثم تبعه أحد الحارسين وقام بتكبيل يديه بسلسلة حديدية ثم أجلسه على الكرسي أمام المندوب الذي راح يتفحصه من

الأعلى والأسفل بعينه محاولاً قراءة ملامحه
ونظراته لعله يلاحظ دليلاً يدينه من البداية
وقد حاول حسن منذ البداية أن يظهر بمظهر
البريء البشوش وابتسم في وجه المندوب
الشاب الذي لم يتجاوب معه بل أمسك بورقة
كانت بجانبه وراح يقرأ منها بعض التفاصيل
الشخصية عنه قبل أن يبدأ سيل أسئلته قائلاً :

- أنت حسن أليس كذلك ؟ ، عبد من العالم
الآخر أحضرت قبل شهرين ؟

بدأ التوتر يسري في أوصاله وهو يحاول فتح
فمه ليجيب عن السؤال بطريقة طبيعية ولكن
الكلمات خرجت من فمه مبعثرة مشوشة وهو
ما جعل تاليف يزداد ثقة بأنه المتهم فأكمل
قائلاً :

- لن أطيل الكلام يا حسن ، أنت متهم
بجريمتين اثنتين الأولى هي الإعتداء على
شريكك في الغرفة شوردا والثانية هي ضربك
لحارسين من حراس الساعي .

مباشرة صرخ حسن وهو يتذكر نصيحة داشر
له بإنكار كل التهم الموجهة إليه :

- ماذا ؟ أنا ؟ أنا لم أفعل شيئاً من هذا يا
سيدي أقسم لك .

نظر إليه تاليف بتهكم وهو يعلم - بحكم
تجربته التي لا بأس بها - أن طريقة الصراخ
عالياً والإنكار دائماً ما تتبع من قبل المدانين
لإبعاد الشكوك عن أنفسهم قدر الإمكان وأراد
أن يحاصر حسن ليدفعه للإعتراف فسأله :

- لقد استجوبنا شوردًا بالأمس وأكد لنا أنك
أنت من قمت بضربه كما و أخبرنا شهود
بأنهم رأوك تخرج مسرعاً من المنزل الكبير
وقد تبعت أحدهم وراك تدلف إلى منزل المدعو
داشر .

بدأ جسد حسن يتعرق وبدأ يشعر بالحرارة
ترتفع داخله " إذا هكذا عرفوا مكاني ... " قال
في نفسه وهو ينظر نحو الأرضية الحجرية

محاوِلا إِبِجاد طرِيقَة لِالخروج من هذِه الدائِرة
وقبل أن يقول شيئا أضاف :

- كما وأكد لنا رفاقكما في السكن أنك وشوردا
لم تكونا على علاقة جيدة وكانت هناك
مشاحنات تدور بينكما بين الحين والآخر .
عندها صاح حسن بيأس :

- لقد كان دائما ما يستفزني يا سيدي ويحاول
الشجار معي لكنني كنت أتجنبه قدر ما
أستطيع ...

قاطعُه تاليف وهو يبتسم مدركا أنه نجح في
حصار فريسته :

- هذا اعتراف ضمنى منك يا حسن
رد حسن بغضب :

- لا ، لم أقل ذلك

ليقول بنفاذ صبر :

- تريد المزيد من الدلائل ؟ حسنا ...

ثم قال لأحد الكتاب :

- هيا اذهب وأحضر الشهود ، بسرعة

عندها خرج الكاتب وغاب لبرهة ثم عاد ومعه كل من تارش وهاشر وشخص آخر وأخيرا شوردا الذي غطته أقمشة صفراء عليه بقع من الدماء وكانت عينه اليمنى مغطاة بعصابة سوداء والأخرى منتفخة مزرققة ، نظر إليهم حسن والخوف يملؤه مدركا أن نهايته قد حانت ، وما إن دخلوا ووقفوا أمام المندوب حتى سألهم :

- هل تقسمون على قول الحق جميعا وألا تكذبوا ؟

ردوا بصوت واحد :

- نقسم .

: ليكمل :

- حسنا ، تارش وهاشر هل كان حسن
وشوردا على خلاف من قبل ؟

رد تارش :

- نعم يا سيدي

المندوب :

- جيد

تدخل حسن بغضب :

- أي منا كان يستفز الآخر ؟

تجاهله تاليف وسأل الشخص الآخر :

- شاراد ، أنت رأيتَه يخرج مسرعا بالأمس

من المنزل الكبير وتبعته حتى دخل منزل

المدعو داشر ، صحيح ؟

رد الرجل :

- مؤكد يا سيدي وأقسم لك بذلك .

حدجه حسن بنظرة قاسية وسأل تاليف قائلا :

- هلا سألت تارش وهاشر عن حقيقة
استفزازات شوردا لي ؟

لم يرد تأليف بل نادى حراسه وطلب منهم
الكشف عن جسد حسن وما إن فعلوا ذلك بعد
مقاومة بسيطة منه حتى ظهرت الكدمات على
ظهره وصدره ويديه ، عندها قال المندوب :

- هذا هو الدليل القاطع الذي يدينك يا حسن .

- لقد أصبت بها عندما جاء حراسك لإعتقالي .

- كاذب ، لقد أكد لي قائد الحرس قبل قليل
أنهم لم يفعلوا لك أي شيء سوى قيامهم
بدفعك .

ثم أضاف وهو يمسك بورقة أخرى :

- والآن لننتقل إلى القضية الثانية وهي ضرب
حارسين من حراس الساعي ، يا لها من
تهمة خطيرة ...

- ماذا ؟

صرخ حسن وهو ينظر نحو شوردا الذي كان
يبتسم بخبث كعادته ، وود لو ينقض عليه
ويبرحه ضربا مرة أخرى لكن تاليف انتشله
من أفكاره هذه عندما قال :

- لقد أخبرني شوردا بأن لك علاقة بما حدث يا
حسن ، كما وأخبرني أحد الحارسين بما حدث
في تلك الليلة .

قاطعته حسن متهمًا :

- أخبروك بالأكاذيب طبعًا ..

عندها أشار تاليف للحارس الذي تقدم نحو
حسن وصفعه بقوة ، قبل أن يقول :

- لا تقاطعني مرة أخرى مفهوم ؟ ، والآن أين
هو الحارس ليُدلي بشهادته .

فتح الباب مرة أخرى ودخل أحد الحارسين و
أخذ حسن ينظر إليه واضعًا يده على خده
متألماً من الصفعة التي تلقاها للتو ، سأله
المندوب قائلاً :

- هيا أيها الحارس أخبرني بما حدث في تلك الليلة حتى أنتهي من هذا بسرعة فلدي أعمال علي القيام بها .

تنح الحارس ثم قال :

- سيدي ، في تلك الليلة كنا نقوم بواجبنا في الحراسة حتى مرت بنا فتاة لا أستطيع أن أتذكر ملامحها جيدا وقد شككنا بها لكونها كانت تتحرك بسرعة نحو الجدار ، فقمنا بالتوجه نحوها لنطرح عليها بضعة أسئلة وفيما نحن نفعل ذلك ظهر هذا الشخص من الظلام وقام بالهجوم علينا .

انتهى الحارس من سرد حكايته وكاد حسن ينفجر من فرط الغيظ ومباشرة صرخ بصوت غاضب مخاطبا المندوب :

- كيف تصدقه؟ إنه يكذب يا سيادة المندوب لقد أراد هو ورفيقه أن يعتدوا على الفتاة وأنا

خلصتها منهما فقط وبدلا من أن تشكرني
تقوم بإتهامي؟.

شعر المندوب بأن هذا الكلام به شيء من
المنطق لكنه أراد أن يرسل حسن للحفر بأي
طريقة ممكنة فقط لأنه يريد أن يتشبه بالنوربا
والساعي في طغيانهم حتى لا يظهر بمظهر
لطيف رحيم كما يظن العبيد وحتى يثبت نفسه
أكثر أمام أسياده ، ولأن حسن يدافع بإستماتة
عن نفسه وفجأة خطرت على باله فكرة فقال :

- بكلامك هذا اعترفت ضمنيا بتورطك في
الجريمة كما أننا استجوبنا الفتاة واعترفت لنا
بأن الحارسين لم يقصدا إيدائها ...

وقعت هذه الكلمات على حسن كحجارة ثقيلة
واعترته صدمة لم يرى مثيلا لها في كل
حياته وشعر أن أبواب الفرار قد أغلقت في
وجهه وكاد يستسلم لكنه تذكر فجأة أن ربحان
بقيت معه طوال الوقت تقريبا بالأمس كما وأن
الحراس لم يأخذوها معهم عندما أتوا لإعتقاله

، وقد أعطاه هذا دفعة لمواصلة المقاومة فقال
بنبرة واثقة :

- من هي هذه الفتاة يا سيادة المندوب ؟ ولما
لم تحضرها هنا معنا لتشهد ضدي كما فعل
هؤلاء ؟

بهت تاليف ولم يدري بما يرد على هذا الدفاع
المنطقي المحكم ولم يترك له حسن الفرصة
لكي يستجمع أفكاره فواصل هجومه قائلاً :

- هل من المنطقي أن تتجه فتاة ضعيفة نحو
الجدار في وقت الغسق ؟ لماذا لم تسأل
حراسك عن السبب الحقيقي الذي دفعهم
للتحرش بها ؟

شحب وجه الحارس ولم يكن المندوب أحسن
منه حالاً إذ شعر أن هيئته وسطوته قد
تحطمتا أمام هذا العبد الجريئ وهو الذي أراد
أن يظهر بمظهر صلب لا يكسر أمام العبيد

البشر وأسياده النوربا الأمر الذي أشعل
الغضب فيه فضرب الطاولة بقبضته وصرخ :
- هذا يكفي ، لن أسمع المزيد من هذا الهراء
كل الدلائل ضدك أيها العبد لإعتدائك على
شوردا وعلى الحارسين وستذهب مباشرة
إلى حفر العقاب لتلقى جزائك هناك هيا خذوه
من هنا .

أمسك الحارس حسن وجره بقوة نحو الخارج
ولكن هذا الأخير لم يكن يريد أن يكون لقمة
سائغة فتشبث بالمقعد وراح يقول للمندوب :

- يا لك من ظالم ، كيف تحكم علي هكذا دون
أي دليل واضح على سبب ضربتي للحارسين
، لقد كنت أظنك عادلا لكنك كاذب تلفق التهم
ضدي ... كان عليك أن تسأل هذا الكذاب عن
سبب استفزازاته المتكررة لي فقط لأنني من
العالم الآخر وكيف حاول منعي من مغدرة
الغرفة في ذلك اليوم ... وكان عليك أن تسأل

هذا الحارس النذل عن السبب الحقيقي الذي دفعه للإقتراب من الفتاة .

لم ينجح الحارس في سحبه بعيدا وهذا ما دفع الموجودين في الغرفة بمن فيهم شوردا للتدخل وابراحه ضربا أثناء سحبه للخارج وكان حسن أضعف من أن يقاومهم جميعا فاستسلم لهم وتركهم يسحبونه للخارج ولكن قبل ذلك نظر للمندوب نظرة أخيرة وصرخ :

- سيأتي يوم وستدفعه فيه ثمن ظلمك لي ، تذكر هذا جيدا .

ثم اختفى خلف الباب ، ابتلع تاليف ريقه ومسح العرق من على جبينه وزفر بقوة ، صوت ضميره يصدح داخله بأن كل كلام حسن كان صحيحا وهو ظالم فعلا ، نفى هذه الأفكار عن رأسه ، قبل أن يفتح الباب ويدلف شوردا للداخل لاهثا وهو يقول :

- لقد أخذناه بعيدا ، ولا تدع كلامه يؤثر عليك
فقد حكمت بما هو مناسب يا سيدي .

بدأت كلماته المتملقة كخنجر حاد يغرس في
كيانه فصرخ عليه وهو يشير إلى الباب :

- هيا اخرج ولا تريني وجهك هنا مرة أخرى
بسرعة .

لم تكن هذه هي ردة الفعل التي توقعها شوردا
فقد كان يتوقع ثناءا وشكرا ولذلك غادر وهو
يتمتم بشتائم حذرا من أن يسمعه المندوب
الذي عاد لتفحص أوراقه وضميره يوخزه
بإستمرار .

خرج داشر أخيرا من الزنزانة وطلب منه
العودة إلى عمله بسرعة لكنه قرر العودة
للمنزل حتى يطمأن على ريحان متجاهلا
غضب برياخ الذي سينصب عليه إذا ما تأخر
، وفي الطريق كان يفكر بشرود في مصير
حسن " يا ترى هل اعترف فعلا بما حدث ؟ "

تسائل في نفسه ، وصل إلى المنزل ودخل
شاعرا بأنه بارد ولم يعد ذلك المكان الدافئ
الذي كان يحتويه عند الصعاب ، عرج إلى
غرفتها وهو يسمع شهقات بكائها فتح الباب
ليجدها متكورة على نفسها فوق السرير ،
أغلق الباب بهدوء وتقدم نحوها ببطئ ولم يقل
شيئا بل احتضنها وراح يمسد شعرها قبل أن
تسأله بصوت واهن :

- أين هو حسن ؟

رد مطمئنا :

- لا تقلقي سيكون بخير .

ردت وهي تشهق :

- كيف سيكون بخير وهو عندهم الآن .

داشر :

- أنا واثق من أنه سيكون بخير فهو شاب قوي
وذكي وسيجد حلا بكل تأكيد .

ردت متهكمة :

- مثما وجده الذين سبقوه .

سكت داشر ولم يرد بشيء واستمرت يده
تنساب عبر شعرها الناعم ، قبل أن يسألها :

- ألم تذهبي للعمل بعد ؟

ردت :

- لا ولا أريد أن أذهب .

داشر :

- لكن ألم يجديك الحراس عندما جاءوا ليفتشوا
المنزل ؟

ريحان :

- لقد اختبأت منهم في غرفة أبي .

- لكن هذا لن يمنع برياخ من البحث عنك
والآن هيا بنا قبل أن نقع في مشكلة ستودي
بحياتي وحياتك معا .

لكن ریحان رفضت ذلك وقالت :

- لن أذهب وليحدث ما سيحدث فحياتي لم تعد تهمني بعد وفاة أبي ورحيل حسن .

عندها قال داشر متسائلا :

- وأنا ؟ ألا تهتمين لأمري ؟

هزت رأسها موافقة فقال داشر :

- والآن إن كنت تهتمين حقا لأمري فعليك أن تنهضي لكي نذهب للعمل .

نهضت ریحان بتثاقل وهي تقول :

- لم أعد أتحمل يا داشر .

رد داشر :

- ولا أنا يا أختي لكن ما بيدي حيلة ...

غادرا المنزل متجهين إلى المدينة وكانت الطريق خالية تقريبا إلا من بعض الحراس الذين لم يكثرثوا لأمرهما على غير العادة

وانشغلوا بالحديث بصوت مرتفع وقد سمع
داشر أحدهم يقول لرفاقه :

- لقد أمرونا بالإستعداد للحرب إنهم يحشدون
العبيد لذلك ...

خف صوته ولم يعد يسمع عندما ابتعدا عنهم ،
وكانت ريحان قد سمعت كلامه أيضا فسألت
أخاها بوجل :

- أية حرب ؟

هز داشر كتفيه وقال :

- لا أدري ...

وصلا إلى المدينة وكانت البوابة مفتوحة وقد
تجمع عندها عدد من النوربا وراحوا
يتناقشون عن موضوع ما ، مرا بجوارهم وقد
انحنيا لهم وفي خلال ذلك كان أحدهم يخبر
البقية بأن الملك أمر بتوجيه بعض الحراس
السود إلى الحدود مع الحمر وكذلك عن رسالة
التهديد التي تم إرسالها إلى ملكهم تطالبه

بتسليم ثلثي حفره وبعض أراضي قبيلتهم ،
كانت المدينة تنشط بحركية كبيرة كالعادة وقد
كان العبيد إما في الحدائق أو في الخارج
ينظفون حقول العشب . في الطريق التقى
داشر وريحان بأحد معارفهما وراح يتكلم عن
الحرب الوشيكة التي يمكن أن تندلع في أي
وقت بين الخضر والحرر متمنيا أن تكون
الغلبة للحرر فهم أرحم قليلا من الخضر ، قبل
أن يغادر فجأة عندما أبصر عدد من حراس
الساعي يطوفون بين العبيد وهم يطرقون
السمع إلى أحاديثهم . وصلا أخيرا إلى مكعب
برياخ وكان خاليا حيث أنه ربما غادر باكرا
قبل وقت مجيئهما وبما أن العمل في الحفر
متوقف فلم يجدا سوى الحديقة وانطلقا
يقلمان أغصان أشجارها حتى إذا ما عاد
ظنهما قدما باكرا ، كان داشر يعمل وفي نفس
الوقت يرهف السمع للأصوات القادمة من
خلف الجدار المحيط بالمكعب لعله يلتقط أخبارا

أو معلومات تتعلق بهذه الحرب الوشيكة والتي يبدو أنها لن تبقى شيئاً في طريقها

بعد أن تم جره وضربه على طول السلاالم المؤدية لمخرج مقر المندوب ، أدرك حسن أخيراً أن المقاومة لن تجدي نفعا وأن أوانها قد فات ولذلك اعتدل واستوى واقفا وتحرك ببطئ رفقة حارسين يتبعهما ثالث عبر الطريق التي اعتاد أن يسلكها عندما كان يذهب لجلب الحجارة من الحفر وكان الحراس لا يبخلون عليه بالضرب المبرح بمقابض صولجاناتهم عند أقل تباطئ أو تقهقر منه وقد أدمى أنفه وفمه وسال الدم الحار على صدره وملابسه ولم يسمح له بالتوقف لإيقاف النزيف الذي استمر حتى وصولهم إلى الحفر الثلاث الكبيرة والتي كانت فارغة كأنها قرية أصابها سيل عرم دمر كل ما فيها ، كانت حفر العقاب تقع خلفها مباشرة انقبض قلبه وشعر بالخوف ما إن رأى السياج الحجري الذي يحيط بها وكان

عاليا وعليه عدد من الحراس يحيطون به ،
تذكر كلام داشر حول الجحيم الذي عاشه والده
عندما رمي في احدى هذه الحفر التي صنعت
خصيصا لتأديب الخارجين عن القانون أمثاله
وشعر أن نهايته قريبة كأنها نفق أسود يوشك
أن يبتلعه ، تمنى في نفسه لو أنهم قتلوه
مباشرة دون أن يضطر للمرور بهذه المرحلة
الصعبة لكنها مرحلة حتمية في قواميس
الطغاة حتى يجعلوه يندم على اللحظة التي قرر
فيها أن يخالف قوانينهم ويتمرد عليهم ، وصل
إلى البوابة الحديدية الصدئة شاعرا أن رجلاه
لم تعودا قادرتين على حمله ومع ذلك تحامل
على نفسه ووقف بشموخ ليظهر أمامهم
بمظهر الشجاع الواثق على الرغم من أن يكاد
يموت رعبا من الداخل ، أوقفه الحارسين
وثبتاه في مكانه وتقدم الحارس الثالث ليتبادل
بضع كلمات مع حارس آخر كان يقف جانبا ،
وبعد أن انتهى الحوار صرخ على رفاقه في
الداخل ليفتحوا البوابة وفي الحال كان حسن

يقف أمام مشهد ذكره بالمقبرة التي دفن فيها
والد داشر ، مساحة واسعة مفتوحة تتوزع
فيها صخور ضخمة بقرب بعضها البعض
كأنها شواهد على قبور منسية وقد تصلب في
مكانه عاجزا عن السير ولكن بضع ضربات
من الحارسين كانت كفيلة بجعله يتقدم للداخل
، رائحة التراب المبلل تصاحبها رائحة غريبة
تملئ المكان وكأنها رائحة الموت وهاهو
العرق البارد يبدأ بالتصبيب منه كشلال شاعرا
بحرارة يصاحبها توتر وخوف لم يعهد مثلهما
من قبل ، بدأوا بالتحرك عبر الصخور الجاثمة
فوق الحفر رافضة الكشف عما يوجد تحتها
من فضائع يندى لها الجبين قبل أن يتوقفوا
عند حفرة كانت بلا صخرة فوقها نظر حسن
نظرة خاطفة إليها ، كانت كأنها هوة مجهولة
سوداء مظلمة على وشك أن تلقيه في الجحيم
الذي لطالما حاول تفاديه منذ مجيئه لأول مرة
لكنه الآن يقف على شفا حفرة منه ولن ينقذه
أحد ، نظر حوالية نظرة أخيرة للعالم الخارجي

قبل أن يغادره للأبد وقاوم الإرتجاف الذي بدأ
يعتري أطرافه أغمض عينيه وابتلع ريقه
بصعوبة شاعرا بدوار غريب قبل أن يخفق
قلبه بقوة عندما سمع الحارس يأمر رفيقيه
بإلقائه في الحفرة وفي الحال شعر بدفعة قوية
من الخلف و بأنه يتهاوى من مكان مرتفع
قبل أن يصطدم بقوة بالتربة اللينة التي ملأت
أنفه وفمه ، بقي مستلقيا على هذه الحال لفترة
وهو يسعل بقوة قبل أن يستوي جالسا وقلبه
ما يزال يخفق بسرعة كان ظهره ملتصقا
بجدار الحفرة وكانت قدماه منتثبتين من الجهة
الأخرى كأنه ألقى داخل زجاجة فارغة وكان
المكان منيرا بفعل الضوء الذي كان يتسرب
من الفتحة في الأعلى ، شعر بشيء آخر غير
التراب يلامسه من الجانب حيث كانت الحفرة
أكثر اتساعا وفوجئ بنصف هيكل عظمي
بشري ملقى بإهمال قرب ما جعله ينتفض
كالمسوع ويسحب نفسه مبتعدا وهو يصرخ
طالباً من الحراس في الأعلى أن يسحبوه بعيداً

عن هذا الرعب لكن أحدا لم يكثرث لأمره ، ما جعله يحاول تسلق جدار الحفرة لعله ينجح في الوصول للأعلى ولكنه فشل بسبب كون الجدار مسطحا ويستحيل تسلقه وهكذا جلس بيأس محدقا في الهيكل العظمي الذي يخبره بصمت عن مدى الرعب الذي عاشه قبله الذي هو بصدد المكوث فيه لما بقي من أيام أو ربما ساعات من حياته . سمع صوت اهتزاز عال جعل التراب يتساقط على رأسه ثم مباشرة ساد الظلام في المكان ، لقد أغلقوا الحفرة ولم يبقوا له سوى شق صغير في الأعلى حتى يتسرب إليه الهواء بما يكفي لقتله ببطئ ...

في هذه الأثناء كانت قاعة عرش الملك بارزن مكتظة عن آخرها بالآفاشت فقد حضر عدد كبير منهم لكي يسمعوا رد ملك الحمر على رسالة التهديد التي أرسلت إليه والتي تطالبه بإخلاء جميع حفر القبيلة وتسليمها لهم مع التنازل عن عدد من المقاطعات الغنية

بالأشجار والحقول الخضراء بالإضافة إلى
السماح للخضر بامتلاك نصف العبيد البشر
الموجودين لدى الحمر ، وقد منع البشر من
الحضور بناء على أوامر من الشيخ وذلك
حتى لا يعرف أي منهم الموعد النهائي للحرب
إذا حدث واندلعت، كان الجميع يتبادلون الكلام
بصوت مرتفع وهم يتناقشون في الطريقة التي
سيرد بها الملك على طلباتهم شبه المستحيلة
وقد ذهب أغلبهم إلى أن الحرب ستقوم لا
محالة وأن الملك سيرفض الإنصياع لهم ، كان
الملك الشاب يتكلم مع كل من الحارس الأسود
نوربان والشيخ قبل أن يسود الصمت فجأة
عندما دخل مبعوث الملك وهو في حالة يرثى
لها وعلى جسده آثار ضرب وحروق وكانت
عبائته ممزقة ومحتركة ، أفسح له الجميع
الطريق وهو يعرج ببطئ نحو الملك الذي نظر
إليه بذهول ثم سأله :

- ماذا حدث ؟

رد المبعوث وهو يسلمه الورقة بيد مرتجفة
وبصوت ضعيف يكاد يسمع :

- لقد ... قاموا ...

سقط على الأرض ولم يستطع اكمال جملته ثم
انفجر جسده بقوة محدثا دخانا كثيفا ارتفع في
الجو ، فتح الملك الورقة ثم بدأ يقرأ بتمعن ما
كتب فيها و كانت كما توقعها تماما مملوءة
بالتهديد والوعيد والتحدي له ولقبيلته وعندها
أعاد قرائتها على الموجودين في القاعة
بصوت مسموع وقد ألهبت كلمات الرسالة
غضب النوربا وراحوا يصرخون بصوت عال
وهم يتوعدون الحمر بالدمار والموت وعندها
قام الملك من عرشه وحلق على علو كبير
منهم وهو يعلن رسميا عن بدأ الحرب ضد
الحمر وهو ما زاد من الصراخ وصيحات
الغضب ، وراح نوربان والشيخ يتبادلان
النظرات وكل منهما يدرك تمام الإدراك ما يفكر
فيه الآخر .



الفصل السادس

كانت الأوضاع غير عادية في كامل أراضي
قبيلة الأفاشت فقد أعلن الملك عن بدأ الحرب
مباشرة بعد نهاية الإجتماع وطاف الحراس
حول القرى والمدن لكي يذيعوا الخبر ،
وانتشر الذعر وسيطرت حالة من الخوف
والترقب على نفوس العبيد البشر في تلك
الأمسية وهم يرجعون بسرعة إلى قراهم تحت
أوامر وضربات الحراس وعلى طول طريق
العودة المؤدية إلى المدينة انتشر عدد من
الكتاب وراحوا يعلمونهم بنبا الحرب طالبين
منهم المكوث في منازلهم وعدم الخروج منها
باستثناء وقت العشاء الكبير أما ما دون ذلك
فهو ممنوع منعا باتا وسينتشر الحراس في

الشوارع والحارات لمنع أي مخالفات والويل لمن تم الإمساك به خارج منزله فسيتم قتله مباشرة بتهمة مخالفة أوامر الملك ، كانت هذه التعليمات جديدة على جل العبيد كونهم لم يشهدوا أي حرب بين النوربا من قبل ، ولأول مرة لن يجبروا على العمل بشكل متواصل كل يوم وفي كل وقت وسيبقون في منازلهم بأريحية حتى انتهاء هذه الحرب والتي قد تدوم لسنين طويلة دون أن تتضح نتائجها . عاد داشر وريحان إلى المنزل بعد انتهاء العشاء ومباشرة قام داشر بدعم نوافذ المنزل بألواح خشبية على سبيل الإحتياط قبل أن يطمأن على أخته التي كانت في غرفتها و القلق ينهش قلبها على مصير حسن وقد تظاهرت أمامه بأنها على مايرام حتى لا تثير قلقه هو الآخر ولكنها كانت تحترق من الداخل وهي تفكر في آلاف الإحتمالات عن مصير زوجها المسجون . عاد داشر إلى غرفته واستلقى على فراشه محققا بسقف الغرفة

مفكرا بشرود هو الآخر بمصير حسن شاعرا
بالحزن والشفقة عليه فهو يعاني الآن في
أسفل حفرة مظلمة باردة دون أن ينقذه أحد ،
لقد عرف أناسا كثيرين في حياته لكن بلاشك
كان حسن أكثر من أثر فيه بتواضعه
وشجاعته وصبره وجلده الشديدين ، ضميره
يؤنبه بقوة لتركه زوج أخته يعتقل ويتعذب
وهو الذي وعده أنه سيكون إلى جانبه دائما
من قبل ، كان يطرد الأفكار التي تطالبه
بالنهوض والذهاب بسرعة لإنقاذه وكان
يتذرع بأنه لن يخاطر بحياته من أجله فلربما
يكون ميتا الآن لكن ضميره لم يتوقف عن
الأنين والصراخ بكل قوته ووصفه بكلمة
واحدة وهي جبان .

كان الكاتب الشاب يصعد السلالم في قصر
الساعي بسرعة شديدة لدرجة أنه تعثر
بعبائه عدة مرات وسقط على الأرض متألما
لكنه كان ينهض ويستمر في الركض متجاهلا

ألم السقوط ، وما إن وصل إلى مكتب حتى
دفع الباب مباشرة دون أن ينتظر الحارس
ليسمح له بالدخول ، حدجه الساعي الجالس
على مكتبه بنظرة سريعة قبل أن يطلب منه
الجلوس بسرعة ، تقدم الكاتب وانحنى وهو
يلهث بقوة قبل أن يجلس ويخرج ورقة
صفراء من بين ملبسه ويسلمها لسيده
والذي انكب يقرأها بتمعن شديد قبل أن
يرميها و يقول بلهجة عصبية :

- ياله من نقص كبير ، هذا يعني أنه علينا أن
نجلب المزيد من الرجال ..

رد الكاتب بعد أن التقط أنفاسه :

- لقد أجريت تقييما لأعداد الجنود كما طلبت
مني يا سيدي ويبدو أننا نعاني من نقص و
سنحتاج إلى ألف رجل إضافي حتى نغطي هذا
النقص .

ألقى الساعي الورقة جانبا ثم قال :

- لا أظن أن العبيد لدينا مدربون بشكل جيد
على القتال ولذلك فلن آخذ منهم أحدا فالنوربا
يحتاجونهم ولن يسمحوا لي بإلقاءهم في هذه
المجزرة .

الكاتب متسائلا :

- والحل يا سيدي ؟

نهض الساعي وأخذ يذرع المكان جيئة وذهابا
قبل أن يتوقف ويقول وهو ينظر للأرض :

- لقد فكرت مسبقا في هذا الأمر وقررت أننا
سنجلب ما نحتاج إليه من الرجال من حفر
العقاب .

نظر إليه الكاتب بذهول وسأله متعجبا :

- وكيف سنفعل هذا يا سيدي ؟ وهل سيوافق
النوربا على مثل هذا القرار الغريب ؟

أجاب الساعي بنبرة واثقة :

- لقد تحدثت مع الملك في الصباح ووافق على
طلبي ، فهم في كل الأحوال سيموتون وليس
من مصلحتنا أن نتركهم يغادرون هكذا دون
أن يفيدونا بشيء ، كما أن أعدادهم كبيرة
ونحتاج إلى إخلاء بعض الحفر منهم ولا أرى
أنسب من هذا الحل ، خصوصا وأنا قد
نستقبل المزيد من العبيد من مناطق الحمر إذا
انتصرنا في هذه الحرب .

سكت قليلا ثم أضاف وهو يرتدي عبائه
الفاخرة :

- والآن سأذهب لكي أشرف على العملية وأنت
أذهب بسرعة وأبلغ قائد الحرس بأن ينتظرنني
قرب الحفر الثلاثة ، هيا بسرعة .

هز الكاتب رأسه موافقا ثم انطلق كالسهم نحو
منزل قائد الحرس الذي يقع في مدينة البشر .
بعد فترة كان الساعي وقائد حرسه يمشيان
بين الحفر وهم يراقبون الرجال شبه الموتى
يخرجون منها وكأنهم أموات عادت إليهم

الحياة للتو وقد انكب بعضهم يقبلون قدمي
الساعي الذي كان يبعدهم عنه بمساعدة
حراسه وينظر إليهم بإشمئزاز كبير كونهم
مجرد أغبياء خارجين عن القانون و لا
يساوون جناح بعوضة في نظره ، أتى الدور
أخيرا على الحفرة التي كان بها حسن والذي
كان يغط في نوم عميق مدركا أنه سيستيقظ
في مكان آخر أكثر سلاما وراحة فجأة سمع
صوت اهتزاز قوي تبعه شعاع برتقالي يقتحم
الحفرة المظلمة فينيرها ويبدد ظلامها ، فتح
عينيه معتقدا أن الخلاص قد حان أخيرا لكنه
فوجئ بأنه ما يزال في الحفرة " هل العالم
الجديد في الخارج؟ " سأل نفسه وهو يقف
على قدميه اللتان كانتا تؤلمانه من طول وقت
انثنائهما بسبب ضيق سجنه الصغير ، أخذ
ينظر للسماء المحمرة في الأعلى مدركا أنه لم
يذهب إلى أي مكان فهو يشعر بأنه ما يزال
عالقا في عالم الأفول ، لكن ما الذي يدفعهم
لفتح حفرتهم فجأة هكذا ؟ أسئلة كثيرة تراوده

ولا إجابات واضحة عليه أن ينتظر فلربما
يتبين له طرف خيط مما يحدث ، ولم ينتظر
كثيرا إذ سرعان ما سقط جبل سميك بقربه
وسمع صوتا خشنا يأمره بالصعود ، أمسك
الحبل بيد مرتعشة وشعور بالقلق والترقب لا
ينفك يراوده فلعلهم هنا إما ليطلقوا سراحه أو
ليقوموا بإعدامه ، خياران اثنان لا ثالث لهما
، سحب نفسه للأعلى شاعرا بالهواء المنعش
البارد يلفح وجهه قبل أن تتلقفه أيادي قامت
برميه على الأرض ، رفع رأسه ونظر
للحراس الذين كانوا يحيطون به وقد أمره
أحدهم بأن يسرع وينظم لمجموعة السجناء
التي تكومت في طرف الساحة قرب الجدار ،
انظم إلى عدد من الرجال ذوي الأجساد
المنهكة النحيلة والوجوه المغبرة والشعور
الطويلة من من حالفهم الحظ ونجو بأعجوبة
من الموت وبدأوا جميعا يترقبون ما سيحدث
تاليا وهم يجهلون سبب إخراجهم من حفر

الموت هذه ، سمع حسن أحد السجناء يقول
لمن هم بجانبه :

- نحن بالتأكيد لم نثر شفقتهم ليخرجونا هكذا
، لابد من وجود سبب ما .

وانتشر الهمس بينهم وهم يتناقشون ، قبل أن
يتدخل الحراس ويصرخوا عليهم بأن يهدأوا
وهو ما حدث عندما شاهدوا الساعي يعتلي
صخرة كانت تغطي احدى الحفر حتى يصبح
بمستوى نظرهم جميعا ، أحاط به حراسه من
الأسفل ووقف قائد الحرس بجانبه على
الصخرة . نظر إلى السجناء نظرة مطولة قبل
أن يقول :

- أنتم تعلمون أنكم جميعا كنتم ستصبحون في
عداد الموتى عاجلا أم آجلا داخل حفر العقاب
هذه ، لكني ارتأيت أن أمنحكم فرصة ثانية
وهذا ليس حبا فيكم إنما من أجل عمل مهم
ينتظركم .

حدجه السجناء بنظرات متسائلة ، قبل أن
يكمل قائلا :

- لقد اندلعت الحرب بيننا وبين الحمر وليس
لدينا ما يكفي من الجنود من أجل خوض
غمارها ولهذا فسيكون ثمن حريتكم هو القتال
والإنتصار إلى جانبنا ، أما من مات منكم فقد
مات بشرف وستخلد ذكراه وسيكون واحدا
من أبطال قبيلتنا الشرفاء الشجعان .

لم يسمع أحد منهم الجملة الأخيرة حول
البطولة والشرف فقد كانوا جميعا يشعرون
بفرحة عارمة لنجاتهم من الحفر المميتة
والحرية التي أصبحت الآن في متناول أيديهم
و لكن في نفس اللحظة كانوا قلقين مما هم
مقبلون عليه إذ سيجربون الحرب لأول مرة
ومعظمهم كانوا مجرمين محكومين بتهم
مختلفة كالضرب أو السرقة أو حتى القتل ،
ولذلك فلم يشعروا بذلك الخوف الكبير من
الحرب والقتال فالموت عندهم سيان سواء

بالحفر أو بالموت على يد عبيد آخرين أمثالهم ، إلا أن جلهم الآن يفكر في احتمال أن ينجو من الحرب ويصبح حرا طليقا من جديد وهذا ما كان يفكر به حسن الذي لم يمضي أقل من بضع ساعات في الحفرة إلا وهو الآن خارجها و لعل حظه السعيد يتدخل من جديد كما تدخل سابقا وينجيه من الموت ويعيد إليه حريته حتى يتمكن من العودة إلى ريحان التي كان أمرها يشغل باله منذ الصباح ، قاطع الساعي خواطره عندما قال :

- من يريد المشاركة في الحرب فليتحركوا الآن باتجاه البوابة ومن لا يريد فليبق هنا .
وعلى الفور هتفوا بقوة بحياة الملك والنوربا و الساعي ثم تحركوا جميعا نحو البوابة بإستثناء ثلاثة بقوا في أمكنتهم لبرهة قبل أن ينقض الحراس عليهم ويعيدوهم إلى الحفر ، كان المساجين يتبادلون الإبتسامات مطمأنين أن هذه الحرب لن تكون سوى نزهة قصيرة

يحتلون فيها بعض القرى قبل أن تنتهي
ويصبحوا أحرارا غير متهمين بشيء
ويعودون إلى عائلاتهم وأحبائهم من جديد ،
أوصلهم الحرس إلى مدينة البشر التي كانت
هادئة ساكنة كأنها مدينة أشباح ومن هناك
أخذوا إلى ثكنة ملاصقة تماما للجدار الذي
يحيط بالمدينة وبسرعة تم إدخالهم إلى ساحة
واسعة وهناك أعطيت لهم ملابس خضراء
كالتى يرتديها حراس الساعي في العادة
بالإضافة إلى صولجانات ثقيلة ، ومباشرة
أبلغوا أنهم سيغادرون بعد قليل قبل أن يدوي
صوت البوق حيث سيهاجمون إحدى المدن
الرئيسية للحرر . أطفئت المصابيح واستلقى
السجناء على الأرض محاولين النوم الذي أبى
أن يزور جفون معظمهم فقد انشغلوا بالتفكير
في أحداث الغد بحماس تارة وبخوف وتوتر
تارة أخرى ، أما حسن فقد كان يفكر في
ريحان محاولا تخيل صورتها الآن وهي نائمة
على سريرها الوثير ، كان يخشى من أنه لن

يراها مرة أخرى فحياته الآن باتت مهددة مرة
أخرى وتخيّلها مع رجل آخر من بعده وهي
تضحك بفرح وقد نسيت أمره تماما ، ضم
قبضته بقوة وهو يعد نفسه أن هذا لن يحدث
أبدا عازما على فعل كل ما بوسعه لكي يبقى
حيا حتى يعود إليها ويكمل حياته معها ، تقلب
ذات اليمين وذات الشمال محاولا النوم لكنه لم
يكن يفكر إلا بها عاجزا عن التفكير بشيء
آخر ، فتح عينيه ليجد الشاب الذي بجانبه
ينظر إليه قبل أن يسيح ببصره عنه ويسأله
بهمس قائلا :

- عاجز عن النوم ؟

رد حسن :

- نعم

ليقول الشاب :

- كلنا كذلك يا حسن .

حسن متعجبا :

- هل تعرفني ؟

أجاب :

- بالطبع لقد كنا نساكن في مبنى واحد .

عندها حاول أن يستذكر صورته بين من كان يراهم في الرواق صباحا قبل الذهاب للعمل لكنه لم يفلح فسأله قائلاً :

- لكن لم يسبق لي أن رأيتك من قبل

- نعم فأنا لا أتجول كثيرا يا حسن ودائما ما أكون لوحدي ولا أصدقاء لدي .

صمت لبرهة قبل أن يمد إليه يده مصافحا وهو يقول :

- ادعى مارك وأنا من عالم البشر الآخرين ،
مثلك تماما .

شعر حسن بالدهشة لأنها أول مرة له يصادف بشريا من العالم الآخر فسأله :

- فعلا ؟ ، إنها المرة الأولى لي التي أصادف فيها انسانا من العالم الآخر .

رد مارك ضاحكا :

- أمثالنا لا يلتقون كثيرا فنحن كالذهب بين الحجارة .

ابتسم حسن لهذا التشبيه ثم قال متسائلا :

- هل سبق لك أن التقيت ببشر آخرين مثلنا ؟

فكر قليلا ثم قال :

- لا ، أنا هنا منذ سنة تقريبا وقد تنقلت بين العديد من القرى والمدن ولم أصادف أحدا من أمثالنا ، النوربا لا يخرجون كثيرا كما في السابق فلديهم الآن ما يحتاجون إليه من عبيد أقوياء .

ثم سأل :

- هل أنت مستعد للغد ؟

رد حسن بلهجة شبه ساخرة :

- سأحاول البقاء حيا .

مارك :

- هذا هو ثمن الحرية يا صديقي ، أخبرني هل تعرف شيئا عن القتال ؟

حسن :

- قليلا فقط ، أجد استخدام الصولجان لكني أحب السكين لأنه أصغر وأسرع .

مارك :

- ما فعلته بشوردا دليل على صدق كلامك .

لم يفاجأ حسن من هذا فقد انتشرت القصة بكل تأكيد ولكنه أراد أن يعرف مزيدا مما حدث في ذلك اليوم فسأله قائلا :

- وهل رأيت ما حدث ؟

مارك :

- لا فلقد وصلت متأخرا ولكنني رأيت
الإصابات التي لحقت به ، لقد كسرت ذراعه
وفقأت عينه .

لم يشعر حسن بالسوء ولا بالتأنيب ولكنه
اكتفى بالصمت فأضاف مارك :

- يستحق ما حدث له فقد كان دائما ما
يضايقتني . إنه يكرهنا فقط لأننا لسنا من نفس
عرقه ويظننا أقل درجة منه .

حسن مغيرا الموضوع :

- لأي سبب عوقبت يا مارك ؟

- لقد اتهمت بالسرقة

- ماذا سرقت ؟

- لقد سرقت أوراق شجرة الكيفوتس من أحد
العبيد ووجدوها لدي .

- وماهي هذه الشجرة ؟

مارك :

- إنها شجرة نادرة تنبت في المناطق الجنوبية
وأوراقها تستعمل من أجل علاج بعض
الأمراض وتستخدم أيضا من أجل تقوية
الجسد وجعله قادرا على العمل من دون توقف
، ولكنها محظورة .

حسن متهكما :

- لماذا هي محظورة مع العلم أنها منشطة
وستفيد النوربا ؟

رد مارك وعلى وجهه علامات الحذر :

- لديها أعراض جانبية مدمرة على الجسد بعد
تناولها لأكثر من ثلاث مرات فهي تسبب
العمى والجنون وحتى تآكل العظام وخصوصا
إذا شرب المشروب المستخلص منها .

زم حسن شفتيه وقال :

- ولكن لماذا تسرقها إن كانت خطرا على
الحياة كما تقول ؟

مارك :

- هناك طلب كبير عليها خصوصا مع أزمة
الحجارة الحالية فقد احتاج الناس إلى القوة
والسرعة من أجل تخطي الجموع والوصول
إلى الحجارة في أعلى الجدران وهذا حتى
يتجنبوا عقوبة القتل والتكيل هم وعائلاتهم
إن فشلوا في احضار الكمية المطلوبة من
الحجارة .

- وما المقابل الذي كنت تحصل عليه ؟

رد بلا مبالاة :

- لقد كانوا يعطوننا أوراق أشجار الكيفو أو
السيبرنس وهي تستعمل كأدوية ، وعندما لا
يستطيع الرجل الدفع بهذه الطريقة فإنني آخذ
زوجته أو ابنته أو حتى أخته لبعض الوقت .

أنهى كلامه ضاحكا متوقعا أن يشاركه حسن
ضحكه ولكن هذا الأخير عبس ولم يضحك
وعندما لاحظ ذلك قال مبررا :

- لا بد لنا من الحصول على ثمن فلا شيء
بالمجان في هذه الحياة ، هذه هي قوانين عالم
الأفول يا صديقي .

أراد حسن أن يلومه على تصرفاته هذه لكن
الآخرين بدأوا يتململون من حديثهما
المتواصل وهذا ما جعله ينكفت على نفسه
ويغلق عينيه محاولا النوم تاركا مارك ما يزال
فاتحا عينيه الكبيرتين وهو ينظر إليه . بعد
ساعات قليلة من التقلب على الأرض أضيئت
المصابيح ودخل الحراس وهم يصرخون على
السجناء ويضربونهم بأقدامهم وبأعقاب
صولجاناتهم طالبين منهم النهوض بأقصى
سرعة والإستعداد للسفر جنوبا ، نهض حسن
شاعرا بثقل في أطرافه ورأسه كونه لم ينم
بشكل جيد بالأمس وأصلح ملابسه ثم حمل

صولجانه وبدأ ينظر إلى باقي السجناء وهم
يتعرضون للضرب والإهانات بشكل مستمر
حتى ينهضوا بسرعة ، كان مارك قد استيقظ
بدوره وقد تمكن حسن الآن من رؤية ملامحه
بشكل جيد ، كان أطول منه قليلا نحيف ذو
بشرة بيضاء وشعر كثيف أسود وعينين
واسعتين سوداوتين كالليل ، اقترب منه
وصافحه قائلا :

- صباح الخير ، أرجو أن لا يكون كلامي قد
أزعجك بالأمس ..

نظر إليه حسن وقال بنبرة عادية :

- لا لاعليك لا تشغل بالك .

ربت مارك على كتفيه ثم اتجه الجميع إلى
خارج الثكنة حيث سلمت لهم حقائب قماشية
صغيرة بها علب حساء العشاء وسكين
صغيرة إضافة إلى صندل احتياطي وجرة ماء
صغيرة مغلقة ، بعدها شكلوا صفا من اثنين

حاملين صولجاناتهم على صدورهم يحيط بهم
عدد من الحراس وبدأت المسيرة نحو الجنوب
، في الطريق عبر المدينة كان بعض الأهلي
قد خرجوا من منازلهم وراحوا يتابعون
المسيرة بصمت ، وصلوا أخيرا إلى البوابة
وقد تجمع عندها حشد غفير من الناس وكان
بالإمكان رؤية الساعي وإلى جانبه المندوب
تاليف وقائد الحرس وقد نصبت لهم منصة
خشبية عالية على جانب البوابة ، كانت
أصوات خطواتهم المجلجلة تقترب شيئا فشيئا
وقد علت أصوات الناس وهم يصيحون بحياة
الملك والنوربا والساعي ، مر حسن بجوارهم
وبدأ ينقل بصره بين الوجوه لعله يرى وجه
داشر أو ريحان وفي لفتة منه خيل إليه أنه
رأى وجه ريحان وهي تبتسم وعندما أعاد
النظر لم يرى سوى وجه طفلة في حضن أمها
، التفت للناحية الأخرى ومرة أخرى ظن أنه
رأى وجه داشر لكن سرعان ما اكتشف أنه

وجه رجل يشبهه وليس هو لقد كان عقله
يخدعه .

غادروا المدينة إلى الحقول الخضراء المقفرة
وقد سمح لهم بالتخلي عن نظام الصف
والمثنى والسير بشكل عادي ، كانت الحقول
الخضراء ممتدة على مرمى البصر وضوء
الغسق الأحمر ما يزال يبسط سيطرته على
المكان ، كان حسن يسير وحيدا قبل أن ينظم
إليه مارك والذي راح يحدثه في أمور متفرقة
على طول الطريق . مر الوقت واختفى ضوء
الغسق الأحمر وحل مكانه اللون الرمادي
المكفهر للسماء وقد شعر معظم الجنود
بالتعب وهم يسرون لوقت طويل وسط تلك
الصحراء القاحلة من العشب الأخضر ،
وعندما لاحظ قائدهم ذلك سمح لهم بالإستلقاء
والإستراحة على العشب قليلا ، جلس حسن
شاعر بألم مبرح في ساقيه ، وجلس مارك
بجانبه وهو يتنفس بعمق الهواء المشبع

برائحة العشب ، وضع حسن رأسه على
الحقيقية وراح ينظر للسماء الرمادية مفكرا
بسهو ، قبل أن ينطلق صوت صفير حاد فجأة
ويرفع الجميع رؤوسهم للأعلى وهناك
شاهدوا عددا من النوربا يحلقون في
مجموعات صغيرة يتقدمهم الحارس الأسود
الذي بدا شامخا مرعبا بسواده الحالك وقد
أحاط به عدد من النوربا الأصغر حجما
تنوعت ألوانهم ما بين الأبيض والأسود ،
كانت المجموعات تمر واحدة تلو الأخرى
والصفير يزداد حدة كلما مروا من فوقهم ،
اقترب مارك من حسن وقال :

- إنهم ذاهبون إلى الجنوب وهذه قوات
الطلّاع فقط .

لم يعلق على كلامه فقد كان مشغولا بالنظر
بذهول إليهم ، " كيف يمكن للبشر الضعفاء
الذين لا يمكنهم القفز سوى لبضعة أشبار أن
يثوروا ويهزموا هؤلاء الجبابرة ؟ " فكر بيأس

قبل أن يعود إلى الإستلقاء على العشب
الأخضر ومراقبة مارك الذي كان يتفحص
صولجانه و يلمعه استعدادا للحرب .

قضوا أكثر من يوم من السير المتعب قبل أن
يصلوا أخيرا إلى مدينة باركوداش وهي أكبر
مدن الجنوب ، وتقع على بعد أمتار قليلة من
الجدار الذي يفصل بين أراضي الحمر
والخضر وكانت المدينة في حال يرثى لها وقد
بدت آثار الحرب جلية عليها ، منازل مدمرة
محترقة ، حفر سوداء عميقة في الأرض ،
جثث بعض السكان من الذين لم يسعفهم الحظ
في الهرب باكرا وغيرها من الفضاعات التي
أظهرت لحسن ورفاقه الوجه الحقيقي البشع
للحرب وأنها لن تكون نزهة أبدا بل كابوسا
أسودا يبتلعهم ويغيبهم في غيابه الحالكة .
كانوا يتحركون عبر شوارع المدينة متعمقين
فيها متجهين نحو مقر مندوبها حتى يستعدوا
للهجوم ، قبل أن يسمعوا صفيرا حادا قادما

من السماء رفعوا رؤوسهم ليجدوا مجموعات
من النور باذوي لون أحمر وهي تحلق فوقهم
وتطلق عليهم صواعق قاتلة ، صرخ القائد
عليهم بأن يتفرقوا قبل أن تصيبه صاعقة
حولته لأشلاء ، ومباشرة دخل حسن في
أجواء الحرب دون أي مقدمات كانت
الصواعق تنهال عليهم فتفجرهم إلى قطع
صغيرة وهم يحاولون الدخول في المنازل
الدمرة بقربهم ، حاول حسن أن يركض نحو
منزل كان يقع في ناصية الشارع وفي طريقه
شعر بدوي انفجار قربه وهو يرتفع لأعلى قبل
أن يسقط على الأرض بقوة ، تحول كل شيء
حوله إلى عرض بالتمط البطيء وكأنه في
حلم وبدت أصوات الانفجارات والصواعق
والصراخ بعيدة وخافتة كأنها همس ، زحف
بلا هدف مدركا أن النهاية قد حانت ومرت
عليه صور لريحان وداشر وبعض اللحظات
الفاصلة من حياته في عالم الأفول وقبل أن
يسقط أرضا ويغلق عينيه شعر بيد تمسكه من

كتفه وتسحبه نحو أحد المنازل ، نظر إلى
اليسار ليجد مارك يجره وهو يصرخ :

- هيا انهض يا حسن أنت ثقيل ولا يمكنني أن
أجرك كل هذه المسافة ، هيا

وجد نفسه ينهض رغما عنه ويركض ورائه
حتى دخل إلى المنزل الذي كان سقفه ما يزال
سليما ، كان يتنفس بقوة والعرق يغسل جسده
بالكامل وأطرافه متصلبة باردة ، لم يقل مارك
شيئا بل أخذ ينظر إلى الخارج ممسكا
بصولجانه كأنه حبل نجاته الأخير ، ارتفعت
أصوات الصواعق وهي تضرب الأرض بقوة
فيتطاير التراب للأعلى وعلا صوت الجنود
الجرحي وهم يتألمون على الأرض دون أن
يتدخل أحدهم لإنقاذهم ، وارتفعت حشجة
المحتضرين في نزعهم الأخير واستمر
الضرب والقتل لبقية اليوم الذي بدا أنه لن
ينتهي أبدا . بعد عدة دقائق من قصف
الصواعق انسحب النوربا الحمر أخيرا وخرج

من بقي حيا منهم إلى الخارج ليتفقدوا الوضع
وينقذوا من يمكن إنقاذه ، كان حسن نائما
بعمق قبل أن يهزه مارك بقوة طالبا منه أن
ينهض بسرعة ، نهض متثاقلا ورائحة الدم
الجاف من أثر أشلاء من كان بجانبه تزكم
أنفه ، ولم يكذ يصدق ما يرى أمامه بالخارج
، عشرات الجثث المقطعة والأشلاء متناثرة
هنا وهناك لرفاقه وبعضهم كان لا يزال حيا
ولكن من دون رجل أو حتى يد مشى بجانب
مارك وهما يتفقدان الموتى لعلهما يعثران
على ناجين ولكن من دون جدوى ، أدرك
حسن ما هو بصدد مواجهته حرب مدمرة
تمتلئ بالدماء الحمراء وفرصة نجاته منها أو
حتى خروجه معطوبا على الأقل لا تتجاوز
الصفير رآه مارك وأدرك ما يجول بباله فقال :
- لقد فعلوها عمدا .

حدجه حسن بنظرة مستغربة وسأله :

- ماذا تعني ؟

مارك مبتسما بمرارة :

- لقد أرسلنا أسيادنا إلى هنا حتى نكون طعاما للحمـر .

أضـاف عندما رأى حسن يرمقه بإستغراب :

- لقد كانت هذه القرية تتعرض منذ بدأ الحرب بالأمس إلى غارات مستمرة من الحمـر ولم يكن الخضر يعلمون الأمـكنة التي يكمن فيها أعدائهم ولذلك قاموا بإرسالنا إلى هنا من دون أن يخبرونا بالحقيقة وكمـنوا خلفنا ينتظرون الفرصة المناسبة لظهورهم .

حسن متسائلا :

- لكنني لم أرى أيا منهم ؟

مارك :

- لابد من أنهم خرجوا بعد أن اختبئنا نحن في المنازل .

هز حسن كتفيه بلا مبالاة ولم يقل شيئا وكان
جل ما يريد الآن هو انتهاء هذه الحرب
اللينة والعودة سالما إلى المنزل ، تجمع من
بقي منهم قرب منزل مندوب المدينة وقد
انضم لهم عدد معتبر من حراس الساعي
قدموا مؤخرا وكان القائد الجديد يدعى
ديريتش وهو ابن عم قائد الجند وقد خطب
فيهم خطبة مملئة مليئة بالتسويق عن النصر
ووجوب تقديم أرواحهم كقرايين لأسيادهم
النوربا في سبيل الانتصار ونشر الحضارة
الخضراء وكان معظمهم غير مستعدين جيدا
للقتال وتنقصهم الخبرة والتدريب ، بعد ذلك
سمح لهم بالراحة وتناول بعض علب الحساء
بعد ذلك بدأوا بالتحرك نحو أراضي الحمر
لإحتلالها وتخطوا الجدار الحدودي الذي كان
مليئا بالفجوات نتيجة القتال العنيف الذي دار
حوله ، ساروا طويلا في أراضي العدو
واكتشف حسن أنها لا تختلف عن أرض
الخضر كثيرا فالعشب الأخضر يغطي السهول

وتنتبت بعض الأشجار هنا وهناك ، الإختلاف
الوحيد كان في لون السماء فقد كانت سماء
الآفاشت ذات لون رمادي باهت فيما كان لون
سماء الحمر أسودا يقترب من القتامة ، لاحت
لهم أخيرا مدينة بدت كبيرة وواسعة من بعيد
وبها مكعبات حمراء كبيرة تنبعث منها أعمدة
من الدخان في الجو ، لقد كانت هذه المدينة
هي "بريكولستا" عاصمة القبيلة الحمراء ،
توقفوا على مسافة متوسطة منها وقد شاهد
حسن بعض الناس يدخلون إليها من البوابة
الكبيرة التي كانت مفتوحة ، شكلوا صفوفًا
متراسة بعد أن انضم لهم عدد كبير من
الحراس من مختلف أنحاء أراضي القبيلة
الخضراء ووقف حسن ومارك جنبا إلى جنب
متخذين وضعية القتال ، بعد ذلك سمع دوي
صغير يثقب الأذان لقد وصل جيش من النوربا
الآن يتقدمهم الملك والحارس الأسود نوربان
و القائد داغار ، وقفوا خلفهم وهم يطوفون
في الجو مشكلين صفوفًا بدورهم وقد طلب

من الجنود البشر الإستدارة والإحناء لهم وقد
تمكن حسن من رؤية برياح يقف في الصف
الأول على اليمين في أثناء ذلك . بعدها تقدم
قائد الحرس يرافقه ديريتش وأعاد نفس
الخطبة التي سمعوها من قبل مع تعديلات
بسيطة في محتواها ، كانت بوابة عاصمة
الحرر تشهد حركة غير عادية فقد فتحت على
مصراعيها فجأة حينها نظر نوربان إليها وقال
للملك :

- إن البوابة مفتوحة يا ملكي هذه فرصتنا .

لكن داغار تدخل معترضا وقال :

- لا يا ملكي قد يكون فحا للإيقاع بنا لا تتسرع

.

نوربان :

- إن داغار يتصرف بجبن وهو لا يريد القتال

أنسيت أنه كان ضد الحرب من قبل ؟ نظر

الملك إلى داغار بنظرة غير واثقة ولكن هذا
الأخير قال مدافعا :

- إنه فخ يا سيدي أنا متأكد من ذلك لا يمكنهم
أن يفتحوا البوابة بهذه الطريقة ثم أنهم لم
يخرجوا لملاقاتنا .

هنا بدا أن الملك الشاب سيأمرهم بالإنظار
ولكن نوربان قال بنفاذ صبر :

- هذه فرصتنا يا ملكي أرجوك ألا تضيعها ،
هم أقل عدد منا وأنا متأكد من أننا سننتصر .

كان الضغط قويا على الملك الشاب والذي كان
لسبب ما يشعر بالخوف دائما من قائد حرسه
نوربان ولا يمكن أن يرفض له طلبا خصوصا
إذا تعرض لما يكفي من الضغط منه ، ولذلك
أمر بشن هجوم شامل على العاصمة متجاهلا
نصيحة القائد داغار وهكذا تقدمت قوات العبيد
في الأسفل وأكثر من ألف من النوربا الخضر
من الجو وصيحات الحرب تتعالى والصواعق

تنهال على الجدار الذي يطوق البوابة وعلى
الأبنية القريبة منه ، كان حسن ومارك
يركضان ببطئ من ثقل الصولجانات والحقائب
على ظهريهما وقد شعر حسن أن هناك خطبا
ما غريبا في ما يحدث ، فالمدينة هادئة وكأنها
مهجورة بالكامل والبوابة مفتوحة تغريهم
للدخول ولم يخرج لا حارس ولا نورا لقتالهم
وقد أسر بأفكاره هذه لمارك والذي حذره قائلا
:

- إياك وأن تستدير يا حسن فلقد تركوا خلفنا
عددا من النوربا مهمتهم قتل كل من يحاول
الهرب أو الإنسحاب .

نظر للخلف ليجد عددا منهم يقف بين السماء
والأرض بلا حراك وقد ثبتوا أعينهم خصيصا
على المقاتلين البشر ، وهكذا أصبحوا بين
نارين نار من الأمام ونار من الخلف . دخلوا
إلى المدينة ولم يصادفوا أي مقاومة تذكر
وتوغلوا داخلها حتى أصبحوا في مركزها

دون أن يظهر أي أثر لبشري واحد ، ونفس
الأمر كان يحدث للنوربا في الأعلى ، وقف
حسن يتأمل بإعجاب مدى تنظيم الأبنية
وتناسقها في العاصمة الحمراء على عكس
عاصمة الخضر التي تشهد أبنيتها على مدى
سوء أحوال أهلها ، وقف الملك بارزن حائرا
وهو لا يدري ما يحدث من حوله وكذلك كان
يشعر النوربا الآخرون من خلفه ، أما القائد
داغار فقد أدرك بفراسته وخبرته أنهم وقعوا
في كمين محكم وأن هذا الهدوء هو الهدوء
الذي يسبق الإعصار وبالفعل فقد أتى
الإعصار على شكل صرخة عالية تأمر بإغلاق
البوابة تبعها تدفق لجنود يلبسون عبايات
حمراء وهم يصيحون بقوة تبعث الرعب
ويخرجون من كل مكان حتى يقتلوا أكبر عدد
ممكن من جنود الأعداء وهاجم النوربا الحمر
من السماء أعدائهم من الخضر الذين راحوا
ينفجرون أمام الصواعق التي أصابتهم على
حين غرة ، كان حسن يقف بقرب أحد المنازل

عندما انفتح بابه فجأة وخرج منه جندي تقدم نحوه وهو يصرخ ولكنه تصرف بسرعة و عاجله بضربة سريعة من صولجانه أردته قتيلا قبل أن يخرج المزيد منهم من نفس المنزل فلم يجد بدا من الفرار كغيره من جنود الخضر من من ذعروا من هذا الهجوم المفاجئ ، كانت كل المخارج مسدودة بجنود الحمر وقد حاصروا الخضر في مساحة واسعة وراحوا يتقدمون بضراوة ويقتلونهم من دون أي رحمة ، اندمج حسن بسرعة في القتال وراح يضرب كل من يقترب منه وفي نفس الوقت يتراجع للخلف حتى يصل إلى السياج الحجري حتى يتمكن من الهرب ، وفي غمرة كل ذلك وجد نفسه يقاتل جنبا إلى جنب مع مارك والذي كان له الفضل في إنقاذ حياته وحمايته من الضربات لمرات عدة أثناء المعركة وقد ذهل حسن من شدة تمرسه وجاهزته العالية في القتال ، في الأعلى تحولت السماء إلى لون أبيض من شدة

الصواعق التي كانت تنهمر هنا وهناك وكان
النوربا الخضر يتراجعون ببطء تحت الهجوم
الكاسح المفاجئ لأعدائهم ولكن القائد داغار
كان ثابتا في مكانه كالصخرة يقاتل بشجاعة
وضراوة كبيرتين تحت أنظار نوربان الذي
كان على وشك القيام بأمر سيغير مجرى
الأحداث بأكملها ، كان قد قضى على خمسة
من الحمر بضربة واحدة ثم اتجه للخلف باحثا
عن برياخ والذي صادفه وهو يشتبك بقوة مع
مجموعة من الأعداء وبعد أن انتهى منهم
معا قال نوربان له :

- إن داغار الآن موجود في الأمام لوحده
وليس معه أحد من رفاقه لقد حان الوقت يا
برياخ .

نظر إليه برياخ نظرة ذات معنى قبل أن
يضيف نوربان :

- هيا أسرع ونفذ ما اتفقنا عليه وساتبعك لكي
أحمي ظهرك وسيكون لك ما وعدتك به .

هز برياخ رأسه وهو يبتسم قبل أن ينطلق بأقصى سرعة للأمام وهو لا يلوي على شيء سوى رؤية داغار أمامه ثم فجأة وجد نفسه في مواجهته حيث كان يشتبك مع أحد قادة الحمر في معركة عنيفة ، تأكد من أن لا أحد يقربه يراقبه ، رفع يده نحو داغار الذي كان يتحرك متفاديا صواعق خصمه ، أغمض عينيه مركزا كل قوته في كتلة كبيرة من الطاقة بدأت تتضخم في يده ، فتح عينيه منتظرا أن يثبت الهدف في مكان محدد وقد جرى كل هذا تحت أنظار نوربان الذي وقف غير بعيد عنه منتظرا أن ينتهي كل شيء بصبر نافذ ، تمكن داغار أخيرا من تفجير خصمه وتوقف في مكانه وما إن استدار للخلف حتى حرر برياخ كتلة الطاقة والتي اندفعت نحوه في شكل خط طويل وأصابته مباشرة وسط نظرات ذهوله و هو لم يستوعب بعد ما يجري ، وماهي إلا ثواني حتى تحول القائد الشجاع الباسل المغوار إلى

ذرات غبار أخضر صغيرة تناثرت في الجو ،
ترنح برياح من شدة الإنهاك الذي لحق به
وتقدم نوربان منه وهو يبتسم ويقول :

- أهنئك يا برياح لقد أصبحت قائدا لحرس
الملك .

بادله برياح الإبتسام متألما قبل أن يحلق
ببطئ منسحبا من أرض المعركة ، وكان
على نوربان الآن انجاز مهمة أخرى لا تقل
أهمية بالنسبة له عن قتل داغار حيث حلق
بسرعة خيالية نحو الأعلى حيث كان الملك
بارزن محاطا بحراسه وهم يصدون عنه
هجمات الحمر القوية ، كان الملك في وسط
الدائرة منتظرا بفارغ الصبر أن يعود قائد
حرسه من الأسفل حتى يبلغه بأخبار ووقائع
المعركة وبالفعل وصل نوربان ومر عبر
الدائرة حتى أصبح وجها لوجه مع الملك
والذي سأله :

- هل انتصرنا يا نوربان ؟

نوربان :

- لقد فقدنا القائد داغار للأسف يا ملكي ...

بدت الصدمة على ملامح الملك ولم يستطع أن يتظاهر بغير ذلك فصاح بصوت عال :

- ماذا تقول ؟ هل أنت جاد ؟

ابتسم نوربان بخبث وأحاطت يده السوداء القاتمة هالة بيضاء أخذت تكبر شيئاً فشيئاً ويبدو أن الملك لم يلاحظ ذلك فسأله بوجل :

- ماذا سنفعل الآن يا نوربان ؟

رد نوربان وهو ما يزال يبتسم :

- لقد قررت أننا سننسحب.

ذهل الملك ووقف مبهوراً أمام هذه الكلمات التي تفوه بها قائد حراسه ولم يستطع أن يقول سوى كلمات قليلة مفادها :

- ماذا ؟

هنا قال الحارس الأسود بسخرية :

- لم تعد الملك الآن ، إنه أنا .

رفع بارزن رأسه محاولا الإستنجاد بحرسه الذي كانوا يحيطون بهما ولكن صاعقة قوية أصابته محيلة إياه في لمح البصر إلى غبار وقبل أن تسقط الجوهرة الخضراء التي كانت في معصمه للأسفل ، أمسكها نوربان وثبتها في معصمه فأخذت تتوهج بقوة وشعر بألم حاد في جسده فكاد يسقط لولا أن حارسين من حراس الملك السابق أسرعوا وساعدها على البقاء محلقا وقبل أن يغادر قال لأحدهم :

- أبلغوا الجميع بأننا سننسحب إلى ما وراء الجدار الحدودي ، هيا بسرعة لا أريد أي تأخر .

كانت المعركة لا تزال على أشدها في السماء وفي الأرض ولم يكن أحد يعلم بأمر مقتل الملك والقائد داغار حتى الآن ، وكان وجه

حسن قد أصبح مصطبغا بلون أحمر من أثر
الدماء المتطايرة عليه من القتال المستمر منذ
أكثر من ساعتين متواصلتين ، شعر أن
ضربات باتت أكثر ضعفا وبدأت يده ثقيلة غير
قادرة على حمل الصولجان ، كان على بعد
أمتار من فجوة في جدار المدينة وبدأ له
الخلاص قريبا ومع ذلك شعر بدوار حاد
وبأصوات المعركة حوله تصبح خافتة لا تكاد
تسمع ، سقط مترنحا على الأرض وسط كومة
من الجثث الغارقة في دمائها وأخذ يشاهد
مارك الذي كان يحارب بمهارة كبيرة ويسدد
ضربات دقيقة متحديا سيوف أعدائه المتكاثرة
من حوله ، وما إن لمحاه حتى أسرع نحوه
وساعده على الوقوف وهو يقول ساخرا :
- هيا لم تنتهي المعركة بعد .

وفجأة شعر بالدماء تفور فيه من جديد وكأن
هذه الكلمات ترياق ضد سم الضعف الذي
أصابه ، ولكن هذا لم يدم طويلا فقد شعر

بشيء حاد بارد ينغرس في ساقه اليمنى تبعته
موجات من الألم الحاد في كل ذرة من جسده
لقد طعن للتو ، سقط على الأرض مرة أخرى
وهو يصرخ بكل قوته من الألم واضعا يده
التي غطاها الدم الأحمر الساخن على الجرح
العريض ، أمسكه مارك من كتفيه وجره نحو
الجدار ومزق قطعة قماش من عباءته ولفها
حول الجرح حتى يوقف النزيف ، كان كل
شيء حوله مضطربا وكأنه يعيش حلما يأبى
الإنتهاء ، نظر إلى مارك بجانبه وهو يطمئنه
بأن كل شيء على ما يرام وتردد صدى
كلماته هذه في أذنه قبل أن يرى مئات من
النوربا يخلقون خارج المدينة ، وعددا آخر لا
يحصى من الجنود منسحبين يركضون نحو
الجدار وسمع أحدا بجانبه يقول كلمة انسحاب
ثم فجأة أغمض عينيه وتحول كل شيء حوله
لظلام حالك .

لم يدري كم من الوقت مر عليه في تلك
الغيوبة وما إن فتح عينيه حتى وجد مارك
مشغولا برمي بعض الحطب في نار مشتعلة
كانت أمامهما تحت ضوء الغسق الأحمر ،
كان يشعر بألم حاد في رأسه وفي ساقه وتعب
شديد منعه حتى من رفع يده ، رآه مارك
مستيقظا فتقدم نحوه وقال مبتسما :

- لقد استيقظت أخيرا ، لا تقلق لقد انتهت
المعركة بهزيمتنا وقد حملتك بنفسى بعيدا عن
الخطر ...

تأثر حسن بكلامه ولم يجد الكلمات المناسبة
التي توفي حقه بالرغم من أنه لم يتعرف عليه
سوى من يوم مضى ، فتح مارك حقيبته
وأخرج منها علبة حساء فتحها وراح يسقيه
إياها وهو يقول :

- لحسن الحظ أنني ضمدت جرحك بسرعة
وأوقفت النزيف وإلا لكنت في عداد الأموات
الآن ...

بعد أن انتهت اللعبة ، سقاه بعض الماء ثم
جلس على الأرض. نظر حسن حواليه ورأى
المئات من الجنود وهو متجمعون حول نيران
مشتعلة يتبادلون الحديث ، وشاهد كذلك عددا
كبيرا من الجرحى من بينهم وقد ضمدت
جراحهم بضمادات بدت بالية وغير نظيفة وقد
اصطبغت بلون الدم القاني ، عندها استدار
وسأل مارك عن الأطباء الذين يفترض أن
يكونوا هنا بجانبهم من أجل انقاذ ما يمكن
انقاذه ، ولكن مارك ابتسم بسخرية وقال :
- لا يوجد أطباء ، لقد تحولوا إلى عبيد منذ
زمن بعيد .

صمت حسن قليلا قبل أن يبدأ بتفقد الجرح في
ساقه والذي أحاطت به ضمادة بيضاء ربطت
بعناية عندها سأل مارك قائلا :

- ماذا حدث يا مارك بعد أن أصبت ؟

لم يجب مارك عن سؤاله مباشرة بل صمت قليلا وكأنه يسترجع ما حدث ببطئ قبل أن يقول :

- ما إن أصبت ووقعت على الأرض ، حتى أسرع وجررتك بعيدا نحو الجدار وهناك ربطت جرحك بقطعة قماش مزقتها من عبائتي ... ثم سمعت مناديا ينادي من السماء بالإنسحاب ومباشرة حملتك على ظهري وركضت بك حتى وصلنا إلى ما وراء الجدار الحدودي وهنا أنزلت وبدأت أعالج جرحك الذي لم يكن عميقا لحسن حظك واستعملت ضمادات احتياطية جلبتها معي من المدينة وها نحن هنا ننتظر ما سيأتي به الغد .

نظر إليه حسن بإمتنان كبير ثم رفع يده ببطئ وربت على كتف مارك شاكرا إياه على ما فعله قبل أن يعده بأنه سيرد إليه جميله متى سنحت الفرصة ولكن مارك قال :

- لا تقل مثل هذا الكلام يا حسن فنحن كالأخوة
لأننا من نفس العالم ولنا مصير واحد وعلينا
أن نساعد بعضنا البعض تماما كما يفعل غيرنا
من المولدين .

كانت مدينة باركوداش الخالية المهجورة قد
أصبحت تعج بالنوربا الذي نجحوا في
الانسحاب من المعركة بسلام وكانت
معنوياتهم في الحضيض فقد هزموا هزيمة
قاسية وفقدوا مئة من رفاقهم خلال القتال
وازدادوا تحطما وانكسار بعد علمهم بنبا مقتل
الملك والقائد داغار خلال المعركة ، اجتمعوا
في ساحة المدينة وقد انقسموا إلى فريقين
الأول وكانوا الأكثرية مؤيدين لتولي نوربان
السلطة بإعتباره الأقوى والأهم في كامل
القبيلة ، والفريق الثاني وكان جلهم من القادة
والمقاتلين الذين عملوا تحت قيادة داغار في
السابق معترضين على تعيين نوربان نفسه
ملكا عليهم وكانوا يشككون في صحة روايته

حول مقتل الملك والقائد أثناء المعركة ، راح الشرر يتطاير من عيونهم وعلا صراخهم وهم يتجادلون تحت أنظار الحارس الأسود الذي اعتلى منزلا كبيرا رفقة برياخ ، كان مساعد داغار وهو القائد كريش نور يتكلم منتقدا نوريان واصفا إياه بأنه متمرد ومخالف لقوانين القبيلة مطالبا بإجراء تصويت فوري لإختيار ملك جديد كما تقضي الأعراف وفيما كان يتحدث قاطعه نوريان وهو يقترب منه ببطئ قائلا :

- بما أنك تريد أن تجري تصويتا فلم لا نفعل ذلك الآن ؟

ثم استدار مواجهها الجمع وصاح :

- من يريد أن يكون نوريان هو الملك الجديد لقبيلة الآفاشت فليرفع يده .

ارتفعت أيادي ثلثي الموجودين وهم يصيحون :

- نوريان ، نوريان ، نوريان ملكنا ...

عندها نظر نوريان للقائد وابتسم بسخرية
وقال :

- رأييت ؟

لكن كريشور قال معترضا :

- هذا ليس عدلا فهناك بعض النوربا لم
يشاركوا بعد ، كما أننا لم نتفق على مرشح

...

وقبل أن يكمل كلامه كان نوريان قد أطلق
عليه صاعقة حولته إلى غبار في الجو ثم قال
:

- لقد أصبحت الملك الآن بموجب رغبة النوربا
ولا يحق لأحد الاعتراض على ذلك .

ساد الصمت بين الحاضرين ولم يجرؤ أحد
على التفوه بكلمة حتى أولئك الذين كانوا ضده

التفت نوربان إلى برياخ ونظر إليه نظرة ذات
معنى فصاح هذا الأخير معلنا :

- فليحي ملكنا نوربان المبجل ..

ارتفعت الصيحات وردد الجمع كلمات برياخ
فيما راح أنصار داغار يتبادلون النظرات
والهمسات القلقة ، قبل أن يرتفع الملك الجديد
في السماء ويقول :

- إخواني ...

انتظر حتى هدأت الأجواء ثم أكمل :

- هذا اليوم هو اليوم الفاصل في كل تاريخ
قبيلتنا العريقة وباختياركم إياي ملكا فإني
أعدكم بأنني لن أدرج جهدا من أجل خدمتكم
وتحقيق تطلعاتكم وآمالكم ببناء عالم قوي
تسوده القوة والجبروت ، يكون فيه الجميع
خاضعين لسلطتنا وسيادتنا ...

صمت قليلا ثم قال :

- أما الآن فإني قررت إنهاء هذه الحرب
العبيثية التي لا طائل منها ، وأعلم أنه قرار
صعب عليكم خصوصا أننا لم ننهزم بعد ولكننا
الآن نحتاج إلى كل قوتنا في سبيل تحقيق
هدف الأب المؤسس ألا وهو غزو العوالم
الأخرى والإستفادة من خيراتها ومواردها
حتى نصبح أكثر قوة ويسهل علينا توحيد
عالم الأقول فيما بعد .

كان الجميع ينظر إليه بإستغراب إذا لم يصدق
أحد أن نوربان الحارس الأسود الذي لا يعرف
الرحمة والإستسلام سينهي الحرب ببساطة
بعد يومين فقط من اندلاعها وسيعتبر خاسرا
فيها هكذا بكل بساطة وهو الذي كان من أشد
الداعمين والمتحمسين لها ، لكن أحدا منهم لم
يملك الشجاعة الكافية للإعتراض خشية أن
يتحول لغبار ، أكمل نوربان يقول :

- علينا أن نبدأ بعالم البشر فهو الأقرب إلينا
والأسهل فكما تعلمون نحن لا نستطيع أن

ندخله جميعا فنحن نرسل واحدا منا كل أربعة
ثلاثين ليحضر من هناك عبد أو اثنين ولكن
بعد أن ننجح في تطوير بوابة ضخمة تسمح
بعبور عدد أكبر منا نستطيع أن نحضر عدد
هائلا من العبيد البشر حتى يعملوا على
استخراج الحجارة بكميات تجعلنا نصبح أقوى
وأقوى حتى نسود ويصبح عالم الأفلول أخضر
كما كان في السابق ...

كانت هذه الكلمات كفيلا لتلهب حماسهم
وتتسيهم مرارة الهزيمة وتجعلهم يصيحون
بلا توقف وهذا الذي كان يريده نوربان منذ
البداية فلا أحد سيستطيع أن يوقفه الآن ...

اكتست السماء بلونها الشاحب المظلم كل
صباح ، وقضى الجنود البشر ليلتهم في
التفكير في سبب كل تلك الضجة التي كانت
تسمع من المدينة وضمن معظمهم إلى أنها
بوادر هجوم معاكس يمسح عار الهزيمة التي
لحقت بهم بالأمس واستعدوا لأوامر الزحف

على العاصمة من جديد ، ولكن شيئاً ما حدث
جعلهم يعيدون التفكير فقد أبصروا من بعيد
عدد من النوربا الحمر يخلقون باتجاه المدينة
قادمين من عاصمتهم وكان من بينهم "
بيرقا" ملك الحمر بنفسه محاط بمجموعة من
حراسه الأقوياء ، دخل الموكب إلى المدينة
ومشى الملك الضخم القوي متبخترا بين
صفوف الخضر الذين كان يحدقون إليه
بغضب وحقد ، دخل إلى منزل مندوب المدينة
التي اتخذه نوربان مقرا وتقدم بخطوات واثقة
نحوه وهو يبتسم ويقول :

- إذا لقد أصبحت ملكا أيها الحارس الأسود ؟

لم يجبه نوربان مباشرة بل أمر كل
الموجودين في القاعة باستثناء برياخ أن
يغادروا وبعد أن خلى المكان قال :

- لقد نفذت خطتي بنجاح والفضل في هذا يعود

لك ...

ليرد الملك الأحمر قائلا :

- لقد حرصت منذ اللحظة الأولى التي أخبرني فيها رسولك بأمر هذه الخطة أن أتعاون معك وأضمن تنصيبك على رأس القبيلة فأنت من بين أصدق حلفائنا وأضمن لك أنك لن تواجه أي تهديد من جهتنا طالما أنت هنا فنحن نحفظ عهودنا ومواثيقنا .

نوربان :

- والآن بعد أن نفذنا الخطة بنجاح ، أظن أن وقت السلم قد حان أليس كذلك ؟

ببرقا :

- نعم هذا مؤكد ولكننا نريد حصتنا من الإتفاق أولا .

نوربان :

- هذا مؤكداً يا بيريكا وكما وعدتك سابقاً ، فهذه
المدينة وسائر القرى المجاورة لها وكل
عبيدها وحقول الحجارة فيها ستكون لك .

هز بيريكا رأسه ثم رمقه بعينيه الحمراء وتين
الشبيهتين بجوهرتين كبيرتين وقال وهو يهم
بالمغادرة :

- هذا جيد يا نوربان وسيصل شيخنا رفقة
بعض الرفاق غداً لإتمام التسليم وإذا حدث
وواجهك أي تهديد داخلي أو خارجي فنحن
هنا لمساعدتك .

شكره نوربان وتركه يغادر بصمت قبل أن
يأمر برياخ بالإستعداد للمرحلة القادمة والتي
سيثبت خلالها حكمه بكل الطرق الممكنة .

مرت ثلاث أسابيع على إعلان نهاية الحرب
المفاجئ وقد ابتهج معظم الجنود البشر بهذا
الإعلان خاصة بعد المشاهد الدموية التي
عاشوها خلال اقتحامهم لعاصمة الحمر ،

وظنوا أنهم سيعودون إلى ديارهم مباشرة
لكن ظنونهم هذه اختفت بعد أن أمروا بإخلاء
مدينة باركوداش والقرى المجاورة لها من
أسطوانات الدخان وبعض الأغراض الأخرى ،
وقد كانت الأسطوانات كثيرة وذات وزن ثقيل
وبعضها كان محطما وهو ما جعل حسن يدرك
أن هناك فعلا علاقة مبهمة بين النوربا وهذه
الأسطوانات من جهة وبين الدخان الذي تطلقه
في الجو من جهة أخرى ، قضى معظم وقته
في العمل برفقة مارك وقد توطدت علاقتها
أكثر فأكثر وصار لحسن صديق جديد غير
داشر ومن نفس عالمه أيضا ، العالم الذي لم
يعد كلاهما يذكر عنه شيئا سوى أنهما جاءا
منه ذات يوم ولم تعد تجمعهما به أي صلة
تذكر ، كان العمل شاقا ومتعبا فقد كانا يدفعان
الأسطوانات الحديدية الثقيلة عبر الحقول
الواسعة نحو القرى التي بقيت تحت سيطرة
الخصر بعد الإتفاق وكان حسن دائم التفاضل
ممنيا نفسه بقرب عودته إلى زوجته التي

ما زالت تنتظره. كانت ريحان في هذه الأثناء تعيش على أمل أن يعود حسن في أي لحظة وخاصة بعد أن سمعت من داشر بأمر تجنيد المساجين وإرسالهم للحرب وكان هناك حدس غامض داخلها يخبرها بأنه ما يزال على قيد الحياة وسيعود قريبا ، ولم يكن داشر أقل تفاؤلا منها فقد قضى أيام الحرب القصيرة في تقصي الأنباء من الجبهة بفضل شبكة علاقاته القوية مع بعض الحرس وبعض بني قومه من القرى الحدودية الجنوبية وقد أكد له بعضهم أنهم شاهدوا حسن بالفعل رفقة شخص آخر بالقرب من باركوداش وكان هو نفسه متأكدا من أنه رآه أثناء مسيرة الحرس في المدينة عند ذهابهم للحرب ، وهكذا بدأت حياة العائلة الصغيرة تعود شيئا فشيئا لطبيعتها بعد أن عاشوا أياما مرعبة صعبة ومحزنة بعد وفاة الأب الذي كان برغم عجزه أساس تماسك وترابط العائلة . مر أسبوع وأخيرا سمح للمجندين بالعودة إلى ديارهم

ولم يكد حسن يصدق نفسه عندما أعلمه مارك
بذلك في الصباح وانقض عليه بعناق طويل
وسط ذهول هذا الأخير ، ومباشرة شد
الرحال برفقته عبر الأراضي الواسعة الخالية
وقضوا ثلاثة أيام من السير المتعب حتى
لاحت لها أخيرا العاصمة في الصباح الباكر
من اليوم الرابع من بعيد وكانت تبدو مختلفة
عن السابق شاحبة باهتة وكأنها تعرضت
لدمار شامل في غيابهما ، فلم يكن الدخان
الأسود يتصاعد من مكعباتها العملاقة ما في
السابق ولم تكن سمائها مكتسية بذلك اللون
الأسود القوي كالعادة بل كانت رمادية شاحبة
تميل للبياض ، كان مارك مشغولا بالتفكير
بقلق في هذه المناظر التي لم يرها من قبل
فيما أسرع رفيقه الخطى نحو مدينة البشر
التي كانت بادية للعيان قبل العاصمة بمسافة
قصيرة ، كانا أول الواصلين من الجنود وما
إن دخلا عبر البوابة حتى لفتا الأنظار
بملابسهما الممزقة المتسخة وبسحتنيهما

اللذان تعبران عن أهوال الحرب وتجمع
حولهما عدد من الناس من مختلف الأعمار
يسألونهما عن البقية ظنا منهم أنهما الناجيان
الوحيدان ولأن حسن بالصمت فقد كان يتوقع
أن يقابل داسر وبدأ يقلب ببصره وجوه
المحيطين به والقلق يتصاعد داخله من أن
يكون مكروها ما قد أصابه فهو لم يره منذ أن
جاؤوا لأخذه من الزنزانة في ذلك اليوم ولم
يره كذلك عند حفر العقاب وهو ما جعل
سيناريو الإعدام المباشر هو الأقرب لخياله ،
اخترق الحشد الذي كان يحيط به غير عابئ
بنداءات مارك الذي لم يستطع الإفلات من
الأسئلة التي كانت تنهال عليه من كل حذب
وصوب ، ركض عبر الأزقة وهو لا يلوي
على شيء سوى الإطمئنان عليهما وقتل
القلق الذي يساوره وراح توتره يزداد بعد أن
راودته تخيلات يرى فيها ريحان تترك وحيدة
ملقاة على الأرض قبل أن يأخذها الحراس
بالقوة إلى مكان مجهول وتخيل كذلك داسر

وهو يعدم عن طريق صواعق أحد النوربا
ويتحول لأشلاء خالية من الحياة ، غرق في
تلك الخواطر المخيفة حتى وجد نفسه أمام
المنزل وهناك توقف ينظر إليه وقد انتابته
حالة غريبة من القشعريرة جعلته يخطو ببطئ
نحو الباب وهو يصيح السمع لعله يلتقط أي
اشارة حياة من الداخل ، طرق الباب بيد
مرتجفة شاعر بأن الحقيبة التي يحملها على
ظهره قد أصبحت ثقيلة كالصخر ، تخيل أن
يفتح الباب ويظهر وجه آخر غريب عنه
يطرده قائلاً بأن أهل المنزل السابقين لم
يعودوا موجودين ، لكن فجأة اختفت كل هذه
الأفكار السوداوية وحل محلها شعور مفاجئ
بالراحة عندما سمع صوتها الساحر وهو
يقول :

- أنا قادمة -

سمع صوت صرير الباب وهو يرجع للوراء
كاشفاً عن ملامحها الساحرة ، نظرت إليه

بسرعة خاطفة ومباشرة ندت عنها صرخة
حادّة تعبر عن تفاجئها وذهولها فقد صدق
إحساسها وهاهو حسن أمامها ولم تتمكن من
منع دموعها من النزول على خديها ، ضمها
حسن بقوة إليه مستنشقا عبق رائحتها التي
تشبه رائحة العشب الزكي المبلل ، تاركا إياها
تذرف دموعها على كتفه أغلق الباب من
خلفه وهو لا يزال مندمجا معها في تلك
الضمة متمنيا أن يتوقف الزمن وأن تستمر
هذه اللحظة إلى الأبد ، كان داشر في غرفته
مستغرقا في النوم قبل أن يسمع الجلبة ما
جعله ينهض من نومه مسرعا قبل أن يتوقف
يعد أن التقت نظراته بنظارت حسن والذي
كان يبتسم بالرغم من الحالة المزرية التي
كان فيها ، لم يصدق داشر نفسه فهذه أول
مرة يرى أحدا حكم عليه بالبقاء في حفر
العقاب ثم يعود ويخرج منها سالما ثم يعود
ويجد نفسه وسط حرب مدمرة دموية وينجو
منها ، لم يملك داشر أمام هذا الحظ سوى

الوقوف مكتوف الأيدي. تعانق الإثنان ثم
جلس حسن برفقتها في احدى الغرف
وراحوا يتجاذبون أطراف الحديث حول
الأحداث التي مروا بها وحكى لهم حسن كل ما
مر به منذ أن أخذ من الزنزانة وحتى وصوله
إلى المدينة قبل قليل ولم يستطع دأشر أن
يخفي ذهوله وقلقه من مقتل الملك وتولي
نوربان السلطة قائلاً بأن العبيد البشر مقبلون
على أيام مظلمة ، بعد ذلك اصطحبه دأشر إلى
الأحواض الكبيرة حيث استحتم وبدل ملابسه
الخضراء الممزقة التي كانت تفوح منها
رائحة الدم الجاف وارتدى ملابس صفراء
جديدة شعر معها براحة أكبر كونها أكثر
اتساعاً ، وفيما هما في طريق العودة للمنزل
مرا على تجمع كبير للناس وهم يتحلقون
حول أحد الحراس والذي كان يحمل ورقة
كبيرة ويتلوا منها أسماء الجنود القتلى في
المعارك ، علا الهمس بين الأهالي وكان كلما
يسمع أحد الأسماء إلا وتنهار احدى النسوة

باكية بعد أن تعلم بمقتل زوجها أو ابنها أو
أخيها أما الرجال فإنهم كانوا يشيحون
بوجوههم بعيد محاولين منع دموعهم من
الهطول ، همس داشر في أذن حسن قائلا :
- هيا دعنا نغادر بسرعة فأنا لا أطيق مشاهد
العزاء هذه .

كان مثله تماما لا يطيق أن يرى مشاهد
الحزن والألم لهؤلاء الذين فقدوا ذويهم في
حرب لم تدم سوى لبضعة أيام ثم انتهت
بهزيمتهم تاركة جروحا غائرة في نفوس
أهالي الضحايا سترافقهم لما بقي من حياتهم
، في هذه الأثناء كانت أخبار الهزيمة وفقدان
جزء من الأراضي ومقتل الملك والقائد داغار
وتتويج نوربان كملك تصل متتابعة وتنتشر
في كامل أراضي القبيلة الخضراء وقد شعر
معظم البشر أنهم سيتحملون أعباء الهزيمة
وهذا ما سيحدث فعلا . في أمسية ذلك اليوم

الذي عاد فيه حسن طاف حول المدينة عدد
من الحراس وكان أحدهم يصرخ قائلاً :

- لقد انتهت الحرب وعلى جميع البشر العودة
للعمل إبتداءاً من يوم الغد ، لقد انتهت الحرب
وعلى جميع البشر العودة للعمل إبتداءاً من
يوم الغد ...

في صباح يوم الغد خرج آلاف من العبيد في
صفوف طويلة وهم يدركون أن هذا اليوم
ليس كسابقه وأن العطلة الطويلة التي منحت
لهم قد انتهت وأن أيام التعب والشقاء قد
عادت من جديد ككابوس مرعب ، لم يكن
حسن ولا داشر قد ناما بشكل جيد بالأمس
وهو ما جعلهما يتأخران في الخروج من
المنزل ما جعل ريحان التي كانت تنتظرهما
تفقد صبرها وتناديهما بصوت عال لأكثر من
مرة ، كان حسن أول من خرج وأول من وقع
ضحية لغضبها وراحت تعاتبه على تأخره
وهي تقول :

- لقد تأخرت يا حسن ، ماذا لو جاء الحراس
ليفتشوا المنزل ووجدوكما لا تزالان فيه ؟
ماذا سيحدث برأيك ؟

ابتسم حسن وقال :

- عندها سأحرم من رؤية هذا الوجه الجميل ..

وجدت نفسها تبتسم لا إراديا واختفى غضبها
فجأة ، لكنه سرعان ما اتقد عندما خرج
داشر والذي نال نصيبه من العتاب هو الآخر .
سار الثلاثة معا نحو العاصمة وهم يتبادلون
أطراف الحديث قبل أن يسمع حسن صوتا
مألوفاً يناديه من الخلف ، استدار ليجد مارك
وقد بدت ملامحه متغيرة في ملبسه الصفراء
الجديدة ، تقدم نحوهم وصافح حسن بقوة
وهو يقول مازحا :

- لقد تركتني وهربت بالأمس ؟

ضحك حسن وقال :

- كنت مستعجلا أنا آسف .

ضحك مارك بدوره وقال :

- لا عليك ...

ثم أضاف وهو يرمق داشر وريحان :

- ألن تعرفني على أصدقائك ؟

حسن :

- نعم بالطبع بالطبع . هذا داشر وهو صديقي
الوحيد منذ أن جئت إلى هنا وهذه ريحان
وهي أخت داشر .

صافح مارك داشر واكتفى بإلقاء التحية على
ريحان والتي بادلتها إياها ببرود ، بعد ذلك قال
حسن لهما وهو يشير لمارك :

- داشر ، ريحان . هذا مارك وهو من عالم
البشر التقية في حفر العقاب وحاربنا معا
وكان له الفضل في إنقاذ حياتي كما أخبرتكما
من قبل .

هز داشر رأسه وقال مجاملا مارك :

- يبدو أنك مقاتل ماهر وقوي فقد أخبرني
حسن عن مهاراتك في القتال .

مارك :

- نعم لقد خدمت كحارس من حراس الساعي
عند مجيئي هنا لأول مرة قبل أن يتم نقلي
كعبد لإحدى القرى المجاورة .

حسن :

- هذا رائع ، لكن لماذا أعاذك كعبد يا ترى ؟

هز كتفيه بلا مبالاة وقال :

- لا أعلم .

تدخل داشر قائلاً :

- لعلك بدوت قويا بالنسبة لهم .

مارك :

- ربما ...

ريحان متسائلة :

- ولكن لماذا كنت في حفر العقاب ؟

مارك :

- لقد اتهمت بسرقة أوراق شجرة الكيفوتس
من أحد العبيد .

داشر متسائلا :

- وماهي أشجار الكيفوتس ؟

وهكذا أمضى الجميع بقية الطريق وهم
يستمعون لمارك وهو يخبرهم عن أوراق
الكيفوتس ، وصلوا أخيرا إلى بوابة العاصمة
وهناك فوجئوا ببرياخ يقف عندها وقد وضع
على رأسه خوذة سوداء كالتي كان يضعها
الحارس الأسود وكان بقربه عدد من الحراس
الآخرين وكانوا جميعا أطول منه ، مروا
بجواره ولم يعرهم أي اهتمام فقال داشر :
- يبدو أن برياخ قد أصبح قائد حرس الملك
الجديد .

ثم أضاف :

- من سيكون سيدنا الجديد يا ترى ؟

دخلوا إلى العاصمة وهناك كان يقف عدد من الحراس وهم يشيرون للناس بالتوجه إلى الساحة الكبيرة عند مكعب الملك والبقاء هناك بانتظار ظهور الملك الجديد وهذا تقليد أزلي عند كل قبائل النوربا الثلاث حتى يتعرف عبيدهم على الملك الجديد ويعلموا الولاء له ، كانت الطريق إليها مليئة بالناس الذين راحوا يتقدمون ببطئ وهم يتدافعون من شدة الزحام الأمر الذي دفع حسن إلى أن يمسك بيد ريحان ويجعلها أمامه خوفا على جسدها الهزيل من الزحام و غصت الساحة خارج مكعب الملك بآلاف من الوافدين وأنظارهم تتوجه بين الحين والآخر لباب المكعب الضخم المغلق والذي كان على جانبيه حارسان من النوربا بانتظار أن يفتح ويظهر الملك الجديد الذي وصل للحكم

بطريقة غير معهودة في خلال حرب
وبطريقة فوضوية غير شرعية وهذه المرة
الأولى التي يتم فيها اختيار الملك دون
تصويت من جميع النوربا، وقف داسر
ومارك أمام حسن وريحان في الأماكن
الأخيرة قرب أحد المكعبات وتوافد المزيد
من العبيد وازداد الزحام أكثر فأكثر وعلت
الأصوات وتصاعدت المشاحنات الأمر الذي
كان يدفع الحراس للتدخل وضرب الناس
بشكل عشوائي بأعقاب صولجاناتهم فجأة
دوى صوت بوق صاخب يصم الآذان وساد
الصمت وتطلعت جميع العيون نحو الباب
الكبير الذي فتح وظهر نوربان وهو يطفو
ببطئ نحو الخارج وقد أصبحت لون أكثر
اسودادا وبدا أطول وأكثر إخافة ورعبا
وبرزت في ذراعه اليمنى الجوهرة الخضراء
الكبيرة التي كانت تلمع من بعيد وتوقفت
الأنظار مشدوها إليه ولا أحد يستطيع أن
يتكلم بكلمة من هول المنظر الذي لم يعتده

أحد منهم من قبل ، كان النوربا قد جاءوا
بدورهم في مجموعة كبيرة في نفس الوقت
ووقف بعضهم محلقا عاليا فوق حشود البشر
فيما وقف البعض الآخر على الجوانب ، تقدم
نوربان أكثر حتى صار في مستوى نظر
الجميع ثم طار للأعلى قليلا وصاح :

- اركعوا ...

انحنى الجميع صاغرين وكذلك حسن وهو
يشعر في قرارة نفسه بالمقت والإشمئزاز
وهو ينحني رغما عنه مع أنه لا يرغب في
ذلك ، سمع صوت صراخ وتوسلات بالقرب
منه فأدار بصره ناحية مصدر الأصوات ليرى
عددا من النوربا وهم يحملون بعض البشر
من من لم يركعوا مع الراكعين ويطيرون بهم
عاليا نحو المكعب حيث رموهم هناك بالقرب
من الباب بانتظار مصيرهم البائس ، كان
نوربان قد وصل لعلو يسمح للجميع بروئيته
وانتظر حتى هدأت الأجواء من جديد قبل أن

ينطلق في خطبة طويلة من التهديد والوعيد
لأي أحد يخالف الأوامر الجديدة والتي تقضي
ببدأ العمل على حفر حفر جديدة لإستخراج
الحجارة متوعدا المتقاعسين بالموت
والعذاب الأليم مضيفا إلى أنه سيتم تمديد
وقت العمل ليشمل جزءا من الغسق والويل
لمن يعترض ، وبالطبع لم يعجب هذا الواقع
الجديد أغلبية العبيد ولكن الرعب شلهم
وجعله بكما لا ينطقون ، وقبل أن ينهي
نوربان خطبته نظر لحشود العبيد أمامه
نظرة ملؤها الحقد قبل أن يقول :

- سيعمل القادرون منكم حتى الموت ، ومن
لا يريد العمل سيموت .

كانت هذه الكلمات كفيلة لإثارة حقد حسن
الذي كان يتقد داخله منذ مدة ليست
بالقصيرة ونظر إلى الحارس الأسود بغل
متخيلا نفسه ينقض عليه ويحوله إلى غبار
ويريح بني جنسه منه إلى الأبد ، وقبل أن

ينتهي كل شيء وكنوع من الترهيب
والتخويف تقدم عدد من النوربا وحملوا
البشر الذين كانوا عند الباب ثم وبحركات
سريعة رموهم للأعلى في السماء كأنهم
خرق بالية ثم أتبعوهم بصواعق حولتهم
لأشلاء تناثرت من السماء قطعة قطعة ، قبل
أن يأمرهم بالتوجه مباشرة للعمل و تفرقت
الجموع للخارج واصطحب الحراس الذكور
من العبيد لخارج المدينة نحو عدد من
الحفر التي أحدثها النوربا في الأرض وكان
عدها يتجاوز الستين حفرة ووزعوا عليهم
معاول و مجارف و بدون مقدمات بدأوا
الحفر ، كان مارك وداشر وحسن قد حرصوا
على البقاء معا وراحوا يحفرون الأرض
وينظرون بين الحين والآخر نحو الحراس
الذين كانوا يطوفون بهم ويضربون كل
متكاسل ، مر بعض الوقت قبل أن يسمعوا
جلبة على بعد مسافة متوسطة منهم ، نظر
حسن نحو مجموعة الحراس الذين أحاطوا

بعدد من ذوي الألبسة الحمراء وهم
يتحركون بين العبيد ليكتشف أن الساعي هنا
رفقة المندوب تاليف وعدد من الكتاب لكي
يتفقدوا وتيرة العمل وكان العبيد يتظاهرون
بالجدية والإصرار ما إن يمر بهم الموكب
قبل أن يعودوا للتكاسل بمجرد ابتعاده عنهم
عنهم ، وصلوا إليهم والتقت عيون تاليف
بعيون حسن وقد بدت الدهشة على محيا
المندوب لرؤيته حسن أمامه من جديد ،
مروا من أمامهم بسرعة وتوقف حسن عن
الحفر وهو ينظر لتاليف نظرات حادة قبل أن
يضربه أحد الحراس بعقب الصولجان على
ظهره وهو يأمره بالعودة للعمل . فأذعن له
مرغما .

هكذا مر أكثر من شهر على بداية حكم
الملك الجديد نوربان وخلال هذه المدة
أصبحت حياة العبيد البشر أسوأ بأضعاف مما
كانت عليه في الماضي ، ساعات طويلة من

العمل الشاق في حفر الحفر الجديدة دون أي
راحة أو توقف إلا بعد أن يحل وقت الغسق
بساعة أو أكثر ولم تسلم حتى الإماء من
العذاب أيضا فبالإضافة إلى العمل في
الحدائق ومواجهة النباتات القاتلة بات يتعين
عليهن الآن العمل على نقل الحجارة
المستخرجة من الحفر ووضعها في
الأسطوانات وهذا العمل لم يكن لائقا بهن
نظرا لإختلاف بنيتهن الجسدية عن الذكور ،
لكن أوامر الملك نوربان غير قابلة للنقاش .
كثير منهم ماتوا إما بسبب التعب والإختناق
داخل الحفر أو بسبب الضرب المبرح من
قبل الحراس أو أكلتهم ديدان زوس التي
كانت تطل برؤوسها من الأنفاق بين الحين
والآخر وتزيدهم رعبا وهلعا ، كان حسن
يشعر بالغضب والحزن لما آلت إليه الأوضاع
وكان يشعر بالعجز عن فعل شيء فأسيادهم
أقوى منهم بدرجة لا يمكن تخيلها ويمكنهم
إبادتهم جميعا إن أرادوا ذلك ، وكان يفكر

طيلة هذا الشهر في كلام والد داشر حول
علاقة الدخان في السماء بالقوة التي يمتلكها
النوربا وقد أدرك فعلا أن هناك ما يربط
بينهما فالمكعبات الآن تضخ دخانا أقل من
السابق وكان جل اعتمادها على الحجارة
الصغيرة التي وجدها العبيد في بداية الحفر
وكان لون السماء يميل للأبيض لا للأسود
الرمادي كما في السابق ولاحظ أيضا أن
النوربا لا يكادون يظهرون إلا في مرات
نادرة ومحدودة وهم الذين كانوا في السابق
يشرفون بأنفسهم على العمل في السابق ،
كل هذا جعله يتأكد من أن النوربا يأخذون
قوتهم وطاقتهم من خلال الدخان الذي تطلقه
الأسطوانات في السماء وأن السبيل الوحيد
لإضعافهم والتغلب عليهم هو تدمير أو منع
الأسطوانات عن ضخ الدخان في الجو ،
وتذكر الأسطوانات المدمرة التي كانوا
يحملونها بعيدا عندما كان في الجنوب ويبدو
أن الحمر تعمدوا استهدافها حتى يضعف

الخضر أكثر فأكثر . لمعت في رأسه فكرة أن
يستغل البشر الفرصة ويثوروا ضد أسيادهم
ماداموا في حالة ضعف وراح يفكر أثناء
عمله في خطة مناسبة لهذه الثورة و يتخيل
نفسه قائدا لها يعطي الأوامر والتوجيهات ،
لكن آماله هذه كانت تصطمم بواقع آخر
مغاير تماما لما يفكر فيه فقد كان البشر
مستعبدين منذ مئات السنين من قبله ولا
يوجد أحد منهم يجروء على العصيان أو على
التفكير فيه حتى فقد جبلوا منذ القدم على
تنفيذ أوامر الأسياد دون نقاش أو تفكير و
كان القضاء على هذه العقلية يحتاج إلى
عشرات السنين من التعليم والتلقين
والتوعية ، نفض هذه الخواطر من عقله
وشعر باليأس موقنا أن حال البشر هذه
ستستمر هكذا إلى الأبد .

أكمل عمله في الحفر بشرود رفقة مارك
وداشر اللذان كانا يساعده في إبعاد

الحجارة الكبيرة من أمام المعول وكان الثلاثة
صامتين كعادتهم عند العمل ، فجأة سمعوا
صراخا حادا يأتي من الناحية اليمنى لهم
وارتفعت الرؤوس لتطل من الحفر والأنفاق
متسائلة عما يجري ، توقف الجميع عن
الحفر وخرجوا متوجهين نحو مصدر
الصراخ الذي لم ينقطع ، ترك حسن ورفيقاه
العمل بدورهم وركضوا رفقة مجموعة كبيرة
نحو إحدى الحفر التي كانت تقع بمعزل عن
الحفر الأخرى وكان حولها اثنان من الأولاد
الذين لم تتجاوز أعمارهما العشرة أعوام
وكانا يبكيان ويصرخان بصوت عال طلبا
للنجدة ، التف حولهما الرجال وراحوا
ينظرون تباعا إلى ما يوجد بداخل الحفرة
العميقة الشبيهة بحفر العقاب ، وصل حسن
وتمكن من اختراق الحشد ووصل إلى حافة
الحفرة ونظر داخلها ليرى في أسفلها جسد
شاب بدا أنه في الثامنة عشر أو في التاسعة
عشر من العمر ملقى على الأرض بلا حراك

وبجانبه ضوء المصباح الأبيض يكشف عن
مدى عمق الحفرة ، راح أحد الولدين -
وهما أخوا الشاب - يروي بصوت مختنق
كيف سقط أخوه داخل الحفرة عن طريق
الخطأ وارتطم بالأرض بقوة فاقتدا الوعي ،
كان إنقاذه يتطلب إحضار حبل وتطوع أحدهم
وذهب مسرعا إلى إحدى الأنفاق ثم عاد بعد
وقت قصير وفي يده حبل طويل سميك ،
والآن كان على أحد أن يتطوع مرة أخرى
وينزل لإنقاذ الشاب العالق في الأسفل ، وفي
هذه اللحظة ساد الصمت بين الحشد ولم
يرغب أحد في النزول للأسفل خشية أن
ينقطع الحبل ، وسرت همهمات بينهم قبل أن
يتطوع حسن للذهاب ومالبث مارك أن تطوع
بدوره لكي يساعده في حمل الشاب المغمى
عليه ، ربطا الحبل حول خصريهما جيدا
واستعدا للنزول و في هذه اللحظات بالذات
كان الحراس يستريحون في مكان بعيد نسبيا
عن الموقع ولم يلاحظوا شيئا مما يجري

بقربهم ولم تطل مدة ذلك إذ سرعان ما
أبصروا العبيد متجمعين بأعداد كبيرة قرب
تلك الحفرة ، وهكذا انطلقوا جميعا نحوهم
وهم يحملون صولجاناتهم من أجل إعادة
النظام ، ألقى حسن نظرة أخيرة على جسد
الشاب الممدد في الأسفل وقبل أن يقفز سمع
صوتا يصرخ أمرا :

- توقفوا ...

ومباشرة اخترق صف من الحراس الدائرة
الذي كان العبيد يشكلونها ووصلوا عند
الحفرة ، ألقى قائدهم ذو الجسد المفتول
العضلات والملامح الحادة نظرة للداخل قبل
أن يسأل :

- ماذا حدث ؟

أخبره أحد الرجال عن الشاب الذي في
الأسفل وعن تطوع كل من حسن ومارك

لإنقاذه ، نظر إليهما بإستهزاء وتعالى قبل
أن أن يقول بصوت حاول أن يجعله صارما :

- لن يذهب أي أحد إلى الأسفل ، هيا عودوا
إلى العمل ...

خيمت الصدمة على الجميع وسرت همهمات
بينهم ولم يتحرك أحد منهم فأعاد القائد
كلامه وهو ينظر إليهم بغضب :

- ألم تسمعوا كلامي ؟ ، قلت عودوا إلى
العمل ...

تدخل حسن من خلفه قائلا :

- لكن الشاب عالق في الأسفل ويحتاج إلى
مساعدتنا .

دفعه القائد دفعة مفاجئة قوية أسقطته أرضا
وصرخ :

- لن ينزل أحد للأسفل ، دعوه يمت فلقد كان
عليه أن يحذر...

نهض حسن نافضا التراب عن ملبسه ومن
دون تردد عاجل القائد بكلمة قوية أسقطته
أرضا وسط ذهول الحضور ، حاول حارس
التدخل ورفع صولجانه ليسدد به ضربة إلى
رأس حسن وكاد أن يفعلها لولا تدخل مارك
في الوقت المناسب وطرحه له أرضا . وجد
الحراس أنفسهم في موقف لم يعهدوه من
قبل فهذه بوادر تمرد محتمل ولم يجدوا
سبيلا للتعامل معه سوى بالعنف وهكذا
انهالوا ضربا على العبيد دون أي تمييز أو
تفريق بينهم وفي جزء من الثانية كانت
الأمر قد خرجت عن السيطرة وتفجر
الوضع ، وبدا أن الغضب والحقد الذي كان
العبيد يخفونهم في صدورهم منذ أكثر من
مئات السنين قد تفجرا فجأة وبدأت
الإشتباكات بعنف وضراوة وبدأوا يحملون
كل ما تقع عليه أيديهم من معاول ومجارف
وحجارة لكي يدافعوا بها عن أنفسهم أمام
الضرب تحوزهم الرغبة في الإنتقام لذلك

الشاب الذي ما يزال داخل الحفرة فاقدًا
لوعيه غير عابئ بما يجري من حوله ، كان
حسن وداشر يلقيان الحجارة على كل من
يقابلهما من حراس فيما راح مارك يشتبك
معهم بشكل أقرب ويطيحهم أرضا الواحد تلو
الآخر ولم يجد من بقي منهم بدا من الهرب
وطلب النجدة ولكن العبيد أمسكوهم
وأبرحوهم ضربا ثم قيدوهم في مجموعات
صغيرة رفقة قائدهم الذي نال نصيبه من
الضرب المبرح ، بعد أن انتهت المعركة
تعالت صيحات النصر بين العبيد وهم
يدركون أن الخوف الذي لازمهم طيلة
السنين الطويلة الماضية قد ولى و بأن
النوربا وحراسهم لا يعدون عن كونهم نمورا
من ورق . عادوا إلى الحفرة وفوجئوا بأن
الفتى قد استيقظ وراح يطلب منهم سحبه
بسرعة ، ظمأنه أخوه الآخر بقرب موعد
انقاذه وبسرعة لف حسن الحبل حول نفسه
وهبط رفقة مارك للأسفل ، كانت البرودة

تزداد كلما نزلنا أكثر وبات المكان شبه مظلم
إلا من ضوء ذلك المصباح الواهن الساقط
على الأرض ، وصل أخيرا إلى مستوى الفتى
والذي هب واقفا ما إن رآه وقبل أن يلقي
إليه الحبل اهتزت الأرض فجأة وتهاطلت
كميات من التراب من الأعلى فحجبت الرؤية
عنه وغطت رأسه ، استمر الإهتزاز الذي
أصبح أكثر قوة من ذي قبل وصاح الشاب
برعب متسائلا عما يجري فيما صرخ مارك
من الأعلى على حسن بأن يسرع ويعطيه
الحبل وقبل أن يفعل هذا الأخير ذلك إذ
بالأرض تنشق فجأة وتخرج منها دودة
زوس عملاقة فاتحة فمها الكبير على
مصراعيه وهي تصدر أصواتا تزلزل
القلوب، وفي جزء من الثانية تحول كل شيء
حوله إلى عرض بطيء مكنه من رؤية الفتى
وهو يهبط داخل فمها وعلى وجهه أقصى
علامات الرعب والخوف ، مد يده وأمسك
بيد الفتى الذي وقع نصفه السفلي بأكمله بين

أسنان الدودة الحادة والتي يقارب طولها
طول ذراع انسان بالغ ، راح الفتى يصرخ
من الألم والخوف وحاول حسن بكل ما أوتي
من قوة سحبه للأعلى لكن هذا كان أشبه
بمحاولة دفع صخرة تغطي حفرة عقاب و
لكنه لم يستسلم ، لم تشأ الدودة أن تحصل
على نصف وجبتها الدسمة فقط ولذلك راحت
تحاول سحبه للأسفل معها وارتخى الحبل
وكاد يسقط هو الآخر ، صرخ عليه مارك
بأن يفلت يده وينجو بحياته ولكنه لم يستطع
أن يقاوم نظرات الشاب المتوسلة إليه
وتمسكه الشديد بيده ، رفض أن يتركه
وحاول بكل ما أوتي من قوة سحبه ولكن
الأوان كان قد فات إذ شعر بألم في يده التي
كانت مبتلة من العرق وانزلقت منها يد
الشاب وهو لا يزال يصرخ بقوة ورآه وهو
يقع داخل فم الدودة التي سرعان ما زحفت
مختفية عبر النفق الذي أحدثته في الأسفل ،
لم يكن يسمع أو يرى جيدا ولم يستطع حتى

أن يحرك أطرافه حتى وهو يسحب للأعلى
كالجثة الهامدة ، خرج من الحفرة غير قادر
على الوقوف ما جعل داشر ومارك يسنداه
من كتفيه ولكنه تهاوى على الأرض وهو
يبكي بحرقة ، لم يتحمل رؤية الفتى يفلت من
بين يديه و يموت بتلك الطريقة البشعة وراح
يلوم نفسه بصوت عالي أمام العبيد الآخرين
الذين كانوا يحدقون إليه بحزن ، انخرط أخوا
الفتى في بكاء مرير ولم يكن حسن قادرا
على فعل شيء سوى احتضانها والبكاء معا
، وشعر بكمية هائلة من الغضب والحدق
تتولد داخله ، شعور غريب لم يجد له تفسيرا
وكان جميع أحقاد وغضب العالم قد تجمعت
داخله، عبرت إلى ذاكرته المشاهد الأخيرة
للفتى وهو بين أنياب الدودة التي مزقته بلا
شك إلى قطع صغيرة تافهة بلا قيمة شعر
بضميره وهو يعذبه لأنه كان السبب بإعتقاده
" لا فائدة من البكاء الآن " صوت ينطلق
داخله مشعلا فتيل الغضب العارم المتفجر

داخله ، نهض من بين دموعه ووقف
بشموخ وهو ما يزال يحتضن الولدين بين
ذراعيه نظر للعبيد من حوله ومارك وداشر
كانوا جميعهم ينتظرون منه أن يفعل شيئا
وكأنه قد أصبح قائدا لهم ، روح القيادة
تتدفق داخله رفع يده للأعلى فنظرت جميع
العيون إليها فتح فمه وصاح بصوت عال :
- إخواني ، لقد حان وقت الثورة ...

نظروا إلى بعضهم البعض وكأنهم لم يصدقوا
ما سمعوه للتو " ثورة ؟ ضد النوربا ؟"
تسائلوا فيما بينهم بوجل ولكن حسن عاد
وصاح قائلا :

- إلى متى يا إخواني ؟ إلى متى سنتحمل هذا
الظلم والجور المسلط علينا منذ مئات السنين
لا لشيء فقط لأننا ولدنا في عالم يعتبروننا
فيه مجرد عبيد لا قيمة لهم يمكنهم العمل
طوال الوقت من دون أي كلل أو ملل أو
اعتراض ، يجبروننا على العمل في هذه

الحفر المظلمة الخانقة فقط من أجل أن
نستخرج لهم الحجارة التي يستمدون منها
قوتهم لإذلالنا ، نحن من نسبب لأنفسنا هذا
يجب أن نقول لا لهذا الظلم ، يجب أن نقول
لا لهذا الإستعباد ، يجب أن نقول لا لهذه
الحياة

ارتفعت الصيحات وفوجئ حسن من أن
خطبته المبتذلة آتت أكلها وأثرت فيهم فعلا
وهو الذي كان يتوقع أن يطردوه ويبلغوا
عنه ، ولذلك أكمل يصيح بحماسة قائلا :

- كان بإمكاننا إنقاذ حياة ذلك الفتى المسكين
ولكننا للأسف فقدناه بسببهم هم .

أشار لمجموعة الحراس المقيدون بالقرب
منهم ثم قال :

- هؤلاء الناس ، هم من بني جلدتنا ولكنهم
يعملون لصالح مستعبدينا لقد باعوا ذممهم
وشرفهم مقابل قليل من الإمتيازات الرخيصة

، هؤلاء هم من علينا محاربتهم أولاً فهم من
يعين النوربا علينا وهم أعينهم وآذانهم التي
تراقبنا وتسمعنا

ثم توجه نحو قائدهم المقيد بعد أن أخذ
صولجانا من أحد العبيد ومباشرة رفعه
وضربه بقوة محطما جمجمته ، وهكذا
أفرغت حشود العبيد ما بقي من غلها في
مجموعة الحراس الأسرى ، كان حسن قد
جلس على الأرض لكي يستريح قليل وهو
يحدق بشرود إلى الرجال الذين كانوا
يحتفلون بهذا النصر ، قبل أن يأتي داشر
رفقة مارك ويجلسان بقربه كسر داشر حاجز
الصمت عندما قال بشيء من الخوف :

- سيعلم النوربا بما حدث وسيأتون للانتقام

لوهلة كان حسن قد نسي كل ما يتعلق بهذا
الأمر ووجد نفسه عاجزا عن فعل شيء أمام
هذا الخطر المحدق فأخذ يحمل الحجارة
الصغيرة أمامه ويلقيها بعيدا شاعرا في

قرارة نفسه بخوف وقلق شديدين فالمصيبة
التي ستقع عليهم الآن ستكون دموية بكل
المقاييس ، نظر إلى العبيد المنتشين بالنصر
الموقت وأدرك أنه ارتكب خطأ فادحا
بتوريطهم في هذا الصراع . ولم يمر وقت
طويل قبل أن يحل موعد الإنصراف من
العمل .

لم يكن القصر الملكي قد شهد تغييرا كبيرا
منذ تولي نوربان الحكم عدا أن أضاف تمثالا
للملك السابق في قاعة العرش حتى يبعد
الشكوك عنه ، كان يطفو بصمت على كرسي
العرش وإلى جانبه شيخ القبيلة الذي كان
يحيط نفسه بهالة شفاقة متوهجة ، قبل أن
تختفي الهالة ويقول الشيخ :

- للأسف قوتي وحدها لا تكفي سوى لعبور
اثنين ، علينا أن ننفذ الخطة الأولى .

لم يجبه نوربان بشيء بل كان باله مشغولا
بالتفكير في من بقي حيا من النوربا

الموالين لداغار والذي كان يخشى من أن يحاولوا الانقلاب عليه ، لقد قتل العشرات من القادة والحراس وغيرهم و الذين كانوا يعملون تحت إمرة داغار منذ توليه الحكم لكن شعورا غريبا كان يراوده بأن عدوه اللدود ما يزال حيا وسيأتي قريبا لكي ينتقم منه شر انتقام وهو ما كان يقض مضجعه طوال الوقت ، دخل فجأة أحد النوربا وتقدم نحوه منحنيا ، نظر إليه بلا مبالاة قبل أن يشر إليه بالتكلم فقال النوربا :

- سيدي الملك لقد تمرد بعض العبيد البشر من من يعملون في الحفر الجديدة وقد قتلوا مئة حارس رفقة قائدهم .

لمعت عينا الملك واتقد الغضب داخله وقال :

- ماذا ؟ تمرد ؟ ضدي أنا ؟ سأجعلهم ترابا ..

عندها قاطعه الشيخ بصوت رزين :

- لا تتسرع يا نوربان فنحن بحاجة ماسة إلى كل عبد من عبيدنا .

نوربان :

- وماذا تقترح علي ؟

الشيخ :

- استدعي برياخ ..

بعد مدة قصيرة حضر برياخ وركع أمام

الملك وقال :

- تحت أمرك يا ملكي .

ليخبره الشيخ بما حدث وما أن انتهى حتى

قال برياخ بغضب متوعدا :

- سأجعلهم يندمون على الساعة التي قرروا

فيها عصيان الملك ، بماذا تأمرني يا مولاي

؟

عندها تحدث الشيخ نيابة عنه وقال :

- خذ معك مئتين من الحراس البشر وبعض النوربا واتجهوا إلى مدينة البشر وهناك ألقى القبض على جميع العبيد المشتبه فيهم والذين كانوا في الحفر وأحضرهم إلى هنا ولا تقتل أحدا مفهوم ؟

لم يعتد برياخ على تلقي الأوامر من الشيخ ولذلك وقف صامتا ينتظر أن يتكلم الملك والذي أشار له بيده قائلا :

- نفذ ما قاله الشيخ .

انحنى بإحترام وقال :

- أمرك يا مولاي ...

قبل أن يحلق بلمح البصر إلى الخارج ، عاد نوربان إلى عرشه والغضب ما يزال مشتتلا داخله وقد لاحظ الشيخ ذلك فقال :

- لا تغضب يا نوربان فالغضب يعميك ويهلكك نوربان بغضب :

- لقد تمرد البشر لأول مرة منذ ألف سنة وقد حدث هذا تحت حكمي ، هذا عار .

الشيخ :

- يمكنك إبادتهم جميعا لو أردت ولكننا نحتاج إليهم من أجل أن نستعيد قوتنا ومن دونهم لا يمكن أن ننجح في ذلك .

هز الملك رأسه وقال :

- أنت محق نحن نحتاج إليهم ولكنني لن أرحم المتسببين في هذا التمرد وسأجعلهم عبرة للبقية .

الشيخ :

- لم يتحمل العبيد النظام الجديد فهو شاق ومتعب ، أنصحك بالعودة إلى النظام القديم .

نوربان معترضا :

- النظام القديم هو من تسبب في انخفاض كميات الحجارة .

الشيخ :

- عليك أن تهدأهم وألا تحثهم على المزيد من التمرد فهم لن يخسروا شيئا إذا ماتوا جميعا ، تذكر ما حدث في التمرد الماضي .

نوربان بنفاز صبر :

- سأرى ما يمكنني فعله .

كان الجميع في المدينة قد انتهى من تناول العشاء وعادوا إلى بيوتهم لكي ينالوا قسطا من الراحة لكن أحدا منهم لم ينم ، ذلك لأن أخبار التمرد الذي حدث في الحفر قد انتشرت كالنار في الهشيم راح الجميع يترقبون ما سيحدث تاليا بقلق وكلهم خوف على أنفسهم وعائلاتهم فغضب النوربا إذا اشتعل يحرق كل شيء أمامه، كان حسن يرقد إلى جوار ريحان التي غطت في نوم عميق برغم الأخبار المرعبة التي كانت تصل بين الحين والآخر فتزيدهم رعبا على رعب

ولم يستطع أن يجاريها في ذلك فقد كان مشغولاً بالتفكير في مصيره المحتوم والذي لن ينجو منه هذه المرة بكل تأكيد ، هو من حرضهم على التمرد في البداية ولكنه لم يجبرهم على ذلك ، شعر بضيق في صدره فقام من سريره وخرج من الغرفة للبهو وهناك التقى بداشر وهو خارج غرفته ، ومباشرة سأله هذا الأخير :

- عاجز عن النوم صحيح ؟

حسن :

- نعم

داشر :

- جميعنا نفكر في القادم ولا مفر منهم ، إذا ما أتوا فسيموت الكثير .

هز حسن رأسه ثم استند بيده على الحائط وقال :

- ليس هناك حل آخر عدا الصمود ، لكن الوقت تأخر كثيرا لكي ننظم أنفسنا .

في هذه الأثناء كان برياخ قد وصل رفقة ألف من الحراس البشر قام بجلبهم من المناطق المجاورة وأحضر معه ما يقرب من مئة من الحراس النوربا ذوي الألوان المختلفة ، توقفوا قبالة المدينة قبل أن يأمر برياخ قائد البشر ديريتش بإقتحام المدينة وإخراج الناس من منازلهم وتجميعهم في الساحة قرب منزل المندوب تاليف والذي كان نائما بهناء ولم يسمع بشيء مما يجري من حوله ، بعد أن انطلق القائد لينظم رجاله استدار برياخ ناحية النوربا وقال :

- حلقوا في مجموعات صغيرة ولتدمر كل مجموعة منكم منزلا أو اثنين ثم عودوا وتجمعوا في الساحة .

قال أحدهم :

- لكن يا سيدي ألم يأمرك الملك بعدم قتل أي أحد ؟

رد برياخ :

- قتل مئة بشري لعين لن يشكل فارقا كما أنهم يجب أن يدفعوا ثمن تمردهم .

لينطلقوا بعد ذلك في تشكيل متناسق للأعلى . كان حسن قد خرج رفقة داشر أمام المنزل لإستنشاق بعض الهواء النقي وكانا صامتين وكل منهما غارق في أفكاره الخاصة ، قبل أن يرفع داشر رأسه للأعلى وهناك هاله ما رأى ، عدد من النوربا يطيرون فوقهم وهم في وضعية الهجوم وقبل أن يتمكن من لفت انتباه حسن كان برياخ قد رآهما و أطلق صاعقة أصابت المنزل ودوى انفجار ضخم أطار بهما بعيدا ، وانهالت الصواعق من مجموعات النوربا على المنازل القريبة وتطايرت الحجارة وتصاعد الدخان واشتعلت النيران وخرج الأهالي وهم يبكون

ويصيحون ويتراکضون هنا وهناك برعب ،
فتح حسن عينيه ليجد داشر ملقى على
الأرض بجانبه بلا حراك ظن أنه ميت فاتكب
عليه يهزه قبل أن يفتح عينيه ببطئ وهو
يصدر أنينا واهنا ، زفر حسن بإرتياح لكنه
تذكر شيئاً تمنى لو لم يتذكره ، الصاعقة
أصابت المنزل وريحان كانت بداخله ، تحامل
على نفسه شاعرا بسخونة الدموع على
وجنتيه ، تقدم نحو كومة ركام المنزل المدمر
ووقف قبالته قبل أن يتهاوى على ركبتيه
ترددت صورتها في ذاكرته وترددت اللحظات
الجميلة القصيرة التي قضاها معها أيضا ،
شعر بإنكسار لم يشعر به من قبل إحساس
غريب أسوأ من الحزن يراوده ، خنقته
العبرات غير مصدق أنها رحلت دون عودة ،
لن يمكنه بعد الآن أن يفتح عينيه على
وجهها الباسم الضاحك الذي كان يصنع يومه
ويملئه بسعادة تعينه على تحمل مشقة الظلم
المسلط عليه، حاول الوقوف فلم يستطع

زحف على ركبتيه وأخذ يزيح الحجارة واحدا
تلو الآخر حتى ظهرت يدها ، تحسها
فكانت باردة أمسكها وسحبها ليظهر وجهها
الذي لطالما أحس بأنه من عالم آخر ، كان
وجهها شاحبا مغبرا وخيط رفيع من الدماء
يسيل من فمها الدقيق ، ضمها إليه متحسسا
جسدها الهزيل ومستنشق عبق رائحتها
الزكية التي لطالما كانت بمثابة الترياق الذي
يشفى حزنه ، انخرط في نوبة بكاء مريرة
غير عابئ بالإنفجارت والصراخ حوله فمن
ذا الذي يخاف البلل وهو غريق ؟ ، لوهلة
اعتقد أنه سمع نبضات خافتة لقلبها ، راح
يهزها بعنف وهو يصرخ باسمها بكل قوته
حتى اختنق صوته من الدموع وما عاد قادرا
على الكلام ، أخرج جسدها بأكمله من تحت
الأنقاض حملها وسار بها بعيدا ، توقف
ووضعها برفق على الأرض وأخذ يتطلع
إليها ويرجو أن تصدر عنها أقل إشارة حياة
، لكن هذا لم يحدث مسح بيده على وجهها

شاعرا بالعالم يمد به وأن كل شيء قد
انتهى بالنسبة له ، لقد رحلت ریحان دون
عودة رحلت دون أن تمنحه الوقت الكافي
ليودعها ، رحلت دون أن تترك له شيئا
منها سوى ذكريات صارت أليمة بعد أن
كانت حلوة، لم يعد قادرا حتى على البكاء
ولكنه لم يستطع أن يتوقف عن احتضانها
وتقبلها ، وكأنه بهذا يريد أن يحييها من
جديد لكن أنى له ذلك ؟ ، شعر بيد تهبط على
كتفه فاستدار ليجد داشر خلفه وخيوط من
الدموع تتدلى من عيونه فلقد كانت بمثابة
أخته هو الآخر بالرغم من الإختلاف الكبير
بين ملامحهما ، لم يتمكن حسن بعد من
تصديق ما يجري أمامه وكان مصدوما إلى
درجة أنه تخيلها نائمة لا ميتة ولذلك ابتسم
وراح يقول لداشر :

- إنها نائمة فقط يا داشر ، هيا ساعدني على
إيقاظها...

لكن داشر صمت ولم يتكلم وهو ينظر إلى
جثتها الخالية من الروح أمامه قبل أن يجثو
هو الآخر بجانبه ويبكي بصمت ، أدرك حسن
من بكائه أن الأمر حقيقي وأن زوجته قد
ماتت بالفعل وليس بمقدوره فعل شيء ، كان
يشعر بإنهاك شديد جعل حتى البكاء مهمة
متعبة بالنسبة إليه ، نظر نحو داشر الذي
كان ما يزال في حالته الهستيرية وتذكر
وعده له ولوالده بحمايتها وإسعادها بعد
زواجه منها على هذا الأساس ، وشعر
بمرارة خيانة وعده ، ولم يجد بدا من
مواساته عن طريق احتضانه ولكن داشر
أزاح يده وهو يقول :

- لقد فات الأوان ...

وفيما هما على تلك الحالة شعر بشيء يهبط
خلفهما بقوة هزت الأرض ، التفتا معا
ليقابلهما أحد النوربا وهو ينظر إليهما بنظرة
متحجرة خالية من أي إحساس ، أسرع داشر

بالإبتعاد ووقف بعيد يتأمل برعب النوربا
وهو يتقدم نحو حسن وهو ثابت لا يتحرك
ممسكا يد ريحان الباردة ، صرخ من بعيد :
- ابتعد من أمامه يا حسن .

لكنه وقف على قدميه ناظر للوحش أمامه
بتحدي ، لمعت شرارة بيضاء في يد النوربا
وأدرك دأشر أن حسن سيموت لا محالة ولم
يشأ أن يتضاعف حزنه أكثر ولذلك فكر
بسرعة ونظر حوالية ولم يجد إلا صخرة
متوسط الحجم من بقايا منزله المدمر بقربه
حملها وألقاها بكامل قوته صوب النوربا
الذي رفع يده في وجه حسن الذي وقف
شامخا منتظرا نهايته أصابت الصخرة
الوحش في إحدى عينيه ما جعله يتراجع
للخلف ومباشرة لمع منها شعاع أخضر
غريب قبل أن يدوي انفجار ضخم أعمى
أبصارهم ، ظن حسن أنه ميت لكنه كان
يشعر بكل شيء حوله ففتح عينيه ليجد أن

النوربا الذي كان للتو أمامه قد اختفى فجأة ،
وصل مارك قبل الانفجار ببضع ثوان باحثا
عنهما لكي يخبرهما بأن الحراس اقتحموا
القرية وكان قد رأى مشهد الانفجار ووقف
مبهوتا فاغرا فاه غير مصدق لما رآه للتو ،
فهذه المرة الأولى في التاريخ التي يتمكن
فيها بشري من تفجير نوربا وبواسطة
صخرة بسيطة ، ركض داشر نحو حسن
وقال وهو يمسه من كتفيه :

- هل أنت بخير ؟

لم يستطع حسن الإجابة فقد كان باله مشغولا
بما حدث أمامه للتو .

- أين اختفى ؟

تسائل حسن قبل أن ينظم إليهما مارك وهو
يصيح متعجبا :

- كيف استطعتما ؟ كيف فعلتها يا داشر ؟

نظر هذا الأخير نحو الصخرة التي كانت
مرمية قربهم وقال :

- لقد رميته بهذه ..

نظر الثلاثة إليها قبل أن يتسائل حسن :

- هل فجرته بصخرة ؟

داشر :

- لا أظن أن الصخرة هي السبب ، بل المكان
الذي أصبته فيه .

مارك :

- وأين أصبته ؟

داشر :

- في عينه .

هز مارك رأسه بفهم قبل أن يقول مفسرا :

- إذا فعيونهم هي نقاط ضعفهم ، لم أتوقع
شيئا كهذا أبدا .

لم يردا عليه فقد عادت إليهما المشاهد
الفظيعة لتي عاشاها للتو قبل أن يتسائل
مارك :

- ماذا حصل ؟

أجابه حسن بصوت مختنق :

- لقد ماتت ريحان يا مارك ، ماتت ...

نظر مارك نحو المكان الذي كان يشير إليه
حسن فرآها هناك ممددة بلا حراك فشعر
بالحزن لكنه التزم الصمت ، عندها سمعوا
أصوات دبيب أقدام وأبواب تفتح وتكسر
وصراخ عالي هنا وهناك ، عندها قال داشر
لكل من مارك وحسن :

- إنهم الحرس ، هيا أهربا وسأعطيهم قليلا ،
بسرعة ..

هم مارك بالهرب ولكن حسن قال :

- ألن تأتي يا داشر ؟

رد داشر وهو يدفعه برفق :

- سألحق بكما لاحقا ، هيا ..

أحس حسن أنه يخدعه ولذلك رفض التحرك
وقال :

- سأبقى معك يا داشر ولن أغادر .

بدأت أصوات الطرق والصراخ تقترب شيئا
فشيئا ، أمسكه داشر من كتفيه وقال وعيناه
مغرورقتان دمعا :

- أرجوك يا حسن ، شعبنا يحتاج إليك ،

يحتاج إلى بطل يحرره من قيود الإستعباد
والظلم ، فكر في ريحان فكر في أبي فكر في
جميع الذين ماتوا بسبب هؤلاء الطغاة
المستبدين ألا يستحقون أن نبقى على عهدنا
ونواصل الكفاح ؟

هز حسن رأسه موافقا قبل أن يقول مارك :

- الحراس يقتربون .

داشر :

- اذهب يا حسن وحاول أن تستغل نقطة الضعف التي اكتشفناها للتو أعلم أن الأمر صعب لكنني واثق من أنك قادر على فعلها ، حاول أن تجد طريقة لهزيمة هؤلاء الوحوش عديمي الرحمة ، عد إلينا وحررنا ، عد إلينا وأنقذنا يا حسن .

نظر حسن إلى جثة ريحان من خلفه وانزلت عبرات على وجهه فمسحها داشر بيده وقال :

- كانت ريحان لتكون فخورة بك أوتعلم ذلك ؟
حسن متسائلا :

- حقا ؟

داشر :

- نعم وسأحرص على أن أجعلك تعرف قبرها حتى تتمكن من زيارتها عندما تعود إلينا .

حسن بتأثر :

- شكرا يا أخي .

ثم تعانق الإثنان بحرارة قبل أن يمسك مارك
حسن من ذراعه ويسحبه بعيدا قائلا :

- حسنا ، حان وقت الرحيل .

عندها ظهر بعض الحرس في بداية الشارع
مدججين بالأسلحة ، ابتسم داشر ورفع يده
مودعا وهما يبتعدان شيئا فشيئا وبأدله
حسن الوداع من بين دموعه وهو يرى
الحراس يتقدمون نحوه وهو يلتفت ليصدهم
بمهارة وشجاعة ،

ركضا بكل ما أمكنها من سرعة حتى وصلا
إلى ناحية قصيرة من الجدار وهناك قفز
مارك بخفة للأعلى وساعد حسن على
الصعود ، قفز مارك للأسفل ولكن حسن لم
يفعل بل كان يلقي النظرة الأخيرة على رفيقه
من بعيد ، قبل أن يستدير ويقفز ثم ركض

الإثنان عبر السهول واختفيا خلف إحدى
التلال تحت ضوء الغسق المهيب وخلفهما لا
تزال أعمدة الدخان تتصاعد من القرية ولا
تزال أصوات الصراخ تسمع من بعيد .

الفصل السابع

لم يكن ذلك اليوم سوى مقدمة لسلسلة من الأحداث الدموية التي ستعيشها المدينة على مدى الأيام المقبلة ، تم سجن أكثر من ألفين من الرجال وكان من بينهم داشر الذي سقط في ذلك اليوم أسيرا بعد قتال أسطوري وبدأت التحقيقات معهم في أنفاق تحت قصر الملك وكان التعذيب فيها حاضرا دائما ما جعل جلهم يعترف وتركزت الإعتراقات حول الدور الذي لعبه حسن بشكل رئيسي رفقة مارك في التحريض ، وأقحم اسم داشر كذلك بين المتهمين ، اتهم مئة من العبيد بالتورط في أعمال التمرد وحكم عليهم بالإعدام جميعا في ساحة القصر وبقي حسن ومارك مطلوبين خطيرين في كامل أراضي الآفاشت وكان داشر قد حرص قبل إعدامه على دفن

أخته بجانب أبيه وترك علامة تدل على
قبرها كما وعد حسن ونفذ الحكم بعد أسبوع
على اعتقالهم وشهده آلاف من البشر وهم
يخلدون البطلين اللذين ما يزالان طليقين
وقبل أن يعدم داشر عن طريق الصاعقة
صرخ بأعلى صوته بالحرية للعبيد قبل أن
تسكته الصواعق التي انهالت عليه من كل
حذب وصوب و مات ولكن كلماته لم تمت إذ
بقيت حية في ذاكرة ووجدان كل من شهد
ذلك ، منع السكان من العودة لبيوتهم وقضوا
أكثر من أسبوعين في العراء قبل أن يسمح
لهم أخيرا بالعودة ولم يتغير شيء سوى أن
قسوة نوربان قد زادت وأصبح يقمع بعنف
أي حركة أو إشارة تدل على عصيان أو
ثورة أخرى محتملة وصار الموت يترصد
بالجميع في كل مكان ولكن كل هذا لم يمنع
العبيد من الاحتفاظ بفكرة أن يأتي يوم
ويتحرروا فيه من الظلم وقد ازداد أملهم بعد
أن فشل النوربا في العثور على حسن

ورفيقه اللذين تحولوا إلى أسطورة يتناقلها
الناس وهم يترقبون الوقت الذي قد يعودان
فيه .

- بعد ثلاث سنوات -

كان الناس قد خرجوا للذهاب للعمل في
الحفر كعادتهم وبينما كانت طوابيرهم تتحرك
نحو بوابة المدينة ، إذ بعدد من حراس
المدينة يعترضونهم وكان على رأسهم قائدهم
ديريتش الذي رقي إلى منصب قائد حرس
المدينة ، وقف قبالة الحشود معتليا منصة
عالية وقال بصوت مسموع مهددا :

- لقد تعرضت عدد من الأنفاق داخل الحفر
بالأمس للردم ونحن نجري تحقيقا لمعرفة
ملايسات الحادث وإذا كان أي أحد منكم لديه
معلومات أو تفاصيل حول ما حدث فليتقدم
نحوي ...

صمت الجميع ولم يتقدم أحد وأخذ القائد
ينظر إليهم بغضب ظنا منه أنهم يتظاهرون
بعدم العلم بما حدث ، وقبل أن يتكلم إذ بسهم
أصفر حاد ينطلق من مكان مجهول ويصيبه
في عينه إصابة بالغة دقيقة سقط على إثرها
أرضا واندفع حراسه نحوه وتحلقوا حوله
وسط دهشة العبيد الذين راحوا يتلفتون هنا
وهناك بحثا عن مصدر السهم الذي أطاح
بهذا البغيض المتعجرف لكنهم لم يروا شيء
. ابتعد بحذر عن نافذة المنزل وفتح الباب
ببطئ وانسل خارجا وهو يرفع لثامه الذي
كان يحجب كل ملامحه باستثناء عينيه
وبمهارة تسلق الحائط دون أن يراه أحد
وانطلق يركض في السهول الخالية حتى
وصل إلى صخرة كبيرة قرب إحدى التلال
دفعها ببطئ لتكشف عن فتحة تتوسط التلة ،
دخل عبرها بعد أن أعاد الصخرة إلى مكانها
، مشى عبر رواق مظلم أخذت الرؤية تتضح
فيه شيئا فشيئا بسبب المصابيح التي كانت

معلقة على الجوانب ، قبل أن يصل إلى مكان واسع به طاولة عليها صحون وملاعق وكراسي وعدد من الأفرشة والأغطية مرمية بإهمال هنا وهناك إضافة إلى نار مشتعلة علقت عليها قدر بها ماء يغلي ، وبقربها وقف رجل قوي البنية لا يرى منه سوى ظهره وهو ينثر مسحوقا أصفرا في القدر ، قبل أن يستدير ويواجهه ويقول :

- هل تمت المهمة بنجاح ؟

رد المثلث وهو ينزع لثامه كاشفا عن ملامحه الحادة :

- بالطبع أيها الزعيم ، لقد أصبته في عينه وأؤكد لك أنه ميت الآن .

- هذا جيد ، فكرة ردم الأنفاق آتت أكلها بالرغم من معارضتكم لها .

المثلث وهو ينحني باحترام :

- بالطبع ، لقد حدث ما توقعته بالضبط فقد
جمعهم قرب البوابة محاولا أن يعرف الفاعل

قال الرجل وهو يحرك ملعقة في القدر :

- أخبرني كيف وجدت الأجواء في القبيلة
الخضراء ؟

- لا تختلف كثيرا عن أجوائنا ، سوى أن
العبيد هنا يرتدون عباءات صفراء ونحن في
القبيلة الزرقاء نتردي العباءات البيضاء .

ضحك الرجل ثم قال :

- لم يتبقى الكثير لإنطلاق الملحمة الكبرى يا
زينارد ، قليل من الصبر وكثير من القوة
وسيتحرر البشر من مستعبيدهم .

عندها سمعا صوت الصخرة تتحرك ويتبع
ذلك صوت خطوات في الممر قبل أن يظهر
رجل آخر طويل ملثم يحمل في يده حقيبة
وضعها على الطاولة ، عندها قال الرجل :

- مرحبا بعودتك يا مارك ، أخبرني كيف
كانت رحلتك ؟

مارك :

- كانت شاقة يا حسن فقد كثف النوربا من
حراس ورشات الحديد بعد الهجمة الأخيرة .

تهاوى على الكرسي وهو يلهث متعبا قبل أن
ينزع اللثام كاشفا عن ملامحه التي لم تتغير
كثيرا ، وضع حسن القدر على الطاولة وقد
ظهر وجهه على ضوء المصباح وكانت
تعابيره قد أصبحت حادة وكان شعره قد طال
كثيرا إلى درجة أن كان يربطه خلف رأسه
وقد أصبح جسده أكثر قوة وصلابة ، كان
الثلاثة يرتدون عباةات بنية وقد جلسوا
يتناولون الحساء بنهم كأنهم لم يأكلوا منذ
مدة قبل أن ينتهي حسن من تناول طعامه
ويتجه مباشرة نحو الكيس ، فتحه وكانت به
مجموعة من الأسياخ الحديدية السميقة
مربوطة بإحكام ببعضها البعض ، تفحصها

بعناية قبل أن يوجه كلامه لمارك الذي كان
ما يزال يأكل :

- إنها من النوعية الجيدة ، هذا سيضمن لنا
صنع ثلاثين سهما إضافيا .

ثم حملها واتجه نحو وسط الغرفة وهناك قام
بإبعاد الأغطية كاشفا عن باب صغير مثبت
في الأرض رفعه بيده وهناك ظهر سلم يقود
إلى هوة في الأسفل ، هبط إلى الأسفل
متحسسا طريقه من شدة الظلام عبر نفق
حتى وصل إلى قاعة واسعة بها دلال
ومطارق متنوعة الأحجام وفي أحد أركانها
تكدست رزم من الأسياخ الحديدية بالإضافة
إلى صناديق موضوعة فوق بعضها البعض
وأخيرا شيء كبير مغطى بغطاء أبيض
يحجبه ، توجه حسن نحو طاولة بعد أن
أشعل نار تحت أحد القدور ووضع الرزمة
عليها ثم أخذ مطرقة وبدأ العمل .

كانت قاعة الملك نوربان تشهد حركة كثيفة
فقد عقد اجتماع بين الملك والساعي
والمندوبون البشر وقائد الحرس لبحث
الهجوم الأخير الذي أودى بحياة قائد حرس
المدينة ، اتخذ نوربان مجلسا على عرش
منتظرا أن يصل الساعي بعد أن أرسل في
طلبه وكان الغضب باديا على ملامحه فقد
أزعجه هذا الخبر كثيرا وكذلك الطريقة التي
قتل بها القائد ، وكان يخشى من عودة
الإضطرابات بين العبيد خاصة وأنه لم ينجح
لحد الآن في القبض على اثنان من
المتسببين الرئيسيين فيما حدث بعد مرور
ثلاث سنوات ، وصل الساعي أخيرا رفقة
عدد من كتابه وتقدم حتى وصل إلى حيث
يجلس نوربان وانحنى إنحناءة طويلة رفقة
كتابه وهو يقول بلهجة متملقة :
- ها قد جاء العبد الضعيف لمقابلة الملك
العظيم .

أمره نوربان أن يقف ثم قال :

- لقد قتل قائد حرس المدينة بينما كان يجري تحقيقا مع العبيد عن ردم بعض الأنفاق والغريب أنه قتل بعصا حديدية صغيرة أتت من مكان مجهول وقد حدث ذلك أمام أنظار العبيد .

الساعي :

- لقد علمت بالخبر يا ملكي وأرسلت قبل مجيئي إليكم فرقة من الحرس للتحقيق والبحث عن الفاعل .

نوربان :

- هذا لا يكفي أبدا أيها العبد ، عليكم أن ترفعوا من كفاءة حراسكم لأن جزءا مما حدث ، بسبب ضعفهم وتقاعسهم إنهم لا يعملون بإخلاص وعليك أن تجد حلا لهذا إن أردت أن يبقى رأسك في مكانه .

ارتجف الساعي وقال :

- أمركم يا ملكي .

نوربان :

- نظم دوريات لتفتيش المدن والقرى قبل
وبعد عودة العبيد من العمل وفتشوا المنازل
وقم بالقبض على أي شخص مشبوه ولا
تتوانى في الإستعانة بأقسى أنواع التعذيب
لإستجوابهم.

الساعي بتذل :

- كما أمرتم يا ملكي .

أضاف نوربان :

- لقد سرقت بعض الأغراض من ورشة حديد
في مدينة شانبرنت مرة أخرى وأشك في أن
أحدا له صلة بالهاربين هو من فعلها ، ولذلك
كثف الحراسة عليها أكثر وحاول أن تنصب
فخا لعنك تقبض عليه وإذا حدث ونجحت
فأتيني به إلى هنا ، وأخيرا فأنا أحذرك من
أنها فرصتك الأخيرة وإذا تكرر هجوم أو

سرقت من هذا النوع فاعلم أنك ستفقد حياتك
بأشد الطرق إيلاما مفهوم ؟

هز الساعي رأسه ثم انحنى وقال بصوت
مرتجف :

- أمركم يا ملكي .

- والآن انصرف لعملك .

وبعد انصرافه نظر نوربان نحو الشيخ الذي
كان يطفوا فوق كرسيه و بدا وكأنه كان
مغيبا عن الواقع قبل أن يقول :

- ما زلنا بحاجة إلى قوة أكثر لتوسيع الشق
.

نوربان بغضب :

- اللعنة ، لقد فعلنا كل ما بوسعنا بالأمس .

الشيخ :

- تذكر أنك تريد أن تنتقل إلى عالم آخر لا تعرف عنه إلا القليل كما أنه محاط بغلاف قوي من الطاقة لا يخترق بسهولة وقد احتاج الأب المؤسس إلى عشر سنوات من فعل الطقوس حتى استطاع إحداث شق صغير والنفاد منه إلى هناك وجلب العينات

نوربان :

- أنا أعلم أن الطريق ليس سهلاً ولكننا نضعف ببطء بسبب هدر طاقتنا في هذه الطقوس ، كما وأن هناك خطراً آخر مجهولاً يترصد بنا .

الشيخ متسائلاً :

- وما هو ؟ هل اختفى المزيد من الحديد ؟

نوربان :

- بل أسوأ ...

ثم أخبره عن مقتل قائد حرس المدينة ، وبعد
أن انتهى أضاف:

- الهاربان اللذان سبقا وأن قادا التمرد
السابق هما من يقومان بالسرقات وهما من
قاما بقتل ذلك البشري و ليس لدي أدنى شك
في هذا ، وكأنهما يتحدياني بذلك ولكن هناك
سؤال لم أستطع أن أجد له جوابا وهو لماذا
يسرقان الحديد ؟ ترى ما الذي سيفعلانه به ؟
.

الشيخ :

- أيا كان ما يخططان لفعله فهما مجرد
بشريين ضعيفين كغيرهما من العبيد ولا
يمكنهم وحتى وإن اجتمعوا معا من أن
يخدشوا أحدا منا .

نوربان :

- لكني أخشى من أن يحرضا العبيد على التمرد مرة أخرى ، ونضطر لقتل عدد كبير منهم ونحن في أمس الحاجة إليهم .

الشيخ :

- سيظهران عاجلا أم آجلا وحتى ذلك الوقت حاول أن تقبض عليهما .

نوربان بتهكم :

- ثلاث سنوات ونحن نطاردهما ولم نجد شيئا سوى الفشل .

الشيخ :

- لكن هذه السرقات وهذا الهجوم دليل على أنهما بالقرب منا .

حذق نوربان بشرود لهنية قبل أن يستدعي برياخ وما إن حضر حتى أمره بأن يصطحب معه عددا من الحراس ويجروا بحثا دقيقا في أنحاء العاصمة ومدينة البشر وما جاورهما

من قرى ومدن صغيرة ، كان يشعر بأن موعد اللقاء بينه وبين حسن ومارك قد صار أكثر قربا مما مضى وأن هذه المرة لن تكون كسابقاتها .

بعد أن علم الثلاثة بأوامر نوربان بتكثيف التفتيش والبحث عنهم ، تعين عليهم الانتقال إلى المرحلة الثانية من خطتهم وقد شرحها حسن مجددا عندما اجتمعوا معا في ذلك اليوم قائلا :

- الآن بعد أن بدأوا يضيقون على العبيد حياتهم سيبدأ الوضع بالغليان وستبدأ الظروف تنهيا لنا لنبدأ المرحلة الثانية من الخطة ، حيث سنقوم بتجنيد العبيد وتدريبهم حتى نحضر للثورة ويجب علينا أن نضمن أن هؤلاء العبيد لن يقوموا بخيانة أو شيء من هذا القبيل وبعد أن ندرّبهم وننفذ عدة هجمات ضد الحرس وقادتهم حتى نضعفهم كونهم اليد اليمنى لنوربا ، سننتقل للمرحلة

الثالثة والتي تتضمن المواجهة المباشرة مع النوربا .

نظر الثلاثة لبعضهم البعض وهم يعلمون جيدا أن المهمة لن تكون سهلة فالطريق طويل وصعب ومحفوف بالمخاطر فأرواحهم الآن على أكفهم وقد يفشلون مع أول اختبار يصادفهم ، بدأت المرحلة الثالثة وتم تجنيد أول جنديين في مساء ذلك اليوم وهما كل من "شاردان" و"مارناش" وهما الشقيقان الأصغر للشاب الذي سقط في الحفرة وأكلته الدودة في ذلك اليوم وكان السبب في بدأ الثورة الأولى التي فشلت ونجح النوربا في إيقافها ، ولكنهم لم ينجحوا في إيقاف إصرار وتصميم حسن على الإنتقام لمن قتل في تلك الأيام المشؤومة وعلى رأسهم داشر وريحان ، وبعد أن علما بحقيقته و أشرف على تدريبهما بنفسه لأكثر من شهر استطاع الأخوان تنفيذ أول عملية ناجحة لهما والتي

استهدفت أحد قادة الحرس في إحدى القرى
البعيدة وجعلها هدية لروح أخيها الأكبر
وكانت هذه البداية فقط ، واستطاعت
المجموعة الصغيرة أن تنمو يوما بعد يوم و
انظم إليها المزيد من الرجال وجلهم كانوا
من من قتل أقربائهم على أيدي النوربا
والحرس أو من الذين ما عاد بإمكانهم تحمل
الذل والظلم المسلط عليهم ، وكان حسن
بصفته قائدهم والمشرف عليهم يحرص دائما
على أن يصلوا إلى أعلى مراحل الجاهزية
حيث كان يشرف على التدريبات بنفسه
خارج الكهف في السهول ويحرص على
التقرب من رجاله ويجالسهم ويسأل عن
أحوالهم ولا يتكبر عليهم أو ينهرهم فقد كان
يدرك تمام الإدراك أن الفوز في أي حرب أو
معركة يتطلب إعداد المحارب وتجهيزه
وتدريبه بكفاءة بدنيا أو ذهنيا وقد نجح إلى
حد ما في كسب ولائهم واحترامهم ، وهكذا
بدأت العمليات تتزايد وتشتد حدة وتوسعت

أهدافهم لتشمل الكتاب والمندوبين وقتل عدد
منهم لكونهم عملاء للنوربا وقد شعر العبيد
البشر بأن هناك أمرا جلا في الطريق
وعادوا إلى الكلام حول الهاربين ودورهما
فيما يجري وكثرت التنبؤات والشائعات حتى
وصلت إلى بلاط الملك نوربان والذي راح
يصرخ بغضب على برياخ والحراس الآخرين
من النوربا ويعاتبهم ويطالبهم بضرورة
التخلص من حسن بأي طريقة ولكن أنى لهم
ذلك وهم فعلوا كل ما أمكنهم فعله من سجن
وتعذيب وقتل وقمع وترهيب لكن من دون
أي جدوى ، فهم يحاربون أشباحا لا تظهر إلا
لنصرة الحق ونصرة المظلومين من العبيد
البؤساء. تحول لون السماء إلى الأحمر
إذانا بدخول وقت الغسق واجتمع حسن مع
مارك وزينارد لبحث العملية الأخيرة قبل بدأ
الثورة والتي كانت تهدف للتخلص من
الساعي نفسه لكونه أشد العملاء البشر
خطرا وأكثر من تسبب بمعاناة العبيد خلال

الفترات الماضية ، كانت الخطة التي اتفقوا عليها صعبة ومعقدة وتشى بخطورة المهمة فمنزل الساعي يقع داخل عاصمة النوربا وهو بلاشك محاط بحراسة قوية ومحكمة ولكن لابد من المخاطرة ولو كلفهم ذلك كل شيء فلا يمكن بدأ الحرب من دون إحداث الفوضى في صفوف الحرس ، وكان حسن يتوقع بعد نجاح الإغتيال أن يكسبهم كخلفاء في صفه وهذا كان يمثل مهمة جانبية سيقوم بها ما أن يتم التخلص من الساعي ، نظرا لصعوبة المهمة وخطورتها فقد قرر حسن ومارك الذهاب من دون أي أحد آخر وكان القلق باديا على محيا الأربعين رجلا الذين تجمعوا في القبة الضيقة داخل الكهف وقد قال لهم حسن بالحرف الواحد :

- إذا لم أعد أنا ومارك فتفرقوا وأكملو حياتكم وكان شيئا لم يحدث .
عندها سأله أحدهم :

- وإذا عاد أحدكما ولم يعد الآخر ؟

مارك بنبرة واثقة :

- لا يمكن لأحدنا أن يعود دون الآخر .

أكمل حسن :

- نعيش معا أو نموت معا .

عندها انفجرت صيحات النصر والتشجيع

وانكب عليهم الرجال وهم يعانقونهما

ويشجعونهما ثم استلا الأقواس المربوطة

بالخيط والتي كانت هي سلاحهم السري

وانطلقا نحو المخرج . رافقهما زينارذ حتى

الصخرة التي تسد المدخل وقبل أن يبعداها

قال :

- كم تمنيت لو رافقتكما

ربت حسن على كتفه ثم قال :

- وجودك هنا أفضل .

قبل أن يبعد الصخرة وينطلق مسرعا رفقة
مارك في السهول الشاسعة وراقبهما زينارد
بعينيه الحادثين حتى اختفيا . كان المكان
صامتا وموحشا إلى درجة أنهما لم يكونا
يسمعان شيئا سوى صوت خطواتهما وهي
تدوس العشب وكانت حمرة الغسق تضيئ
شيئا من الجمال على المكان ، قطع مارك
الصمت عندما قال :

- آه ، كم تمنيت لو كان داشر معنا .

لم يجبه حسن فأكمل :

- كان سيستمع بهذا أجواء صحيح ؟

حسن بإقتضاب :

- نعم .

مارك :

- كان علينا أن نأخذه معنا إلى أراضي الزرق
لكان على قيد الحياة الآن و ...

- كفى -

قاطعه حسن وقد توقف عن المشي وعيناه
تفيضان دمعاً قبل أن يقول :

- لقد رحل دأشر ولن يعود وهذا أصبح جزءاً
من الماضي الذي لن نستطيع تغييره .

ثم أضاف :

- لكننا نستطيع تغيير المستقبل عن طريق
الحاضر ...

كان مارك يعلم مدى هول الصدمة التي
عاشها حسن بعد رحيل دأشر وريحان والتي
دامت لأكثر من سنة ولم يستطع تجاوز الأمر
إلا بشق الأنفس ومنذ ذلك الحين وهو يكره
حتى تذكر ما حدث و أدرك أنه أخطأ عندما
تحدث عن هذا الموضوع أمامه فقال معذراً
:

- أنا آسف ، لم أقصد أن أزعجك .

حسن :

- لا عليك والآن علينا التركيز على مهمتنا لكي ننجزها بسرعة فالوقت ينفذ منا بسرعة

ومن هنا لم يدر بينهما أي حوار على طول الطريق حتى لاحت لهما العاصمة من بعيد ويمكن القول بأنهما أول بشريين في تاريخ عالم الأفول سيخالفان القوانين الصارمة التي تمنع دخول العبيد إلى العاصمة وقت الغسق.

كان المكان من حولهما خاليا ولكن هذا لم يمنعهما من الإنبطاح على العشب خشية أن يراهما أحدهما، نظرا بذهول إلى ذلك العمود الطويل الأبيض الذي كان يتصاعد من وسط العاصمة ويختفي في أعلى السماء وسط دخان كثيف حجب الجزء العلوي منه ، لم يسبق أن شاهدا شيئا كهذا من قبل وخمن حسن في السبب الحقيقي الذي يمنع النوربا

من أجله البشر من الخروج وقت الغسق ،
انتظرا حتى تأكدا من خلو المكان جيدا قبل
أن ينطلقا زحفا ببطيء نحو الجدار ، كانت
الطريق طويلة وقد علق العشب بثيابهما
ولكن هذا لم يوقفهما عن التقدم والتلفت بين
الحين والآخر خوفا من من وجود نوربا
يتربص بهما من الأعلى ، وصلا أخيرا إلى
الجدار وتوقفا عنده قليلا لالتقاط أنفاسهما
قبل أن تتناهى إلى أسماعهما أصوات غريبة
مرعبة قادمة من العاصمة شبيهة بالأنين
تسائل مارك بنبرة مرتعدة :

- ما هذه الأصوات ؟

رد حسن وهو يحاول جعل صوته طبيعيا :

- لا أدري ، ولكنها لا تبشر بالخير هيا علينا
أن نسرع ...

وقف وشابك بين أصابعه حتى يستطيع مارك
أن يضع قدمه على يده ويتسلق الجدار الذي

كان أعلى من جدار مدينة البشر نسبيا وما
إن وصل للأعلى حتى مد يده ليساعد حسن
على الصعود ثم مباشرة قفزا بخفة للجهة
الأخرى ليجدا نفسيهما داخل العاصمة والتي
لم تتغير كثيرا بعد كل هذه المدة من غيابهما
عنها ، قال حسن وهو يخرج خريطة من
جيبه :

- منزل الساعي يقع في أقصى الغرب ولكي
نصل إليه سيتعين علينا المرور عبر وسط
المدينة ...

تحرك الإثنان بخفة عبر المكعبات والطرق
الخالية وكلما اقتربا من العمود الأبيض كلما
ازدادت الأصوات حدة ، وأخيرا لاح لهما من
بعيد عدد من النوربا ، وأسرع حسن ومارك
بالإختباء خلف مكعب وراحا يستطلعان
بذهول ما يحدث أمامهما ، كان النوربا قد
اصطفوا مشكلين دوائر من الأسفل على
الأرض وصعدوا حتى الأعلى وهم يطلقون

الصواعق بإستمرار نحو العمود الذي كان
يدور يتسارع للأعلى ، بدأ أن هذه العملية
تضعف النوربا فقد كان جلهم يتألمون
ويأنون، نظر حسن للأعلى ليرى نوربان
لأول مرة منذ ثلاث سنوات برفقة الشيخ
الذي كان يرفع يديه في الهواء وهو يقول
كلمات بلغة غير مفهومة وإلى جانبها كان
برياخ يراقب المشهد دون أن يشارك في
إطلاق الصواعق معهم ، لم يدري حسن ما
يفعله في هكذا موقف فهو الآن مخير بين
الإنظار حتى انتهاء هذه الطقوس الغريبة أو
التحرك فورا وبسرعة ، وقد اختار الخيار
الثاني لكونه الأنسب ولذلك سحب مارك من
يده وتمكنا من المرور خفية دون أن
يلاحظهما أحد ، وفي غضون نصف ساعة
كانا يقفان أمام قصر الساعي والذي يفترض
أن يكون محميا من قبل النوربا، تسلقا
السور وقفزا إلى الحديقة وتوجها مباشرة

نحو الباب ، وبعد أن تمكنا من فتحه بنجاح
أنزل حسن لثامه على وجهه وقال :

- تذكر أن هدفنا الساعي وليس الأبرياء.

مارك وهو يغطي وجهه بدوره :

- أكيد ...

ثم اقتحما القصر .

قابلهما درج يفضي إلى الطابق الثاني وكان
المكان هادئا ومظلما على نحو غريب ،صعدا
مباشرة للطابق الثاني حيث يوجد هناك بهو
واسع على جانبيه عدد من الأبواب المغلقة
في إحدى هذه الغرف كان ينام الساعي وكان
سيصعب عليهما إكتشاف الغرفة الصحيحة
لولا أن أحد العبيد المنظمين للمجموعة
مؤخرا كان قد سبق له وأن خدم الساعي في
قصره ولذلك زودهما بكل صغيرة وكبيرة
عنه مثل أعداد الحراس النوربا ووقت دخول
وخروج الساعي وأين ينام ، كان المكان

ساكنا ولذلك لم يرد كليهما أن يبددا السكون
خشية أن يسمعهما أحد فراحا يتبادلان
الإشارات وأشار حسن لمارك بالتقدم خلفه
وحماية ظهره واستلا قوسيهما ووضعها
سيخا على الخيط وتقدما ببطئ في البهو ،
بدأ حسن يشعر بالتوتر وهو ينقل بصره من
باب إلى باب وتصبب العرق من جبينه عندما
عثر أخيرا على الباب المنشود وهو الباب ذو
اللون الفضي ، توقف عنده ثم أشار للهدف
ليرد عليه بإشارة الإقتحام ، وبالفعل دفع
حسن الباب ودخل إلى الغرفة الفاخرة وهناك
قابله مصباح ضعيف الإنارة وسرير كبير
الحجم وبدا وكأن هناك شخصا يرقد عليه
وكان هناك غطاء يحجبه تقدم حسن ببطئ
ويده ممسكة بالسيخ والخيط الممدد في
القوس ، أحس بأن هناك شيئا غريبا يحدث
فهذه السهولة الغريبة التي قابلته جعلته
يوقن أن هناك خطأ ما ، وقف قرب الغطاء
ورفع القوس موجهها إياه نحو الفراش وقبل

أن يطلق راوده فضول غريب لإزاحة الغطاء
خفض القوس ومد يده وهنا لكزه مارك بقوة
على كتفه وهو يشير له بأن ينتهي بسرعة
لكنه لم يكثر له مدركا أن هناك بالفعل خطأ
وراوده شعور بأنهما وقعا في فخ محكم
وتأكدت شكوكه عندما أبعد الغطاء ووجد
ماكان يتوقعه بالضبط مجرد وسائد مكومة
فوق بعضها البعض وقبل أن يستدير ليخبر
مارك ، كان المكان يعج بالحرس الذين
امتأنت بهم الغرفة ذعر مارك وتجمد في
مكانه أما حسن فكانت الصدمة أقل وقعا
عليه لأن ما حدث كان متوقعا ، أمرهما
الحراس بإلقاء أسلحتهما ثم الجلوس بهدوء
، انصاعا للأوامر متناسيين وعهما بالموت
معا وما إن أخذ الحرس الأقواس حتى
قيدوهما و انهالوا عليهما ضربا ولم يتوقفوا
إلا عندما دخل الساعي إلى الغرفة وهو
يبتسم بانتصار أفسحوا له المجال ووقف
يراقبهما بتشف ، توجه نحو حسن وانحنى

حتى صار بمستوى نظره قبل أن يقول
ساخرا :

- تريد قتلي أليس كذلك أيها الهارب ؟

حدجه حسن بنظرة حادة قبل أن يضحك
ويقول :

- لقد أصابكم الغرور أيها المخربون ، وكان
عليكم أن تحضروا أنفسكم جيدا قبل التفكير
في إغتيالي لكني كنت أذكي .

ثم أشار لأحد الحراس وهنا انقضوا عليهما
وسحبوهما لأسفل للخارج ، وألقوهما على
الأرض بقوة ووقفوا وكأنهم ينتظرون شيئا
وماهي إلا ثواني حتى هبط من السماء كل
من نوربان والشيخ ومعهما برياخ وعدد من
الحراس النوربا ، تقدم نوربان نحوهما وهو
يحدق إليهما بحقد قبل أن يقول مخاطبا
الساعي :

- أحسنت أيها الساعي ، لقد قبضت على
المخربين الحمقى وأنا مندهش من أنكم
تمتلكون هذا القدر من الشجاعة لتفكروا
بالتمرد على نوربان الملك الأسود العظيم .

نظر إليه حسن وقد تدفقت الذكريات السيئة
كالسيل الهادر في ذاكرته وحاول أن يقول
شيئا ولكن الساعي صاح :

- إنهما الهاربين يا ملكي ، هما العقل المدبر
للهجمات والتمرد .

نوربان :

- أحسنت صنعا ، وسأضمن أن أنكل بهما
وبجماعتهما أشد التنكيل وأمام العبيد
الآخرين .

الشيخ :

- سيحطم هذا كل أمل لديهم وسيرسخ الخوف
والذعر في قلوبهم الضعيفة إلى الأبد .

نوربان :

- وهو كذلك .

إقتادهما الحراس بعد ذلك إلى السجن أسفل
القصر والذي كانت جدرانه شاهدة على
القمع والتعذيب الوحشي الذي تعرض له
الآلاف من العبيد قبل مجيئهما ، كانت
ساعات التعذيب والإستجواب طويلة وجنونية
وكان يجري تعذيبهما معا من قبل عدد من
الكتاب وجلادين من الحراس البشر محاولين
انتزاع اعترافات منهما حول أماكن اختباء
البقية وما كانا ينويان القيام به ضد الملك ،
ظل حسن صابرا محتملا الألم الشديد وهو
يفكر في من تسبب في غدره والقبض عليه
وكان يشك في عدد من الذين انضموا حديثا
لهم ولم يعد بإمكانه فعل شيء الآن فقد
تبددت كل أحلامه وشعر مرة أخرى بمرارة
الخيانة والفشل .

مر يوم ولم يعد مارك وحسن وتناهى خبر
إلقاء القبض عليهما إلى زينارد وأيقن بأن ما
كان يخشاه قد وقع ووجد نفسه بين
خيارين أحلاهما مر ، إما الإستسلام والعيش
هائما متخفيا لبقية حياته أو مواصلة الكفاح
، كانت تجمعه علاقة صداقة واحترام شديدة
مع حسن نظرا للمعروف الذي أسداه له قبل
سنتين في أرض الزرق عندما أنقذ حياته
ولذلك لم يستطع أن يتخلى عنه ولذلك جمع
من بقي من الرجال بعد أن قام بإعدام عدد
من من شك بخيانتهم وقال :

- إخواني ، لقد وقع القائد حسن ونائبه الأول
مارك في الأسر وهما بأمس الحاجة إلينا قبل
فوات الأوان وقد عزمتم أمري على إنقاذهما
ومن شاء منكم فليأتي معي ومن شاء
فلينسحب ويختفي دون أن ينسى ولاءه لنا
وإلا فإني سأصل إليه .

نظر الرجال إلى بعضهم البعض وكل منهم
يدرك أن طريق العودة والإسحاب بات شبه
مستحيل الآن ، وتوقع زينارد أن ينفضوا من
حواله فلا أحد يضحي بنفسه في معركة
خاسرة ولكنه فوجئ بهم يقولون بصوت
واحد :

- نحن معك أيها القائد ...

ابتسم زينارد بعذوبة وقال :

- إذا هيا بنا

نهاية الجزء الأول

التتمة في الجزء القادم بحول
الله .